مجلة رهانات

عدد 54 . 2021

محتويات العدد

افتتاحية العدد 2

• فاطمة المرنيسي: النسوية بين التراث و الحداثة 2

ملف العدد : فاطمة المرنيسي: النسوية بين التراث و الحداثة 4

• الخوف من الحداثة: الإسلام والديمقراطية - البشير البونوحي 4

• رقابة ثقافة أم فوضى جنس ؟ - محمد الترسالي 10

• الإسلام والديمقراطية - سعاد زبيطة 19

• بنية العلاقات و الأدوار الأسرية بالعالم الإسلامي و هندستها الاجتماعية - رشيدة بوشتى 27

• ما وراء الحجاب : الجنس كهندسة اجتماعية - سلمى بنسعيد 39

• المرنيسي... نحو تصور جديد للتعامل مع التراث الديني - إبراهيم أبرلال 39

حوار العدد 57

• حوار حول تداعيات الجائحة على الوجود الإنساني مع الفيلسوف الفرنسي إتيان باليبار 57

نافذة فكرية 60

• متى ستعتذر فرنسا وإسبانيا عن جرائمهما الاستعمارية بالمغرب؟ - أسامة الزكاري 60

دراسات 63

• المهاجرات المغربيات ومسألة الاندماج - فاطنة إكتم 63

قراءة في كتاب 76

• المرأة المغربية في خطاب النسوية الجذرية - حوسى أزارو 76

ترجمة 85

• كرونواوجيا نشر الصين للمعلومات عن COVID-19 والنهوض بالتعاون الدولي استجابة للأوبئة (الجزء الثاني)
- محمد عبد الوهاب العلالي 85

إبداعات 101

• قصص قصيرة جدا «شذرات» -نعيمة القضيوي الإدريسي 101

مجلة رهانات

مجلة فكرية ثقافية فصلية جامعة تصدر عن
مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية · مدى ·
ملف الصحافة: 45 ص 05
رقم الإيداع القانوني 2006-142

عنوان المراسلة:
مركز الدراسات و الأبحاث الإنسانية
29 زنقة عمر السلاوي - الدار البيضاء
الهاتف: 27 42 22 22 05
rihanatmada98@gmail.com
www.madacenter.ma

المدير
المختار بنعبدلاوي
رئيس التحرير
زكرياء أكضيض
أعضاء هيئة التحرير
محمد جليد
حياة الدرعي
محمد لهبوز
عبد الإله الكلخة
عبد العالي صابر
عبد اللطيف الحاجي
عبد الرزاق بلال
الغلاف و الإخراج الفني
محمد أمين نجمي
مهدي نجمي
الطبع
VIVA print
0522505696
التوزيع
سابريس - الدار البيضاء

جميع الآراء الواردة في هذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها و لا تعكس بالضرورة رأي المجلة

شروط النشر في مجلة رهانات

1. المجلة لا تنشر بحوثا سبق نشرها أو أنها معروضة للنشر في مكان آخر.
2. ضرورة اعتماد الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث و خاصة فيها يتعلق بالتوثيق و الإشارة إلى المصادر و المراجع.
3. يجب ألا يتجاوز عدد كلمات الدراسة 3000 كلمة.
4. على الباحث أن يرفق ببحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، إلى جانب صورته الشخصية.
5. البحوث و الدراسات التي تقترح هيئة التحرير إجراء تعديلات عليها أو إضافات إليها تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.

فاطمة المرنيسي: النسوية بين التراث و الحداثة

د. المختار بنعبدلاوي

يندر أن تجتمع في نفس الإنسان شخصية الباحث الأكاديمي الرصين، والعالم العارف بخفايا التراث إلى جانب الناشط المدني الذي لا يكل من الدفاع عن قضيته كما اجتمعت في شخص فاطمة المرنيسي. لقد تعودنا منذ ردح من الزمان أن نفصل بين مجال البحث الجامعي، وبين الإلمام بقضايا التراث، ليس باعتباره موضوعا للبحث بل بصفته كذلك منطلقا للترافع من أجل قضية معينة، بعد أن يخضع للتمحيص الببليوغرافي وإعادة التأويل... لكن تجربة فاطمة المرنيسي أن ذلك ممكن، وأنه قد يجعلنا أقرب إلى الأهداف التي نرسمها لأنفسنا. تتجاور كل هذه الأبعاد في شخصية فاطمة المرنيسي دون أن تتراتب؛ فكل مطلب منها يكمل الآخر؛ فالروح النضالية في خدمة قضية المرأة تستدعي لديها قوة الحجة التي لا تجدها إلا في الشاهد الأكاديمي، تماما كما يقتضي الوصول إلى هذا الشاهد الأكاديمي العودة إلى المتون التراثية بوجه عام، والاستعانة بعلم الإسناد من أجل رفع غبش الوثوقية عن بعض الشخصيات المبهمة لتي تقف من وراء هذه النصوص الناشزة، والتي سرعان تنكشف شبهات الوضع التي تحوم من حولها.

بالتوازي مع الاشتغال في مختلف هذه الحقول، وانخراطها المنهجي في العمل المـدني، استعملت فاطمة المرنيسي مختلف الوسائل والأدوات لدعم أطروحتها؛ من الاستمارة إلى المقابلة، كما أبدت اهتماما خاصا بالبحث الببليوغرافي من أجل التأسيس لعودة نقدية إلى مصادر التراث، كسرت معها قدسية النص وحصانته، وتجاوزته مُسائلة علوم الإسناد وتصنيفات التجريح والتعديل، بهدف إعادة تأويل النصوص المؤسسة، وقراءتها في سياقها الاجتماعي والثقافي الخاص.

كانت هذه المقاربة الجديدة بحاجة إلى أدوات مفاهيمية جديدة قادرة على احتواء هذا المقترب الجديد، وإلى الخروج من التسويغات التقليدية، المباشرة والسطحية للحجاب؛ بوصفه «درء للفتنة»، والارتقاء بمستوى التحليل وفهم إلى ما هو أعمق؛ أي بصفته سلطة ذكورية، وشكلا من أشكال المراقبة وحظر ولوج المرأة إلى المجال العمومي... كما أعطت مفاهيم «المسكوت عنه» و»اللامفكر فيه» كل أبعادها بصفتها آليات للإقصاء والتدجين الاجتماعي، وفي أحيان كثيرة للاستلاب الاجتماعي والثقافي للمرأة، إلى الدرجة التي لا تتوانى فيها، هي نفسها عن تبرير قيودها أحيانا.

استفادت فاطمة المرنيسي من الزخم الدولي الذي تعبأ حول قضية المرأة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، في إبراز مقاربة «النوع الاجتماعي»، فعملت على توسيع دائر العمل به، مستندة إلى نتائج الدراسات التي أجرتها، وإلى الأدوار المميزة التي لعبتها نساء النبي لا سيما خديجة وعائشة، وإلى تجارب منتقاة من تاريخ المغرب، كما في كتاب «سلطانات منسيات» الذي وقفت فيه على سيرة السيدة الحرة التي حكمت تطوان بعد سقوط غرناطة... وهو ما يوفر للمرأة والمغربية منطلقات أساسية لإضفاء

طابع المشروعية القانونية والروحية على نضالها من أجل المساواة. وبالرغم من التشكيك الواسع، والاتهامات التي وجهتها القوى المحافظة لها فقد تفادت أن تنجر إلى هذا النوع من المهاترات، وركزت بصورة خاصة على قراءاتها لنصوص التراث، والدراسات التي أنجزتها.

كانت فاطمة المرنيسي تعتقد أن الإطار القانوني الذي خلفه الاستعمار، والذي تبنته الدولة الحديثة في جملة موروثاتها الاستعماري، قد وفر لقضية المـرأة مرتكزات أساسية بفضل تنصيص الدساتير الحديثة عل مبدإ المساواة في المواطنة بين الذكور والإناث، لكنها رأت بالمقابل أن هذه الشرط الدستوري بقي دونما تفعيل؛ لأنه لم يتحقق كنتيجة لحالة وعي نسائي، وعمل إرادوي وهادف من أجل تحقيقه، ولذلك لاحظت أنه حافظ على حضوره دون فعالية، بصفته منسيا أو لامفكر ا فيه ... وهذا ما تطلب من فاطمة المرنيسي تعزيز هذا الإطار القانوني بشواهد من التاريخ العربي الإسلامي، لتأكيد حقيقة أن التراث لا يمثل عائقا فعليا يحول دون خروج المرأة إلى المجال العمومي، ويسد منافذ مشاركتها في الحياة العامة. ■

الخوف من الحداثة: الإسلام والديمقراطية

البشير البونوحي
باحث في التاريخ

إن المتأمل لأعمال الباحثة فاطمة المرنيسي الفكرية سيجد أن آفاق تفكيرها قد اتسعت خاصة في كتابها «الخوف من الحداثة، الإسـلام والديمقراطية «الذي ترجمه الدكتور محمد الدبيات والصادر عن الجنيدي في دمشق-سورية -الطبعة الأولى1994،حيث تجاوزت إطار الاهتمام بمشاكل المرأة المغربية خاصة والمـرأة العربية بصفة عامة، ليشمل اهتمامها مشكلات الإنسان العربي بعد أن أدركت تعاظم تأثير التيار الأصولي السلفي وتحالفه مع السلطة الحاكمة: التي توظفه، وافساد سياسة البترو دولار وتلاعبها بمشاعر الناس الدينية، حيث وضحت المرنيسي أن أزمة المرأة العربية تتجلى تاريخيا وواقعيا من خلال تلك العلاقة الجدلية القائمة بين الحاكم والمحكوم، لأن هذه القضية ليست فقط قضية جنس انثى تجاه ذكر، أو قضية انحطاط فكري او قضية دينية محضة، بل هي قضية أزمة السلطة السياسية في علاقتها بالناس منذ فجر التاريخ العربي.

استشعرت الكاتبة كغيرها من النساء خوفا من نوع خاص، خلفته نهاية حرب الخليج التي كانت النسوة شريكات في غمرها، دون مغنمها، لأن صرخاتهن لم يكن يصغي إليها أحد، خصوصا مشعلو ذلك النوع من الحروب، فعبر نفي تونس والجزائر والرباط عن رهابهن القادم من الأيـام، في شكل مسيرات حاشدة، وأما الساسة الرجال فكانوا لا يقوون على فعل مثل صنيعهن، بل يتم إبعادهن عن السلطة، ويسمح لهن فقط بتنشيط الاجتماعات للتنديد بجرائم الحرب، ويفرض عليهن أن يعيش الرعب الذي تعرفه أكباش عيد الأضحى، مما يطبخه قساوسة حقوق الإنسان وزعماء الغرب وكبار موظفي الأمم المتحدة.

لم يكن للمرأة العربية، أن تسلم من تبعات وجاهة الغرب، التي تفرض على الدول العربية إشعال فتيل الحروب، فالغرب توصل إلى عقد الوصال بين قادة الأمم، ورغم هذا فهو لم يفلح يوما في إظهار نفسه حاملا لمبدأ الديمقراطية، بعد سقوط جدار برلين، وانهيار الرجال العظام والمؤسسات ورموز الطغيان في أوروبا الشرقية.

لكي نستوعب الصدمة العميقة التي تنشأ من الجمع بين مفاهيم الإسلام والديمقراطية في العالم العربي الإسلامي، يجب الغوص في بواطن العقل المسلم والعربي وإدراك شبكاته الرمزية ومخاوفه المتعددة(الخوف من الغرب، الخوف من الفردية، الخوف من الشرك، الخوف من الخيال، الخوف من الصور...)

تـدافـع المرنيسي في مستهل كتابها عن أطروحة كون حرب الخليج ايقظت في الشعور العربي الإسلامي ما كبته لقرون في لا شعوره تجاه الغرب ويتعلق الأمر بهاجس الخوف من الغرب، فالغرب هو فضاء جغرافي في التمثل العربي وهو رمز الخوف، وهو المكان الذي تغرب فيه الشمس ويسود فيه الظلام محل نور النهار، وبهذا فإن مصطلح الغرب يستحضر في تمثلها اللاوعي كغراب أسود نتشاءم لمشاهدته، وتجدر الاشارة هنا الى أن سكان المغرب العربي، وبالخصوص المغاربة حسب الباحثة يعتبرون أنـاسـا غـربـاء عن

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

المشرقيين، وقد يكون هذا راجع إلى كون الشمس تغرب وراء المحيط الاطلسي، الذي كان يعتبر آخر حدود العالم المسلم قبل اكتشاف أمريكا.

كان العرب قبيل قصف بغداد، اكثر اهتماما بأخبار أوروبا، فهم « أنبياء المبدأ الديمقراطي» أثناء سقوط الاستبداد في بلدانهم، لكن هذا الأمل بدده القصف في حرب الخليج، لهذا اختار ساستهم أن ينأوا عن الأخرين، ويحيطوا بلدانهم بحدود آمنة، فالبلد غير الآمن عورة، مثل المرأة بدون حجاب.

تؤكد الباحثة في كتابها أن حرب الخليج ضد العراق كانت بمثابة ازاحة للحجاب الحامي للعرب وذلك بهدم كل الحدود الرمزية والجغرافية من طرف الغرب، أي ما يكون هويتهم، وتطالب في هـذا الإطـار العرب بالتوقف عن مطالبة الغرب بفهمنا، بلعلينا أن نفهم بما أننا متمكنون من لغاته ولنا دراية بثقافته وتاريخه، قصد فهم مواطن قوته وضعفه، فمن بين مواطن قوته نجد الديمقراطية التي تخيف صاحب القرار في الـدول العربية، على الرغم من أن الشعوب العربية تتوق إليها وتريدها، والاستراتيجية المتبعة من طرف صاحب القرار في الدول العربية هي التخويف والتهويل منها. وتقديمها كخطر قادم من الغرب على العرب تجنبه.

في هذا الإطـار، حاولت الكاتبة أن تتفهم مصطلح «الحجاب» الذي أمن المرأة وسترها وانضباطها لحكم الجماعة وحدود الله، بخلاف مصطلح «التبرج» الذي جيء به من «الحصن» فهو ما يطلق على المـرأة المتزوجة، التي هي في منعة من عنف الرجال الراغبين، ورجل دارها يمنحها ما يحميها من المتع والمداعبات. هكذا يثير «الحجاب» قلقا لرمزه للحدود المنظمة لـدار الإسـلام، فالنساء تراثيا هن المخصوصات ضحايا لطقوس إعادة التوازن، حيث يأمرهن الخليفة ألا يخرجن مطلقا، بمجرد أن تعم الفوضى، وهن في زمن المدينة العربية الجديدة، مابعد حرب الخليج، المخوفات بالحدود والحواجز.

يسمي العرب أوروبا وأمريكا «غربا»، فهذا اللفظ دال على مكان الظلمات ومـغـرب الشمس والمـجـهـول، وارض الأجنبي الغريب، والذي لا نفهمه، ففي ذاك العالم المظلم، طير يسمى «الغراب «يحمل نذيرا بالشؤم، والمغاربة كانوا باستمرار في حكايات ألف ليلة وليلة، أولئك المتمكنين من السحر، من كل ما يعاقب عليه الإسلام، والمغاربة غامضون لقربهم إلى الحدود المسيحية، بل لأننا برابرة كما سمانا الروم، ولأن لغتنا غير لغة الفاتحين العرب ولأن ثقافتنا غريبة عما ألفه هؤلاء فما كان احد يتوقع أن تكون بلادنا وراء المحيط الاطلسي الذي يحدنا، وحتى الفرنسيون حين يقولون «المغاربة»، يقصدون الأجانب.

لئن ألـف العرب أن يصفوا كل ما لا يفهمون عن «الغريب» لبعده عنهم مكانيا، فإن حرب الخليج علمتهم أن لا حـدود تستطيع أن تحميهم من الغرب، وأن المواجهة أهم سلاح يجعل للضعيف كرامة حين سطوة الرعب عليه، ومن هنا يصير لمحاولة فهم الغرب – الأخر، شرعية ووجود بعد أن أدركوا أن بث الخوف من الغريب، والانشغال بتحسين حدود المدينة غير مجد، لا سيما أن الغرب اكتسب هيبة من الديمقراطية.

في ضوء هذه المعاني العميقة، ترددت أصوات المحتجين على قصف بغداد، في شوارع الجزائر وتونس والرباط. وأما وراء شرفات صناع القرار، سيطر الخوف من الديمقراطية لا من الغرب نفسه، بينما صور الإعلام الغربي مسيرات التضامن مع العراق، مظاهرة لأصوليين متعصبين يكرهون الغرب وفرنسا، رغم أن مكونات اليسار والمستقلين والأكاديميين وعموم الناس انخرطوا في تلك المسيرات.

أكـدت المـرنـيـسي عـلى أن فكرة الديمقراطية كتعبير عن حرية الفرد في تأمل واقعه وإعمال عقله متجذرة في ثقافتنا لكنها بترت، ويعتبر مثال مالك بـن أنـس بمثابة الشاهد عـلى ذلـك. فالدين بالنسبة لرجل السياسة العربي ما هو إلا لبوس يخصص لإضفاء الهيبة التي يفتقر إليها النظام السياسي حتى يسهل عليه ممارسة الاستبداد، سيما أن طاعة الله مقرونة دوما بطاعة ولي الأمر وأما الإمام الإعلامي في هذا العالم العربي، فقد اكتسح القنوات الفضائية، وهو ما تدل عليه نسبة البرامج الدينية

في البث اليومي، حيث تخصص المملكة العربية السعودية أكثر من تلث الغلاف الزمني الإعلامي، لتحافظ على إيمان الجماهير، بخلاف إعلام الفاتيكان الذي يشرفعلى أوساط واسعة من المسيحيين الكاثوليكيين.

أكدت المرنيسي على أن أجمل ثمرة وصـل إليها الغرب هي الديمقراطية وبـأن نـواة هـذه الثمرة موجودة في ثقافتنا الإسلامية، لكن المرء لم يتركها تنمو وتكبر، وتؤكد المرنيسي على أنه يجب العودة إلى هذه الديمقراطية لأنها اتبت صلاحيتها كنظام دولة في تقافات أخرى. وتعتبر الكاتبة أيضا أن الزعيم السياسي على مرور التاريخ الإسلامي، كان ضعيفا للغاية، فصورته المثالية تجعله متواضعا لله، مهادنا لولاته على الأمصار، حليما على رعيته، وجلا من قيام الاعـتراض على حكمه، فالخوارج مثلا، كانوا يمثلون تهديدا لسلطته، وفي أفضل الحالات، كان الزعيم السياسي يموت طعنا(عمر بن الخطاب) أو تمزيقا (عثمان بن عفان، الوليد ابن يزيد)،أو مخنوقا(مروان بن الحكم)،أو مسموما (عمر بن عبد العزيز)،بالإضافة إلى أن التيار العقلاني يمكن أن يهدد بقاء الدولة، فالمعتزلة باعتبارهم تيارا فكريا يعلي شأن العقل، ساهموا في سقوط الأمويين، ووصول العباسيين إلى السلطة، والقضاء على أهل الحديث المتمسكين بقدسية النص الديني(فتنة الإمام أحمد بن حنبل).

عندما نتوغل أكثر في كتاب المرنيسي نلمس تجادبا دفينا في تفكيرها في الغرب، حيث ترى ان الأمر لا يتعلق بالخوف من الديمقراطية بقدر ما يتعلق ببتر واستئصال ثقافيين ممثلين في حرمان العرب من الدخول الى عالم الفكر والعلم الحديثين، ويعود هذا الأمـر الى كون الدفاع عن الاستقلال قاد الى ترسيخ فكرة الحدود بين المسلمين والغرب خاصة وان هذا الاخير لم يتعلم اقتسام مثله الانسانية (حرية حقوق الانسان) بقدر ما يستعملها كسلاح ضد المسلمين، ليس فقط لاستعمارهم بل للحفاظ على تخلفهم وتقهقرهم الوجودي وهذا كله في صالح صاحب القرار في الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية، واعلان الحرب ضد الفكر التنويري الغربي تحث ذريعة كونه استعماري، ويتجلى ضعف العرب في كونهم يقاومون الغرب بأسلحة لا يصنعونها بأنفسهم، حيث ذكرت المرنيسي أنه من أكبر الدول التسعة في العالم التي اشترت الاسلحة عام 1983نجد اربعة دول عربية (العراق-السعودية-ليبيا-مصر)وعلى الرغم من ذلـك لم تستطع السعودية الدفاع عن الخليج، بل احتمت بالغرب وفي مقدمته امريكا، على الرغم من الاستثمارات الضخمة للحكومة السعودية في المجال العسكري والتي بلغت ستة بلايين دولار (المدينة الحربية للملك خالد كمثال).

تربط الكاتبة بين أزمة العالم الاسلامي الحضارية، وبين الخوف من الديمقراطية، فهذه الاخيرة تعني علمنة الدولة، بحيث يسمح فيها بشيوع أفكار حرية الفكر، وحق المبادرة...، باستثناء تركيا التي عملت على تحديث المجتمع ، ولم يطغ لديها هاجس التمسك بالماضي. بعد هـذا تنتقل المرنيسي إلى وصف إحدى سلبيات استيراد أو فرض النموذج الديمقراطي الغربي، وتتمثل هذه السلبية في زعزعة المشهد السياسي في بلداننا، حيث تلاحظ المرنيسي بأن لغتنا لا تحتوي على كلمة خاصة للديموقراطية، فحتى التسمية تم استيرادها على الرغم من أن الإرث الإغريقي الأوروبي محرم علينا، وعلى الرغم من أن منتوجاته الصناعية محللة علينا، وهي نتاج مباشر لهذا الإرث. وسبب هذا هو التمييز في الوعي العربي الإسلامي بين المنتوجات الصناعية التكنولوجية والديمقراطية.

الأولى يتم استهلاكها بلا هـوادة من طرف الجميع، بل يحتدم السباق لاقتنائها، بينما تفرض الثانية بإيهامنا بأنها دخيله ولا يحق فتح الحدود لها، وهذه الأخـيرة ليست حـدود جغرافية بقدر ما هي حدود فكرية وثقافية في المقام الأول، وهنا يتجلى فرض الحجاب على الديمقراطية بإيهام الشعوب العربية بأنها تهديد لهويتنا، خاصة وأنها أحدثت نوعا من التقسيم في وحدتنا إن على مستوى الأفـراد والحكومات، فهناك الرافض وهناك القابل لها. والمفارقة هنا تكمن في كون الطبقات الميسورة في العالم العربي إضافة لجمهور المثقفين المتشبع والمتأثر بالثقافة الغربية يرغبون فيها ويطالبون بها، خدمة لمصالح طبقية بعينها، في حين أن الطبقات ترفضها.

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

يكمن الفرق في رفض الديمقراطية من طرف الحكومات والأفراد المنتمين للطبقات الدنيا في المجتمع في كون الأولى تعتبر الإسـلام الضمانة الوحيدة التي يمكن التعويل عليها لاستمرار سلطتها، في حين الثانية بحكم أميتها وجهلها وفقرها تعتبر الإسلام سبيل نجاة لها من حالها المأزوم .نفس الشي يمكن أن يقال على المعارضة في الدول العربية، فهناك حسب المرنيسي معارضة تعتبر بمثابة امتداد للحكومات الرافضة للديموقراطية تتأسس معارضتها على اتهامها للحكومات العربية والإسلامية بكل تكويناتها بكونها غير مسلمة، وبأن المعارضة هي التي تمثل الإسلام الصحيح. من هنا نلاحظ صراعا ومنافسة على تأسيس الشرعية في الإسلام بين هذه المعارضة والحكومات الرافضة للديموقراطية، وهناك معارضة ترغب في الديمقراطية لأنها الحل الناجح في نظرها لتحسين الأوضـاع في الدول العربية وهي في تعارض مع الحكومات العربية التي وقعت شكليا على معاهدة الأمم المتحدة، لكنها لا تؤمن بتأمين هذه الأخيرة لسلطتها وسلطانها.

لقد خصصت الباحثة المرنيسي حيزا مهما من كتابها لإبراز تناقض الكثير من الدول العربية التي وقعت على معاهدة الأمـم المتحدة ومـا يطبق قانونيا في عين المكان من طرف الحكومة العربية الإسلامية. واهم نتيجة توصلت إليها في هذا الميدان هو التقابل الواضح بين ماوقعوا عليه (العربية السعودية-

إيران-تركيا- لبنان- مصر- سوريا كأول الموقعين) وما يمارس باسم الدين الإسلام أي ادعاء تأسيس نظام الدولة وقوانينها على الشريعة.

يبقى التوقيع على هذه المعاهدة مجرد خدعة ديبلوماسية، وبهذا فرض الحجاب على الأمم المتحدة، لأن العرب يحبون الحجاب والنتيجة هـي أن الدول المسلمة لم تستطع الوصول إلى ديمقراطية حقيقية لأن تشويه هذه الأخيرة قد تم بالفعل وكمثال على ذلك نجد بورقيبة في تونس الذي كان يوهم بل يطالب علانيا بالتحديث السياسي ويرفض التراث، لكن حرم شعبه من أهم شيء ألا وهو حرية التفكير والمشاركة في الحكم وهذا ما أدى إلى طامة كبرى في تونس والجزائر الاشتراكية، حيث تقوت الإسلاموية، وهذا إن كان يعني شيئا فإنه يعني أن أنظمة الحكم هذه لم تخن شعوبنا فقط، بل وكذا معاهدة الأمم المتحدة وذلك بسيطرتها على وسائل الإعلام لتلميع صورة قادتها، فقد اعتلى بورقيبة العرش الرئاسي في تونس لزمن طويل ومشى على أثره آخرون كثيرون وهذا ما يفرض ثنائية واضحة للمعالم: واجهة خارجية موجهة للغرب وواجهة داخلية حيث استمرار القمع والتلاعب بمصالح البلاد والعباد.

تبعات حرب الخليج على البلدان العربية، البطالة وما جرته على الإنسان في منطقة هي الأولى عالميا، من حيث معدلات النمو السكاني (3,9 في المائة) ،وبمـا أن نصف الساكنة من النساء، فنحن نتحدث عن 83 مليون طالبة عمل، ولا يتزوجن إلا في سن متأخرة، ويـأتي الحجاب كهبة من السماء إلى السياسيين العرب زمن الحروب، فيرسلون به أعدادا كبيرة من المواطنين إلى المطبخ، بينما تبقى حقوق العرب من البترول السعودي مهضومة، إذ إن السعودية لم تعارض قصف بغداد كما عارضه المغاربة، وهكذا اتهم الإسلام باحتكار الثروات التي هي حق للعرب اينما كانوا، والحق أن المتهم حصريا هو النظام الذي

لا يستطيع أن ينتهك الحرمات إلا في ظل المقدس بإيعاز من سدنة النظام العالمي الجديد، اي الغرب.

في معرض كتابها عندما تناقش المرنيسي بعض المصطلحات المتداولة مثل الديمقراطية وتربطها بثرات المسلمين، فإنها تربط مثلا حرية الرأي والتعبير في المنظور الإسلامي بالشرك والفوضى التي كانت سائدة في الجاهلية ما قبل بعثة الإسلام. ولهذا الشرك ارتباط وثيق حسب الباحثة بالخوف من الحرية الفردية، ومن سلطة النساء المستوحاة من تقديس إلالاهات العنيفات في الجاهلية، وذلك بفرضها تقديم قرابين التضحية لها، على الرغم من كونها تمثل في المخيال الجمعي «الأم الرحيمة والحامية « من هنا ظهور فكرة وجوب تحجيب المرأة للسيطرة عليها والاحتماء من الجبروت الذي كانت الإلاهات تمثله. وتعتبر المرنيسي تعدد الآلهة قبل الإسلام نوعا من الحرية الدينية للفرد، وبهذا تربط الشرك بحرية الرأي والعقيدة الذي ينص عليه الفصل 18 لمنظومة الأمم المتحدة، لكن هذه الحرية الجاهلية لم تستطع تحقيق أهم شيء للشخص ألا وهو «الرحمة «التي استطاعت فكرة الله الواحد تحقيقها مع ظهور الرسالة المحمدية، لأن أكبر مظاهر العنف كانت تتم بسبب تعدد الآلهة، ليست لأنها كانت سببا في التفرقة، بل لأنها كانت رمزا للعنف وتهميش الآخرين.

الرحمة من وجهة نظر المرنيسي ترتبط في الإسلام بالتخلي عن الهوى الفردي، أي الرغبات الشخصية وهنا بالضبط تكمن فكرة التضحية في الإسلام، أي التخلي الطوعي عن المصالح الشخصية الفردية والأنانية لصالح مصلحة عامة، يستفيد منها الجميع، وهذا معناه أن الخلاص/ الرحمة الفردي سيصبح مع الإسلام خلاصا جماعيا يؤدي إلى سلام اجتماعي، وتجنب النزاعات الفردية يؤدي إلى سلام اجتماعي وتجنب النزاعات الفردية والجماعية. فهناك حسب المرنيسي تضحية بالفردانية لصالح السلام العام في المجتمع. ومع ذلك فإن هذا السلام المؤسس بهذه الطريقة في رأيها هو سلام هش، لأنه يقود في نظرها إلى انصهار الفرد في الجماعة. وهو انصهار يتم على حساب استعماله لعقله. وهنا تتجلى أكبر تضحية بالنسبة للفرد أي تضحيته بحقه في استعمال عقله لصالح رحمة هذا السلام المنشود، ولهذا السبب يعتبر القرآن الهوى قطبا متناقضا مع المدينة الفاضلة يريد تأسيسها.

مع ذلك فإن هذا الأمر يعبر عن عبقرية الإسلام، لأن الأمر يتعلق بقتل الهوى في أقصى الحدود، بل تقزيمه ووضع حدود معقولة له أي ضبطه لكي لا يضر بالأخرين، وهنا بالضبط يحدث رجوع إلى استعمال العقل، وخاصة في معناه كمقياس لكل شيء، في المقابل فإن هذا العقل قد يقتل الخلق والإبداع والابتكار المؤسسة قبل كل شيء على الخيال، وفي هذا الإطار يمكن فهم قضية سلمان رشدي وتؤكد بأن محاربة الخيال في الفهم الإسلامي هو محاربة للهوى دون حدود، وهو ما يرفضه الإسلام وهنا بالضبط يتجلى حسب الباحثة صراع الإسلام والحداثة الغربية وعلومها المؤسسة أساسا على استعمال الخيال، ومن هنا وجب النظر في هذا الأساس المضمر للإسلام إذا كان المرء يريد اللحاق بقافلة التقدم.

تضيف المرنيسي بأن ارتباط الخيال بالصورة أدى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى حضر هذه الأخيرة وإلصاق تهمة الخطورة بها، وهي خطورة فعلية، لأنها تمر من مستوى صورة إلى مستوى تمثل/تصور أيخلق بديل لواقع معين، ولهذا السبب ذكر البخاري في صحيحه بأن العذاب الإلهي ينصب على المصور. كما أن الباحثة المرنيسي تناولت في كتابها قضية المرأة العربية والمسلمة حتى وإن كان هذا الموضوع حاضر بقوة في مختلف مراحل الكتاب، مؤكدة على أن هناك رغبة كبيرة للتغيير في العالم العربي منذ حرب الخليج، لأن دوائر الخوف انكسرت وحتى الحركات المتطرفة نفسها تعبر عن هذه الرغبة على الرغم من أنها تبحث عن هذا الأخير بالرجوع إلى الماضي.

تؤكد المرنيسي أنه عندما تندلع الأزمة في العالم العربي، هناك تحريمان يطفوان على السطح «المرأة والخمر»، فعندما تعلن الأزمة عن نفسها تدان المرأة والخمر فقد كانت المرأة والخمر منبع كل مآسينا منذ قرون وتذكر أنه في عام 487 أمر الخليفة العباسي بنفي وتهجير النساء المغنيات والمفسدات، فشريحة النساء المستهدفة من طرف السلطات

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

القائمة والمعارضة المتطرفة، ليست هي فئة النساء البروليتاريات لأن الأصفاد الموضوعة في أيديهن متعددة (الأطفال-الفقر-الجهل-الأمية)، ولا يسمح لهن بالمشاركة في معركة تحررهن، الفئة المستهدفة هي النساء المنتميات إلى الطبقة المتوسطة وخاصة الأكاديميات منهن، أي المناضلات من أجل حقوق المرأة، ويتم اتهامهن بأنهن يدافعن عن مبادئ أجنبية (معاهدة الأمم المتحدة) تحت ذريعة كونها مخالفة للدين على الرغم من أن الكثير من الدول العربية والمسلمة موقعة عليها.

مـا يحدث حاليا هـو أن النساء المتعلمات (الجامعيات)أصبحن تهديدا حقيقيا للتطرف بعدما تعمقن في دراسة الدين في الجامعات، ولهذا يرى المتطرف بأن احتكاره للتكلم باسم الله مهدد من طرف النساء. وتعد قضية المرأة المسلمة عموما والعربية خصوصا في نظر المرنيسي أعمق من تمظهره في تقابل بين الرجل والمرأة وكل ما ترتب عن هذا التقابل من استغلال لرموز المرأة ابتداء من الجاهلية وتعنيفها فيزيقيا ورمزيا لحد الآن. وتبدو فاطمة المرنيسي، من خلال كتابها الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، باحثة ألمعية لا تـداري في طرح الموضوعات وتحليلها، لكنها تقرأ التاريخ السياسي من زاوية ثقافية شمولية، تراعي خصوصية المجتمعات الإسلامية، وتدين كل ما لا يمت بصلة للواقع المأمول. ■

رقابة ثقافة أم فوضى جنس ؟

محمد الترسالي
باحث في علم الاجتماع

من بين الوجوه الثقافية البارزة في الحياة الفكرية المغربية، نجد الباحثة المرموقة فاطمة المرنيسي التي أثارت جـدلاً واسـعـاً في الأوســاط المعرفية المغربية، حيث استطاعت فتح غمار النقاش المتعلق بوضعية المرأة – مقاربة النوع الاجتماعي/ الجندر-، في مجتمع تقليدي ذكوري منغلق، وذلك من داخل التراث الفقهي الإسلامي بسبب الدراية والمعرفة بجوانبه الفقهية المختلفة، ومن خلال الملاحظة بالمعايشة، وماهو سائد في الـواقـع المعيش مـن جهة، ومن خلال القراءة النقدية والتحليلية السوسيولوجية لذلك الواقع من جهة ثانية.

إن القراءة المقدمة في كتاب الدكتوره فاطمة المرنيسي الموسوم بـ: « ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، تقتضي إبـراز المصطلحات والمفاهيم المستعملة وتفسيرها إمبريقيا. ومن خلال ذلك سأحاول أن أكون وفيا قدر الإمكان بمقتضيات القراءة العلمية التي لا تعني طبعا إعادة تقديم وإنتاج نفس النص بألفاظ مغايرة؛ بقدر ماهي إنتاج نص جديد تفسيري وتحليلي وتركيبي نقدي للنص الأصلي كما هو معلوم في الحقل المعرفي.

تبدأ المرنيسي من خلفية نظرية ناقضة للمجتمع الـذكـوري، وتطرح قضية تحرر المرأة من أشكال الهيمنة الـذكـوريـة، وهــذا مـا يتجلى في جل كتاباتها السوسيولوجية. ولعل الكتاب قيد القراءة هو دراسة تحليلية للتطور الذي عرفته البنية العائلية العربية على وجه عام، والمغربية بوجه خاص، وتبيان دينامكية العلاقة القائمة بين الرجل والمـرأة في المغرب الذي يطغى عليها الصراع والنفور والإقصاء وتهميش الرجل للمرأة وجعلها تابعة له في شتى مجالات الحياة الاجتماعية العامة، بحيث أن الهندسة الذكورية للمجتمع هي التي وزعت السلطة والنفوذ وكذا الأدوار حسب المرنيسي. ومن ثمة خلصت فاطمة إلى أن العائلة المغربية في بنيتها يطغى عليها الـصراع والتناقض؛ الأمـر الذي يعيد طرح مشكلة بحثية تتجلى في: ما طبيعة العلاقة القائمة بين البنية الثقافية والبنية العائلية في المجتمع المغربي؟ وهل للثقافة السائدة دورا في توجيه السلوك الجنسي؟ وأين تتجلى ظاهرة الهيمنة الذكورية في المجتمع؟

نفترض أن النمط الثقافي التقليدي السائد في المجتمع هو الـذي يوجه العائلة، والسلوك الجنسي معا، وأن الهيمنة الذكورية تتجلى في كونها تُخضع المرأة للإقصاء وللإستبعاد الاجتماعيين المؤدي إلى التهميش والتبعية. كما أن المنهج المتبع في القراءة والتحليل هو منهج دراسة الحالة.

أولا: محتويات ومضامين الكتاب الأساسية

يقع الكتاب المعنون بـــ: «ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية» في 190 صفحة، يحتوي على مقدمة وعلى تسعة فصول ثلاثة منها نظرية مفاهيمية، وستة منها ميدانية إمبريقية، يتناول الفصل الأول الرؤية الإسلامية لحياة جنسية فعالة لدي المرأة، والفصل الثاني عالج قضية الرقابة على حياة

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

المرأة الجنسية في الهندسة الاجتماعية، أمـا الفصل الثالث فتناول الحياة الجنسية والزواج خلال العصر الجاهلي مع تحديد خلاصة للإطار النظري، أما الإطار الميداني فلقد عالج الفصل الرابع فيه الواقع المعاصر: وصف المعطيات، والفصل الخامس فعالج موضوع الفوضى الجنسية من خلال المعطيات، أما الفصل السادس فتناول علاقة الزوج بالزوجة، والفصل السابع عالج موقع الحماة، والفصل الثامن عنون بالمعنى الضمني للحدود: الحياة الجنسية المجالية، أما الفصل التاسع والأخير فعالج الفوضى الجنسية في المغرب المعاصر: مرتكزاتها الاقتصادية. والكتاب قيد القراءة هو في الأصل رسالة جامعية للباحثة تقدمت بها لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع العائلي بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1973، والبحث الكتاب مترجم عن النص الأصلي الإنجليزي المعنون بـــ: Beyond the Weil الذي يتناول علاقة الرجل بالمرأة – ديناميكية العلاقة بين الجنسين- في المجتمعات الإسلامية كما أنه محاولة لفهم الهندسة الاجتماعية للحياة الجنسية للمرأة، وللبنية العائلة المسلمة، على المستوى النموذج النظري العام، وتحليل بينة العائلة المغربية على مستوى النموذج الإجرائي الخاص، وذلك بمعاول سوسيولوجية تبرز الواقع العملي للمشكلات الاجتماعية التي تعاني منها النساء المغربيات، وكذا إبراز التحول الاجتماعي والقيمي التي شهدته العائلة المغربية من عائلة ممتدة إلى أسرة نووية مبرزة عناصر التحليل والمقارنة، وهو الأمر المستشكل والمستعرض بين دفتي هذا الكتاب.

إن الباحثة المرنسي في جل كتاباتها تؤطرها قناعة نظرية وخلفية فكرية تستمد منها مواقفها التي تعبر عن رفضها الشديد لمنطق الهيمنة الذكورية وسلطتها على المرأة بشكل عام منتقضة على المجتمع الذكوري، وهذا ماوجه جل كتاباتها وفق هذه الخلفية والقناعة النظرية المنافحة على حقوق المـرأة الأساسية، الثائرة على المنظومة التقليدية للمجتمع المغربي الإسلامي الذكوري المهيمن على المـرأة في نظرها، لتعتبر فاطمة من النساء اللواتي جعلن من قضية المرأة قضية أساسية في توجهاتهن الأكاديمية، وفي حياتهن الوجدانية، حيث جعلنها بؤرة اهتماماتهن ونافحن عنها بشكل مستميت، فالدكتورة المرأة المرنيسي الكاتبة النسوية، وعالمة الاجتماع المغربية قدمت قـراءة في المـشروع الإسلامي، والثقافة العربية بقولها: « إن الإسلام يشمل جوانب كثيرة... إنه دين ومجموعة من الطقوس وتاريخ وذاكرة... وكذلك قانون وممارسات يومية وقواعد للعلاقات العامة والخاصة ومصدر لفرز الأنماط وبنية المتخيل. إن هدف الكتاب هو تقديم قراءة سوسيولوجية للتغيرات التي تعيشها العائلة في المغرب، وبالتالي فإن اعتماد التراث التاريخي والفكري الإسلامي ليس مجرَّد دعوة إلى الماضي، لأن الاهتمام بالماضي لا تكتسب أهميتها إلاَّ من كونها أداة لفرز أشكال التصورَّات عن العائلة والعلاقة بين الجنسين الذي يطبعها الصراع من خلال تدخلات فاعلين كثيرين في قلب تلك العلاقة الصارمة. إنها لا تطمح إلى مناقشة كتابات الفقهاء والمؤرِّخين بقدر ما تهدف إلى تعامل منهجي محدَّد مع التراث»[1].

إن القضية الأساسية للمشروع النسوي المرنيسي يتجسد في التصور النظري الذي عمل به المجتمع الإسلامي أو الأوربي على حد سواء الذي حدد نمطا ذكوريا يوجه العلاقة مع المرأة كتابعة للرجل، وذلك وفق قوالب ثقافية متجذرة في هذا النمط المجتمعي الذكوري السائد، غير أنه وبالرغم من تحرر المرأة الأوربية من قيود هذه القوالب شيئا ما كنتاج للثورة الصناعية، ظلت المرأة المسلمة خاضعة للقيود التي وضعها المجتمع الذكوري، وهي قيود تخالف الرؤية الإسلامية التي لا تقوم فيها الفضيلة والخيرية على أساس الجنس أو العرق، وإنما على أساس التقوى والفضيلة، وهذا ماتوضحه الباحثة فاطمة، لكن ومن داخل التراث الإسلامي نفسه نجد أن العصمة بيد الرجل، وأن المرأة خاضعة

الهوامش

1 - - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، 2009، ص 8.

لتوجيهاته سواء كان أبا أم زوجا، الأمر الذي يخالف فهم المرنسي أو تأويلها للأيات والأحاديث التي إستعملتها في البحث الكتاب.

ثانيا: الحياة الجنسية للمرأة على ضوء الرؤية الإسلامية

بما أن التاريخ البشري هو تاريخ تطور من البربرية والهمجية إلى الحضارة والتقدم، فإن الباحثة فاطمة تبدأ هنا من قضية أساسية تتمثل في تمكين وإعادة بناء صورة المرأة في المجتمع كفاعلة أساسية فيه، واستبعاد الاستبداد الذكوري كنوع من هذه الهمجية والبربرية الماضوية المتخلفة، حيث أنها دافعت عن المرأة من خلال فهمها وتفسيرها وتأويلها للتراث الديني الإسلامي الأمر الذي بيناه سابقا.

يتميز المجتمع الإسلامي بتناقض بين ما يمكن نعته بـــ «**نظرية علنية**» وأخرى «**نظرية ضمنية**» على الحياة الجنسية، أي بنظرية مزدوجة عن ديناميكية العلاقة بين الجنسين. وتتمثل الأولى في الاعتقاد السائد في الوقت الحاضر بأن حياة الرجل الجنسية تتسمُ بطابع فعّال في حين أن حياة المرأة الجنسية ذات طابع سلبي، وتتضح النظرية الثانية « الضمنية» المكبوتة في اللاوعي الإسلامي من خلال مؤلف الإمام الغزالي المهم: «إحياء علوم الدين»، حيث يرى أن الحضارة مجهود يهدف إلى ضبط النساء لكي لا ينصرف الرجال عن واجباتهم الاجتماعية والدينية، كما أن بقاء المجتمع رهين بخلق مؤسسات ترسخ الهيمنة الذكورية عن طريق عدَّة ميكانزمات من بينها الفصل بين الجنسين وتعدد زوجات المؤمن [2].

ترتبط نظرية الغزالي ربطا مباشرا بين الحفاظ عل التماسك والنظام الاجتماعي وتحصين المرأة، وبالتالي إرضاء حاجاتها الجنسية. ويتم إنقاذ النظام الاجتماعي إذا اقتصرت المرأة على زوجها ولم تتسبب في الفتنة بإغواء رجال أخريين على ارتكاب الفاحشة «الزنا» ويظهر هذا الخوف الممزوج بالاحترام إزاء المتطلبات الجنسية العارمة لدى المرأة الفعالة، حين يعترف الإمام الغزالي بمدى الصعوبة التي يعاني منها الرجل من أجل إشباع رغباتها[3].

على ضوء تلك النصوص يمكن اعتبار أن الحياة الجنسية للمرأة تعمل الثقافة الذكورية على توجيهها والتحكم فيها؛ لأنها تعتبر عورة للرجل الأمر الذي جعل حياة المرأة الجنسية خاضعة للرقابة الاجتماعية لشبكة الهندسة الاجتماعية في المجتمعات الذكورية ذات الهرمية المبنية على أساس ذكوري في نظر فاطمة غير أن الإشكال المطروح هنا هو: على ماذا تأسست تلك الهرمية الثقافية التي أعطت الأسبقية للذكور والتبعية للإناث؟

شكلت البنية الأسرية الإسلامية الجديدة ثورة على تقاليد الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، وذلك عبر إقامة بنية أسرية تركز مجددا على سيادة الرجل وإنفراده بالمباراة فيما يخص الزواج والطلاق، فالتعدد، وتحريم ارتكاب الزنا وضمانات الأبوة، كلها مؤسسات ساهمت في تسهيل الانتقال من البنية القديمة التي كانت ترتكز فيها الآسرة على نوع من حق المرأة في تقرير مصيرها، إلى بنية جديدة التي ترتكز فيها الأسرة على مبدأ سيادة الرجل[4].

وهذه السيادة مردها إلى التصور

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

الثقافي للجنس، الذي يعطي الحق للرجل في تملك المرأة وتملك جازها التناسلي، وحرية الجهاز التناسلي الذكوري – جواز تعدد الزوجات، وحرمة تعدد الأزواج-، وذلك كله في إطار دينامكية العلاقة بين الجنسين غير متساوية ثقافيا واجتماعيا وجنسيا. (ومـن العادات التي كانت سائدة في المجال البِظاني البدوي هو أن المرأة الحسانية كانت ترفض تعدد الزواج بالنسبة للرجل، وتشترط في الزواج شرط لاسابقة، ولا لاحقة).

إن الزواج رباط مقدس في الثقافة الإسلامية وحدث متين يقوم على المعاشرة بالمعروف أم التسريح بإحسان؛ قوامه بقاء النوع البشري، وخلافة الله على الأرض، وكذا المثابرة والتعاون المتبادل على أتعاب الحياة، وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، ولما كان الأمر كذلك فلقد عني ذلك الحدث من قبل الشريعة الإسلامية باهتمام بالغ جعلته ضمن أولوياتها.

إن من شأن التوجه السائد على حقوق المرأة في المجال الجنسي في إطار الثقافة السائدة قبل الإسلام، أن تبرز أن مفهوم الشرعية الأبوية لم يكن يتحكم في حياة المرأة الجنسية. لقد كان الأطفال ينتسبون إلى قبيلة الأم، وكانت النساء يتمتعن بحريتهن الجنسية في الارتباط بأكثر من رجل واحد أو الانفصال عنه، وذلك خلال فترة واحدة أو تباعا [5].

وما كان منتشرا كنمط من أنماط الـزواج في العصر الجاهلي هو زواج الصديقة وهـو الـذي يشكل النظام الأميسي؛ تكون السلطة فيه للأم وينتسب فيه الأطفال لقبيلة الأم، وزواج البعل ويشكل النظام الأبيسي حيث ينتسبون الأطفال فيه إلى الزوج، وتكون السلطة له.

أمـا مـع الإســلام فـالأمـر يختلف عن العصر الجاهلي فأصبحت الحرية الجنسية مقيدة ولا تشرعن إلا عن طريق الزواج لأن أي علاقة جنسية خارج الزواج يعتبرها الإسلام زنا، وينسب الابن لأبيه «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[6]، وحرم التعدد بالنسبة للنساء لكي لا يضيع نسب الأطفال، وأحله بالنسبة للرجال عبر أربعة زوجات شريطة العدل بينهما في كل شيء. **يقول تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)** [7].

ساهمت رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم وتجاربه الشخصية وقناعاته وبنية المجتمع الجاهلي الذي حاربه، كعوامل في تشكيل مؤسسات وخصائص المجتمع الجديد الإسلامي. ولذا فإن أسس البنية الاجتماعية الإسلامية: هيمنة الذكور- الخوف من الفتنة- ضرورة الإشباع الجنسي للمؤمن- إخلاص المؤمن لربه قبل كل شيء-، قد تبلورت في مجموعة من القوانين النوعية التي تتحكم في دينامكية الجنسين وتحددها وتوجهها في الـدول الإسلامية[8]. وعلى ضوء ذلك كيف تتشكل البنية الثقافية للعائلة المغربية؟

ثـالـثـا: البنية الثقافية للعائلة المغربية

في هذه اللحظة الميدانية تبرز فاطمة لمرنيسي العناصر الإجرائية الكاملة في الدراسة الإجرائية لتحليل الدينامكية العلائقية بين الرجل والمرأة التي يطبعها

الهوامش

2 - مرجع سابق، ص 17.

3 - مرجع سابق، ص 28.

4 - مرجع سابق، ص 54.

5 - مرجع سابق، ص 68.

6 - صحيح البخاري، رقم الحديث: 6818.

7 - سورة النساء، الآية: 3.

8 - مرجع سابق، ص74.

الصراع والتوتر الدائم في إطار المجتمع المغربي كصورة مصغرة من المجتمعات الإسلامية بوجه عام.

اعتمدت فاطمة في عملها الميداني على أرشيف مصلحة الإرشاد القانوني الديني الذي يشرف عليها أحد علماء الدين في الإذاعة والتلفزة المغربية، والذي كان يتلقى مئات الرسائل كل أسبوع بغية الاستفسار عن أحكام فقهية تجاه قضايا يعيشها الفرد المسلم، حيث كان يختار الفقيه العالم اثنين أو ثلاثا منها في كل حلقة للإجابة عن القضايا التي تطرحها، وقد احتفظت المرنسي ب 402 رسالة من أصل 5000 لكي تضمن تمثيلية شاملة لكل القضايا التي طرحت، وبالإضافة إلى ذلك قامت الباحثة بالمقابلة مع 100عينة تبعا للعينات الملائمة - حيث خضعت هذه العينات لمتغيرات تتعلق بالجنس والتعليم والعمل- للبحث نساء تقليديات ونساء عصريات. كما إعتمدت على الإحصاء العام للسكان والإسكان، سنة 1971.

تتشكل العائلة المغربية وفق نموذج ثقافي إسلامي مزيج بين إثنيات وعرقيات مختلفة: عربية، أمازيغية، أندلسية، زنجية، ويعد مفهوم العائلة مفهوما مركزيا في علم الاجتماع العائلي الذي يعنى بدراسة التنظيم العائلي، وشبكة العلاقات الاجتماعية التي تتسم بين أفراد العائلة باعتبارها مؤسسة اجتماعية، وخلية الإنسان الأولية التي تتكلف بتوفير كل ما يحتاجه من حاجيات أساسية على مستوى الرعاية والحنان و توفير الغذاء، فهي أول خلية أساسية في المجتمع التي تتشكل عبر أبنية سوسيو تاريخية.

يتسم التمييز الجنسي بين النساء التقليديات والعصريات بنوع من الصرامة بالنسبة للأوائل خلال حياتهن بأكملها في حين لم يكن ذا أهمية بالنسبة للثانية، باستثناء مرحلة الرشد حين تدفع المرأة إلى الوعي بأهمية سلوكها الجنسي على الأخص بالنسبة لشرف العائلة. ولا تعتبر النساء العصريات التمييز عاملاً رئيسيا في حياتهن، في حين أنه يبرز كعنصر مركزي في حياة النساء التقليديات. كما أن هناك شخصية مركزية عند النساء التقليدية التي ترتبط معها الزوجة في علاقة حميمية، وهي الحماة، على خلاف النساء العصريات التي تتمحور العواطف والتطلعات على الزوج كعنصر أساسي في العلاقة [9].

وتشكل أيضا الفتوى قيمة قصوى في حياة المؤمن حيث يعتبرها مدخلا تتم من خلالها العبادة المتكاملة الصحيحة للخالق دون المرور عبر واسطة في ذلك؛ على اعتبار أن العلاقة بين الله وبين العبد لا تحتاج إلى واسطة، وهل صحيح أن الإسلام الشعبي المغربي يحتكم لهذه القاعدة؟ وأين دور الصلحاء؟ وشيوخ الزوايا؟

إن الباحثة فاطمة لاحظت بشكل لافت للانتباه أن مضمون الرسائل المحللة ينم على موضوعات متعلقة بالمفاهيم الإسلامية حول هوية المرأة الجنسية ودورها في المجتمع، بحيث لازالت تفرض نفسها بالرغم من ظاهرة التحولات الاجتماعية التي عرفتها العائلة المغربية بصورة أساسية حيث أن التمييز الجنسي والزواج المقرر من طرف الأهل وأهمية الأم في حياة ابنها، من العوامل التي تبرز أن الهندسة الاجتماعية تعادي بشدة وحدة الرغبات الجنسية للزوجين في إطار الخلية الأسرية ذاتها [10].

وتتشكل هذه الرسائل ضمن مشكلات عائلية بالأساس، حيث أن العائلة التقليدية دائما تسعى من خلال تدخلاتها على توجيه حياة الأفراد وإعادة الإنتاج لبنيتها ولنظامها التقليدي المتراتب على أساس جنسي وفق القواعد الثقافية السائدة في المجتمع، والتي أحيانا تبقى مسيطرة على عقول الأجيال؛ بالرغم من درجات التعلم والشواهد المحصل عليها كدليل على إلزامية الثقافة التقليدية على الأفراد.

رابعا: الهيمنة الذكورية والتنظيم الجنسي

يطلق لفظ الحريم عموما على النساء، لكن تطلق المرنيسي على لفظي الحريم معنيين مخالفين لتنعت حريم الياسمين وحريم فاس نظرا للتباين والاختلاف بينهما: في الهواء الطلق. أما أمي فلا تبرح البوابة دون الحصول على إذن من جهات متعددة، وحتى إن فعلت لا يسمح لها إلا بزيارة ضريح مولاي إدريس أو بيت أخيها الذي يقطن نفس الدرب، أو في حالات استثنائية حضور حفل ديني، وعليها حينها أن ترافق من

طرف نساء مسنات وأحد أبناء أعمامي الصغار. من هنا يبدوا لي من العبث استعمال نفس اللفظة لوصف وضعية الياسمين ووضعية أمي» [11]، وهذا يعني أن منطلق تحليل الباحثة سيكولوجي وجداني.

إن الهيمنة على جل مناحي الحياة العامة للمجتمع، وجعلها ذكورية بامتياز هو الذي يضع البنية العلائقية بين الجنسين وفق هرمية أعلى – أسفل يؤثثه التحكم والتوجيه بحيث أن هذه الهرمية قامت على الفصل بين النساء والرجال في الأمكنة البدوية القروية حيث أن الفضاء مقسم تقسيما غير متساوي بين الرجال والنساء، فالمجال العام -الشارع- للرجال، والمجال الخاص – البيت- للنساء، وإذا ما تم تجاوز المجال العام من طرف المرأة فأنها تحتجب عن عيون الرجال كدليل عن الاختفاء، وذلك كنوع من الحظر على العلاقات بين الجنسين ومنع الاختلاط والتلاقي في القرية المغربية؛ الأمر الذي ينتج عنه ممارسات إنحرافية يمقتها المجتمع المانع نفسه كالعادة السرية، والشدود الجنسي، والتردد على أمكنة الدعارة المتنوعة.

على عكس الأمكنة المدنية فالاختلاط قائم بين الجنسين- الذي يعتبره النظام الإسلامي هادما للحضارة- نظرا للتأثر بالثقافة الأوربية، وإمكانية الممارسة الجنسية خارج إطار الزواج تبقى مفتوحة وغير خاضعة للرقابة الاجتماعية، كما أن العلاقات الغرامية لها إمكانية النشوء والتطور، لكن سرعان ما تصطدم بحائط الرقابة الأسرية على الشريكة، بالمنع والرفض وتشهير سلاح ما يسمى بـ: «السخط»[12]، وذلك مرده إلى رفض الغريب واقتراح القريب.

ولقد لاحظ بول باسكون وبنطاهر في البحث الميداني الذي أجرياه أن الشباب البدوي حين يزور المدينة، يظن أن كل إمرأة تتجول في الشارع على استعداد تام لممارسة الجنس [13].

تتحدد ديناميكية العلاقة بين الجنسين إذاً وفق منظور مهيكل لضوابط ومعايير تجسدت وفق النظام الإسلامي عبر حقوق المرأة على الرجل وحقوق الرجل على المرأة مركزها طاعة المرأة للرجل، وتوفير هذا الأخير كل ما تحتاج المرأة وفق الحق في القوامة.

تخضع العلاقة الزوجية في المجتمع المغربي إلى نوع من الصرامة حيث لا يوجد مسلكا معترفا به يمنح للمرأة حق التعبير عن حبها لزوجها مباشرة، وأمام العموم في حين هناك مسلكا مقبول ومعترفا به يعكس رفضها له وهو الكره، وإذا ماقررت إمرأة بعدة أيام من الزواج بأنها لا تحب زوجها تنعث إذ ذاك بأنها خرجت كارهة له [14].

هكذا، فالكراهية لها مسلكا مقبولا في المجتمع عكس الحب الذي هو ممنوع عن الظهور، ويبقى في سرية تامة بين الزوجين، وفي الأسر التقليدية خروج المرأة أو أي عمل تقدم على القيام به يظل مقترن بموافقة الزوج، وإذا ما تنازل الزوج عن تلك التقاليد يصف من قبل الإيديولوجيا السائدة أنه منعدم الرجولة وديوث ويظل محل سخرية واستهزاء بين الأقران.

كما أن في الأسر التقليدية تحتل الحماة «العكوزة» مكانة مركزية في الهندسة الاجتماعية للعائلة المغربية التقليدية التي يطغى عليها التوجيه والصراع في غالبها، فالتحليل النفسي الفرويدي أكد على أن العلاقة التي تنشأ بين الأم وإبنها هي علاقة تؤهله للدخول في علاقة مع الجنس الأخر.

يلعب شرف العائلة المختزل في غشاء

الهوامش

9 - مرجع سابق، ص 85.

10 - مرجع سابق، ص 88.

11 - المرنيسي فاطمة، نساء على أجنحة الحلم، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، الطبعة العربية الأولى، الدار البيضاء، 1998، ص47.

12 - مفهوم السخط والرضا (عقوق ورضاء الوالدين) حاضرا في الثقافة المغربية التقليدية.

13 - Paul.Pascon et M. Benthar, ce qui disent 269 jeunes ruraux B.E.S.M. janvier, Juin, 1965 xxxi, n 11-13 ,p. 63.

14 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق، ص 141.

بكارة الأنثى دورا أساسيا في عمليات الوجود الاجتماعي حيث اختزل الشرف في الحفاظ على غشاء البكارة، الأمر الذي مكن الذكر أن يكون شرطي المرور لتوجيه العلاقة بين الجنسين.

وعلى أساس هذه العلاقة نشأت بنية بطريقية أبوية توجه دينامكية العلاقات الاجتماعية على أساس ذكوري، وكـذا جميع المؤسسات الاجتماعية مثل:المؤسسات الدينية: مؤسسة الزاوية كمؤسسة رسمية، ثم المؤسسات المدنية، الحزب السياسي، النقابة، البرلمان، المجتمع المدني، كل هذه المؤسسات وجهت على أساس ذكوري أبوي مهيمن.

إن بنية التنظيم الجنسي خاضعة للهيمنة الـذكوريـة، والتي تحددت إنطلاقا من المعايير والقوانين السائدة في المجتمع المغربي التي قسمت المجال إلى قسمين مجال عـام وهـو مجال الرجال المفتوح –الشارع- الذي يكون مركزا للقرارات الدينية والمدنية ومجال خاص للنساء – البيت- وهو المجال المغلق الذي تتكلف فيها النساء بكل ما يتعلق بالأطفال والأسرة والمنزل، وهذا التقسيم يطبعه اللامساواة القائمة بين الرجال والنساء، وهو ما حدد الهندسة الاجتماعية للجنس وفق تراتبية ذكورية، وإذا ما تجاوزت المرأة الحدود المجالية المرسومة لها تنعث بإتهامات تكون جاهزة ومتشكلة في اللاوعي الذكوري بعبارات قدحية كالعاهرة مثلا، الأمر هنا يخالف أحكام الدين الإسلامي فالسيدة خديجة كانت من كبار تجار قريش، كما أن المرأة عملت في العهد النبوي عدة مهن: تجارية، طبية، زراعية، تعليمة، كما مارست الإفتاء.

إن هذه الثنائية في تقسيم المجال أنتجت لنا بنية أسرية متصدعة يطبعها الـصراع والتنافر، فالبرغم من ظاهرة التحولات الاجتماعية والثقافية المفروضة بقوة التطور الصناعي العالمي، والتي قادت المجتمع المغربي في المدينة إلى التخلى عن التقليدانية وعن اللامساواة التي تطبع العلاقة بين الجنسين إلا أنه من اللازم أن تنشا ثورة فكرية تجديدة داخلية بعيدة عن السياق الموجه لسير الشعوب والمجتمعات. فالمرأة إنتفضت على السيد القديم الرجل وأصبح منافسة له في شتى مجالات الحياة العامة، وذلك من خلال تواجدها في الأمكنة العامة والخاصة وحاصلة على منصب شغل في شتى القطاعات الحيوية الحية. فهل مكن كل هذا المرأة من الاستقلال بنفسها؟ ومقاومة العنف الرمزي الذي يصدره المجتمع الذكوري؟ وهل تعمل الثقافة السائدة الجديدة على توجيه العلاقة بين الجنسين ؟

خامسا: الثقافة والجنس الفوضوي

تتحدد الثقافة أنثربولوجيا بكونها ذلك المختزل في الذاكرة الاجتماعية من لغة وتراث ودين وقيم وأخلاق وعوائد ومعايير ونظم إجرائية وقوانين اجتماعية وطرائق في التفكير، يكتسبها الفرد بكونه عضو في الجماعة يتم نقلها إليه عن طريق نظام التنشئة الاجتماعية، وتكون متواترة جيلا عن جيل، غير أنها قابلة للتغيير والتبدل، وذلك بفعل التحولات التي تطرأ عليها في سياقها الزمني . يربط العديد من مناصري قضايا المرأة في المغرب شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية، والمغرب الحداثي بضمان حقوق المرأة كاملة غير مقسمة ولا مجزئة.

غير أن ما يعتري الواقع حسب المرنيسي هو أن بنية الهندسة الاجتماعية للجنس غير متساوية وفوضية، وأن المجتمع مبني على قيادة ذكورية فاعلة وتبعية أنثوية ساكنة. غير أن العائلة المغربية ستشهد مجموعة من التحولات النوعية التي سوف تغير البناء الاجتماعي العام للمجتمع في وقتنا الراهن، وذلك راجـع للصيرورة الاجتماعية وللتطور العالمي المعولم.

كما أن المغرب المعاصر يشهد فوضى جنسية ترتكز على أسس اقتصادية الأمر الـذي أفـرزا لما مجتمعا متناقضا على مستوى نظم أفكاره وواقعه العملي المعاش الـشيء الـذي يدفعه إلى هذه الفوضى، وتبعا للدوركايم، فالفوضى تعني الالتباس أكثر من كونها تعني غياب القواعد والمعايير حيث تحدث هذه الظاهرة البنيوية عندما يتزعزع النسق القيمي الذي ساد خلال قرون ولا يعود قادرا على الاستجابة لمتطلبات الحياة الجديدة ذلك دون أن يظهر نسق جديد يعوض سابقه [15].

وفي سياق المقاومة المغربية آنذاك

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

طرحت الحركة الوطنية المغربية فكرة تحرر المـرأة للنقاش العمومي الدائر في صفوفها باعتبارها قضية محورية في مقاومة الاستعمار الفرنسي، ولو على حساب زعزعت النية التقليدية للعائلة المغربية، فالدافع الأساسي وراء الثورة النسوية التي عرفها المجتمع المغربي عقب الاستقلال تتجسد في السماح للمرأة في ولوج المدارس الوطنية والتعليم، وخروج المـرأة للعمل الذي قضى على الحدود الذكورية التي كانت مقسمة للمجال بين عام للرجال، وخاص للنساء.

الأمر الذي يخالف النسق الإسلامي التقليدي الذي يعتبر أن المكان الملائم للمرأة هو بيتها وخضوعها لمراقبة الرجال. كما أن المال والجنس محددان من محددات المكانة والهوية الاجتماعية للجنس، الأمر الذي يكشف لنا وجود أزمة اقتصادية، ونسيج ثقافي مترهل.

يتحدد الشرف بمعايير تتعلق بالجهاز التناسلي الأنثوي وحتى الذكوري الأمر الذي أدى إلى القمع والكبت الجنسي للحياة الجنسية للرجل وللمرأة على حد سواء الأمر الذي لم يساعد على الإستقرار النفسي وتحقيق البهجة، وإنما ساهم في تعقيد المشهد العام، وإنتشار طرائق تتم من خلالها تغذية هذا العطش الجنسي بوسائل بديلة كممارسة الشدود الجنسي، ومضاجعة الحيوانات، وممارسة العادة السرية،- كلها أمور يدينها النسق العام للمجتمع بالرغم من كونها ناتجة عنه- كدليل على الكبت الجنسي الذي يعاني منه. فالقمع الجنسي للرجل وللمرأة يـؤدي إلى البحث عن البدائل، وهذا الكبت الجنسي والسياسي والاقتصادي ينعكس على العلاقة العمودية مع بنية العائلة حيث أن الشاب المكبوت جنسيا وسياسيا واقتصاديا يفجر كبته بطريقة عدوانية على أسرته، ومن هم أضعف منه، كما أن المشهد المعاش في واقعنا اليومي ينم عن اتصال قوي بين الجنسين كثورة على الأنماط التقليدية السائدة، وذلك راجع للسهولة الاتصال والالتقاء. فهل تزول الهيمنة الذكروية بزوال القمع الجنسي والسياسي ؟

إن الهندسة الاجتماعية حددت طبيعة العلاقة بين الجنسين كعلاقة عداء وصراع، وتبعية دائمة، لأنه منذ الطفولة

الهوامش

15 - Emile Durkheim, l'éducation morale, in Selected Writings, G. Giddins,Cambridge Universty Press,1972, p.174.

تتم تنشئة الطفل على الافتخار بقضيبه، وتبعية الأنثى له، كما أن بنية المجتمع القاعدية توجهها الرقابة الثقافية على السلوك الجنسي الأنثوي.

خلاصة

إن الـقـراءة المقدمة في كتاب فاطمة المرنيسي الموسوم بـ ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية هي تحليل للبنية الثقافية للعائلة المغربية كعائلة هرمية ذكورية، الأمر الذي أفرز مجتمعا مهيمنا ذكوريا يوجه التنظيم الجنسي، وذلك عن طريق تقسيم المهام والمجال، فالمجال المفتوح للرجال، أما المجال المغلوق فمكان النساء، ومن ثمة تكون إفرازات الثقافة هي الجنس الفوضوي.

إن المبدأ الـذي ترتكز عليه بنية الأسرة المسلمة هو الهيمنة الذكورية المتجذرة في الثقافة الشعبية للمجتمعات الاسلامية، ومنع كل أشكال التجديد التي تحاول من خلالها المـرأة إبـراز نفسها كذات مستقلة قادرة على التحكم في نفسها وفي تقرير مصيرها كحق كوني فوق كل الاعتبارات، إذ يشكل المنع والمراقبة الدائمين لسلوكيات المرأة مفتاحا أساسيا لفهم الديناميكية الجديدة لأبنية العلاقة بين الجنسين. فهل نحن أمام ثقافة جنسية مترهلة؟ الأمر الذي يفهم منه أن المشروع المؤسس للرؤية الفكرية العامة لفاطمة المرنيسي يشكل ثورة على النسق الفقهي المفسر للنصوص الدينية على أساس ذكوري، وبذلك تعتبر أن الإسلام لم يظلم المرأة، وإنما الخطاب الفقهي الإيديولوجي الذكوري السائد هو الذي ظلم المرأة من خلال تفسيره للنصوص، وتأويلها ذكوريا.

إن دينامكية العلاقة بين الجنسين وفق المشروع المرنيسي يجب أن تكون خاضعة للديمقراطية العلاقة بين الرجل والمرأة، وذلك من أجل بناء أسرة سليمة غير مرتبكة يطبعها التوافق والانسجام مع الذات، ومن ثمة تكون قادرة على خلق أجيال مستقرة على المستوى العاطفي والنفسي والثقافي، الأمر الذي يفهم منه أن فاطمة دعت إلى الحياة المدنية.

وفي الأخير يمكن القول أن قضية المرأة هي القضية الأساسية التي كرست لها فاطمة المرنيسي حياتها وفق تحليل بنيوي يعيد قراءة التراث الديني وينتصر لحرية المـرأة والتي تؤسس المشروع الحداثي في المجتمعات الإسلامية، غير أنه هناك إشكالا يطرح نفسه وبقوة في هذا الصدد: فهل مقاربة النوع هي مقاربة علمية أم خطاب إيديولوجي؟ ■

الهوامش

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري.
- المرنيسي فاطمة، نساء على أجنحة الحلم، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، الطبعة العربية الأولى، الدار البيضاء، 1998.
- المرنيسي فاطمة، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، 2009.
- Emile Durkheim, l'éducation morale, in Selected Writings, G. Giddins,Cambridge Universty Press,1972.
- - Paul Pascon et M. Benthar, ce qui disent 269 jeunes ruraux B.E.S.M. janvier, Juin, 1965 xxxi, n 11-13.

الإسلام والديمقراطية

سعاد زبيطة
باحثة في التاريخ

قبل الغور في كتاب فاطمة المرنيسي «الخوف من الحداثة: الإسلام والديمقراطية»، الصادر في ترجمته العربية من طرف محمد دربيات،نستحضر أولا قراءة خاصة لعنوان الكتاب والذي يتكون من أربع كلمات: «الخوف، والحداثة، والإسلام، والديمقراطية»، وهل هناك كلمات تثير النقاش والجدل أكثر من هذه الكلمات الأربع. فنحن إذا أمام عنوان دال ممتد وعميق، يجمع بين مختلف التخصصات تقريبا.

فالخوف لغة هو الدعر والفزع والرعب، وهو الشعور الناجم عن الخطر أو التهديد المتصور، قد يدفعنا إلى مواجهة ما يخيفنا من الدفاع الغريزي الى المقاومة أو الهروب منه وتجنبه.

والمقصود بالخوف هنا كظاهرة تقيد الإنسان وتقيد حريته وإبداعه، ومن تم تحاول الكاتبة فاطمة المرنيسي تسليط الضوء على ثقافة الخوف التي ارتبطت ب «صدام الحضارات» والتي أصبحت تأخذ منحنى يشكل حلقة تحيط بالإنسان العربي، وتمنعه من ممارسة حياته بشكل طبيعي وتقيد إبداء رأيه أو التصرف بحرية مطلقة أو التفكير بطريقة مختلفة عن الآخرين، وبالتالي هو خوف بلا حدود.

الحداثة «Modernity» باللغة الإنجليزية، والمُحْدَثفي اللغة العربية هوالجديد من الأشياء[1]،وهو مصطلح له جملة مقومات متداخلة ومترابطة، ظل يشوبه الالتباس والغموض لارتباطه بحقول معرفية عديدة، واستخدامه في مجالاتمختلفة.استقطباهتماماالأدبا ء والمفكرينوالفلاسفة وعلماء الاجتماع منذعصرالنهضةحتاليوم واحتلمكانة مميزةفيالأنساقالفكريةالحديثة.يوازي معناه الشيء الجديد، والذي يعطي صورة معاكسة عن الشيء القديم[2]. وتعرف الحداثة أيضاً بأنها: الانتقال من حالة قديمة إلى حالة جديدة، تشمل وجود تغيير ما، في المجال العلمي والتقني والاقتصادي والسياسي والأدبي والفني... ويمكن أن نربطها بما شهده القرنين الماضيين من كم هائل من الاكتشافات والاختراعات يفوق بأضعاف مضاعفة ما حققته الإنسانية على مدى ألوف السنين السابقة.

الحداثة الّتي تعنيها باحثتنا، هي الحداثة التي قضت أزيد من ثلاثة قرون تتبلور وتتشكل هناك في الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، والتي اعتبرها العالم العربي والإسلامي منمحد ثاتالأموروماابتدعهأهلالأهواءمنالأشياء

الهوامش

1 - ابنمنظور، لسانالعرب،ج 2،بيروت،1955، ص. 907.

2 - https://mawdoo3.comc

التي همعلىغيرها[3]. وهي التي تحدث عنها محمد أركـون تتخطّى حـدود الزّمن وتلغي حواجزه، فهي أكبر من أن تـــؤطَّر بسياج التّاريخ[4].

الإســلام، وهو اصطلاحاً اسم علَم يدل على الدين الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، ليكون خاتماً للأديان والشرائع السماوية ومهيمناً عليها، وقد سمي أتباع هذا الدين بالمسلمين.ولغة هو الانقياد والطاعة والاستسلام، وقد وردت كلمة الإسلام والمسلمين في القرآن الكريم في آيات كثيرة وتعني إخلاص العبادة لله تعالى. والمسلم له عقيدته التي تميزه عن غيره من أصحاب الملل الأخـرى، وهي عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، وهو كذلك يستند في حياته إلى شريعة تتضمن موروثاً فقيهاً شاملاً لجميع جوانب الحياة سواء كانت عبادات أو معاملات[5].

والإســـلام الـــذي تعنيه فاطمة المرنيسيهنا هـــو الإســـلام المنتشر كـديـنـوكـعـقـيـدةوشريـعـة وأخـــلاق، ومعاملات وعلاقته بالغرب.

والديمقراطية هي كلمة يونانية الأصل dēmokratíaوتتكون من كلمتين إغريقيتين:dêmos «الشعب»وkrátos «الحكم أو السلطة»[6]، «( )، بمعنى حكومة الشعب، أو سلطة الشعب، والشعب بالمفهوم الديمقراطي يحكم نفسه بنفسه، وهو مصدر السلطات في الدولة، فهو الذي يختار الحكومة، وشكل الحكم، والنظم السائدة في الدولة، السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية. وتتمحور الديمقراطية إذا وحسب تفكير فاطمةالمرنيسي حول تشكيلة مدهشة من الحريات والامتيازات والحقوق الممارسة. وتعتبر فاطمة المرنيسيالديمقراطية أجمل ثمرة وصل إليها الغـرب، تجعل من النساء والـرجـال على حد سـواء، مكونين متساويين يشتركان في إقامتها وتدعيمها.

من خـلال تفكيك العنوان وبناء عـلى المـقـدّمـات المستوعبة بصورة مكثفة في عنوان الكتاب، بمصطلحاته المثيرة والباعثة لتصفح هذا الكتاب، لا شك أننا سنكون أمام قراءة جريئة لفاطمة المرنيسي، لفهم معضلة علاقة الإسلام بالديموقراطية والحداثة. فكيف سنستوعب صدمة حرب العراق كحدث ملتهب والجمع بين مفاهيم الحداثة والإسلام والديمقراطية في العالم العربي الإسلامي؟ كيف قاربت فاطمة المرنيسي هـذه المصطلحات وربـطـت بعضها ببعض؟

إن موضوع الكتاب يتمز بطابعه الموصول بالخوف من سؤال الحداثة كما تبلورت في الأفكار الاجتماعية والسياسية الإصلاحية التي واكبت مشاريع التغيير والتحرير في العالم العربي والإسـلام والديمقراطية. فالمخاوف كثيرة ومتعددة: الخوف من الحرب، الخوف من الغزو المرعب، الخوف من قـدرة الولايات المتحدة، الخوف من الغرب كموطن لكل جديد وغريب، الخوف من الزمن الغربي الذي أصبح عالميا وإلزاميا... خوف لم يحول دون خـروج النساء العربيات الصامتات والمطيعات عادة، في كل من تونس والجزائر والرباط وفي مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي، معبرات عن خوفهن، فكن سباقات إلى ارتجال الاعتصام والمسيرات المنَدِّدَات بالحرب على العراق وبالسياسة الأمريكية في المنطقة.

انطلقت فاطمة المرنيسي من حرب الخليج باعتبارها الزلزال الذي عصف بمنطقة الخليج- وما خلفته من إرث صعبٍ على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، هذه الحرب التي بدأت حسب تعبير فاطمة المرنيسي: «بدأ الأوربيون بالنسبة للجماهير العربية، قبيل قصف بغداد مباشرة، بدوا بصورة الباعثين للمبدأ الديمقراطي الذي يقترح حل مشكلة العنف»[7]، وانتهت بتلقين العرب درسين هامين أولهما: أكدت لهم أنه لا يمكن لأية حـدود مكشوفة أن تحميهم من الغرب، وثانيهما: أنه عندما يبلغ الضعف حدا معينا يصبح الرعب غير محتمل. ويزيد من ضعف العرب خلال هذه الحرب في كونهم يقاومون الغرب بأسلحة لا يصـنعونها هـم أنفسـهم. وهنا تكمن قوة هذا الغرب، قوة بسبب ما حققه من تقدم تكنولوجي وفكر متنور في الوقت الذي لا زال فيه العرب يتغنون بماضيهم المجيد، من دون أن يرى ما تجاوزه الزمن، وما تكرس من فوارق كبيرة بين الواقع الراهن للعالم العربي، وما حققه الغرب من تقدم حضاري على جميع المستويات.وهو أمر يضع حواجز

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

ضخمة ضد مواكبة الإسـلام للحداثة، وللغرب الغريب عنه والـذي يحمِّله مسؤولية تأخره وتخلفه، بسبب تاريخ المجازر والمذابح والسياسة الاستعمارية. مما جعلهم سجناء تاريخ يعوق الحداثة في خيار تعارضي حتمي[8].

تعتبر الكاتبة فاطمة المرنيسي أن الـعـرب كغيرهم مـن شعوب العالم الثالث، لم يحصلوا مطلقا على إمكانية الوصول المنتظم إلى ذلـك المكتسب الـعـصري المتأصل في «فلسفة عصر التنوير بثورة فكرية سمحت بتجاوز علوم القرون الوسطى الكونية، وعهد الإصلاح»[9].

بمعنى لم يفكر المسلمون بظاهرة الحداثة كانقطاع عن الماضي، وإنما إعادة الارتباط به، ليستمر النقاش بقوة حول الخوف من الإسلام والحداثة، والخوف من الإسلام والديموقراطية. وفي محاولة لتحليل هذه العلاقة وفهم أكثر لهذه المعضلة الثقافية والسياسية، تعود بنا الباحثة إلى الزمن الإسلامي الأول، زمن الفرق الثائرة في بداية الإسلام والذين ترتبط ذكراهم بالإرهاب والفوضى، زمن المعارضة السياسية الأولى في الإسلام والتي يمكن اعتبارها الإرهاب السياسي حسب تعبير الباحثة، زمن الخوارج وبعدهم المعتزلة، مستشهدة بقصة الخليفة المأمون والصوفي الذي يكشف في آن واحد روعة الإسـلام، والهشاشة المأساوية لنظامه السياسي،مستحضرة سؤال الصوفي:»من أعطاك هذا العرش؟ هذا العرش الذي تجلس عليه، أتستحقه بالاتفاق الكلي، مع إجـماع المسلمين عليك أم بالعنف الذي مارسته عليهم، أم بالمغالبة لهم وبالقوة؟».بمعنى الدعوة إلى استعمال العقل وتمجيد الحكمة، الذي برز مع المعتزلة كفكر فلسفي أضاء الساحة السياسية وأدخل عليها مفاهيم جديدة، بـدءاً من مصطلح «اعتزال»، أي اتخاذ موقف الوسيط، أو «منزلة بين المنزلتين»إلى «الموازنة» بين الدليل وعكسه والتأمل.

عـادت فاطمة المرنيسي إلى زمن الإسـلام الأول، بل عـادت في كثير من الأحـداث إلىالعصر الجاهلي لتعيد قراءة التراث العربي والإسلامي بأدوات جديدة، وبعقلية معاصرة، منطلقة من تجارب مختلفة، مؤكدة أن العالم العربي والإسلامي عرف تطورا للمدارس الفقهية والفلسفية تسير نحو الانفتاح والتطلع الديمقراطي، بل كانت بعض التجارب

الهوامش

3 - المعلم بطرس البستاني، محيطالمحيط،مكتبةلبنانناشرون،بيروت،1977 ، ص. 200.

4- https://www.arab48.com/التراث-والحداثة-لدى-الجابري-وأركون

5- https://mawdoo3.com/موضوع الإسلام

6 -) https://www.hespress.com/writers/312614.html

7 - المرنيسيفاطمة،الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، ترجمة محمد الدبيات، دار الجندي، سورية- دمشق، 1994، ص. 10.

8 - المرنيسي فاطمة، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، م س، ص. 58.

9 - نفسه، ص. 63.

في العالم العربي والإسلامي رائدة في هذا المجال. وهو ما عبر عنه المفكر المغربي محمد عابد الجابري في مؤلفه «نحن والتراث» و كتابه «تكوين العقل العربي»، غير أن هذه الكتابات لم تترجم إلى لغات أخـرى، ولم تتابعها محطات التلفزة، وفي هذا الصدد يقول محمد أركون أن الكتاب العلمي لا ينتشر إلا بصعوبة في البلدان الإسلامية[10].

كما أن الدول العربية وجدت نفسها مرغمة لكي تدافع عن نفسها اتجاه الغرب المستعمر، الغير القادر بدوره على تصدير فلسفته الإنسانية، مضطرة للتمسك بتقاليدهاوالتحصن بماضيها، والعجز عن تحقيق ثورة فكرية والوصول إلى ذلك المكتسب العصري المتأصل في «فلسفة عصر التنوير».

عكس ما عبر عنه الغربيون تعتبر كلمة «الحرية» في العالم العربي مرادفة لكلمة الفوضى، فتبدأ حياتنا بالتفكير أن حرية الرأي لها حدود، وأنها مراقبة جيدا. فهناك حدود لا يجب تجاوزها. ومفهوم الحدود هذا هو ما تأثرت به فاطمة المرنيسيفي تربيتها داخل الأسرة والشارع والكتاب، والتي تعلمت من خلاله معنى الحدود بين الجنسين، وهو ما تناولته في كتاباتها المتنوعة، وهو أيضا ما اشتغلت عليه في تجاذبها بين الغرب والعالم الإسلامي، وهو ما أزاحته حرب الخليج. وبتتبعنا للخط المرنيسي في كتابها «الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية»، تنتقل الباحثة للحديث عن الخوف والديمقراطية، إلى خوف أصحاب القرار في الـدول العربية من الديمقراطية التي هي أجمل ما وصلت إليه دول الغرب، واعتبارها متناقضة تناقضا مطلقا مع مصالحهم، تقول المرنيسي: «الجدل المثار حاليا هو أننا لا يمكن أن نكون مسلمين وأن نحصل على الديمقراطية في الوقت نفسه. لأن هذه الأخيرة غريبة عن ثقافتنا.[11] وما يلائم الدول يلائم الأفراد كذلك.وفي بحر تعداد أسباب «خـوف» المسلمين من الحرية والديمقراطية، تشير الباحثة إلى كونرجالالأعمال والمستثمرين في البلدان العربية والإسلامية يهـابون الديمقراطية كذلك، لأنها في غير صالحهم فيما يخص قانون الشغل وحقوق العمال. ما يجعل العمال والعاملات يعتمدوا على الله كحامٍ لهم ولهن، نموذج مينا العاملة بمعمل الـزرابي التي أدرجـت الكاتبة حوارها،والتي اعتبرت الرجوع إلى الله نوعا من الرجوع إلى نقابة مثالية، تدافع عن الحق وتحقق العدل.

والواضح أن فاطمة المرنيسي أثارت مسألة الحداثة والديمقراطية شأنها في ذلك شأن جمهور المثقفينالأكاديميينالعرب والمسلمين الذين انفتحوا على دراسات الغرب ونهلوا من فلسفتهم، واصطدموا بما كشفت عنه حـرب الخليج، وما كشف عنه الشارع الغربي الرافض لهذه الحرب التي تسلحت بمبادئ القانون الدولي، ووظفت ميثاق الأمم المتحدة، من تناقض بين الحكومة والشعب الذي استوعب اللعبة السياسية وتأكد من أن هذه الحرب لم تكن إلا من أجل البترول، ولم يكن القانون الـدولي إلا غطاءً، والمبادئ الأخلاقية إلا ذريعة. وقد يكون وهم تدخل الغرب لحل أزمة الشرق من الأوهام السياسية والاقتصادية التي يجب أن نستوعبها في عالمنـا العربي المسـلم، فكل شيء كان مغلف بالأسرار والمصالح، والمؤامرات والصفقات المشبوهة.وهنـا يطرح سؤال، أية ديمقراطيةيدافع عنها الغرب؟

بعد هذا، تنتقل الباحثة للحديث عن التناقض الكبير الذي يمثله توقيع معظم الـدول الإسلامية عـلى «ميثاق الأمـم المتحدة»، هذا التوقيع الـذي جعلها محكومة بقانونين متباينين: القانون الـذي يمنح المواطنين حرية التفكير، والشريعة التي تدين هـذه الحرية، وذلك في تفسيرها الرسمي المرتكز على الطاعة.[12]بمعنى أن التوقيع على هذا الميثاق كان بمثابة خدعة ديبلوماسـية، أو نـوع مـن المجاملـة الديبلوماسـية. ومن تم فـرض الحجـاب عـلى «معاهدة الأمم المتحـدة» في الـدول العربيـة، ولم يتم نشره أو بث بنوده في التلفزة العربية لاعتباره غريب عنهم، مقابل جرعات كبيرة من البرامج الدينية التي يعدها البيروقراطيين[13]. وهذا ما أدى إلى انتشار الفكر الأصولي وأصبحت الإسلامية تعيش حسب تعبير المرنيسي بين نوعين من الأصولية: «أصولية الدولة 'الثقافية الرسمية، العوائق في وجـه التربية الديمقراطية'، والأصولية الارتكاسية 'المعارضة الإسلامية'...الإيمان والطاعة أو الحرية والإلحاد».[14]بمعنى أصبحنا نعيش

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

بين التطرف الرسمي للدولة والتطرف كرد فعل «المعارضة الإسلامية» على ممارسة الدولة لسلطتها و»اقتحام» الغرب لكل جوانب حياتها.

تستمر المرنيسي لتناقش بعض معنى المصطلحات والبحث في عمق دلالاتها، وهذا ما قامت به مثلا عندما حاولت التأصيل لمصطلحي «الملك» و»الرئيس». فإذا كان مفهوم «الملك»، لا يسبب أية مشكلة لأنه ليس جديدا، تقول: «إنها موجودة في القرآن وفي معاجم القرون الوسطى العربية. لدينا مؤلفات كاملة حول الملك: طبيعته وطقوسه ومطالبه»[15]، فإن مفهوم «رئيس» الجمهورية لا يعتبر كذلك، تقول: «لكن رئيس الجمهورية لا يشكل جزءا من تراثنا. إنه غير موجود لا في القرآن ولا في المعاجم القديمة». بمعنى أن للملك مرجعية دينية واضحة، يستغلها لتثبيت سلطته، بينما لا يتوفر الرئيس على هذه المرجعية.

تنتقل بعد ذلك لتثيرمسألة «حرية الرأي والدين» التي يتحدث عنها ميثاق الأمم المتحدة والواردة في المادة 18 من ميثاق إعلان حقوق الإنسان، وتربطحرية الرأيوالتعبيرفيالمنظورالإسلاميبالشرك وفوضى الجاهلية، أي ما قبل الدعوة المحمدية. ولهذا الشرك ارتباط وثيق، حسب الباحثة، بالخوف من الحرية الفردية ومن سلطة النساء، المستوحاة من تقديس الإلاهاتفي الجاهلية، إلاهات الكعبة، التي لم تكن على شيء من الأمومة، «الأم الرحيمة والحامية»، ولم يكن حصنها سوى بركة من الدم[16]. ومن هنا ظهور فكرة وجوب «حجب المؤنث»، للسيطرة عليهن، والاحتماء من جبروتهن وحجبهن أيضا عن حقل السلطة التي تتطابق وتمتزج بالمقدس. فأصبح لها مكانها في قصر الخليفة، خلف الحجاب في مجال الحريم، مجال الممنوع الذي يجب فصله عن مجال العنف. وانقسم قصر الخليفة إلى قسمين- كالعالم- مجال مذكر حيث يمكن للحاكم أن يسير السلطة ويدير العنف، ومجال مؤنث «الحريم» حيث تقصى المرأة عن كل ما يمكن أن تشكل تشابها مع السلطة.[17]ما نستشفه مع فاطمة المرنيسيمن هذا السلوك أن فرض الحجاب يكون على كل ما هو قوي ومُهَدِدْ، وهو ما قام به بعض الخلفاء والسلاطين للتقرب من عامة الناس والتعرف على ما يروج بينهم، وهي المؤسسة التي لا زالت حاضرة في قصور بعض ملوك بعض الدول الإسلامية.

كعادتها تقحم فاطمة المرنيسي بشكل سلس في تحليلها، قضية المرأة العربية والمسلمة وقضية الحجاب، لتبحث عن

الهوامش

10 - محمدأركون،قضايافينقدالعقلالدينيكيفنفهمالإسلامماليوم؟ترجم: هاشمصالح،دارالطبيعة،بيروت، 2000 ،ص.18.

11 - المرنيسي فاطمة، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، م س، ص. 70.

12 - المرنيسي فاطمة، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، م س، ص. 81.

13 - نفسه، ص. -91 95.

14 - المرنيسي فاطمة، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، م س. ص. 95.

15 - نفسه، ص. 96.

16 - نفسه، ص. 148.

من المعبودات:

- اللات وهي جمع إلاهات، معروفة في الجاهلية بشراستها وسفكها للدماء

- العزة التي يعني اسمها القدرة بالمعنى العسكري، وهي إلاهة دموية، يرمز إليها ب «نجمة الزهرة» أو مثلث في مربع، وهو مثلث يحيل إلى الفقر والعنف والفوضى.

- مَنَاة لها أصل كلمة منية.

17 - المرنيسي فاطمة، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، م س.، ص. 160.

ظروف وشروط هذا الحجاب الذي ربما هو سبب الخوف من الحداثة. فالحداثة لا تخلو من مظاهر التغيير والتجديد وتحرير العقل من عبودية الأنساق الفكرية القديمة كطريقة لخروج المجتمعات العربية والإسلامية من التخلف. فالنمط القديم مدعوم بتفسير ديني، فيما الجديد لا ضامن له سوى الديمقراطية، هذه الديمقراطية التي تعتبر حجر الزاوية في هذا الكتاب، طبعا إلى جانب الحداثة وعلاقتهما بالإسلام.ومن الأسئلة الحرجة التي تطرحها فاطمة المرنيسي بإلحاح هي: هل الديمقراطية دين؟وهو سؤال جوهري، لأنه يخدش اللاوعي المسلم، ويجيبنا عن سببخوف الإسلام منها. وإذا ربطنا هذا التساؤل بالخوف الذي انطلقت منه الكاتبة، خوف من ديمقراطية يفرضها الغرب ويعتبرها المسلم غريبة عنه وغريبة عن التعاليم الدينية والقوانين الدنيوية والقضائية والسياسية الإسلامية. هكذا استقبل العالم العربي والإسلامي الحداثة والديمقراطية بشيء من الحذر ومن الخوف من الفردية ومن حرية الرأي وحرية التفكير، والخوف من الزمن الغربي الذي أصبح عالمياً وإلزامياً. وهنا تتوضح تلك الخسارة المؤلمة جدا لهويتنا: «المنفى الزمني»[18]. وتعود الباحثة من جديد للحديث عن حرب الخليج وما أعادت إيقاظه في نفوس المسلمين من خوف عودة الطاغية/الجاهلية لتعيث فسادا بالبلاد والعباد.الخوف من الخيال، ومن قدرة الصور المرتبطة بالجاهلية.

لقد حطمت حرب الخليج شيئا ما في عمق ذاتنا وذلك بغرز السكاكين في الجروح الأكثر إيلاما «التبعية، غياب الديمقراطية، العجز»، حطمت دوائر الخوف العديدة حولنا، وجعلت باحثتنا فاطمة المرنيسي تطرح سؤالها من جديد قائلة: «ماذا يمكن أن يحصل للعرب أسوأ مما حدث؟[19] لقد اعتبرت أن هذه الحرب والتي ادعت أنها انطلقت لنشر «الحرية والديمقراطية»، أيقظت في نفوسنا الخوف من عودة الطاغية ليعيث فسادا بالبلاد والعباد. وهنا تستفيض فاطمة المرنيسيفي الحديث عن الرئيس الأمريكي بوش الذي ظهر بمظهر الطاغيةالمستبد المتمسك بسلطة لا تعرف أي حدود، والذي اعتبرته المرنيسي حصل على امتياز أن يقارن بفرعون، وألبسته الكاريكاتورية لباس أمير سعودي[20]. هذا الطاغية جعل الشعوب الإسلامية مضطرة للعودة إلى القديم، هذا القديم الذي تعتبره الباحثة هروبا من الحاضر وخوفا من المستقبل بسبب الافتقار للنظرة العميقة في الوقت الحاضر، والافتقار أكثر في المستقبل[21].

دائما في سياق حديث الباحثة عن حرب الخليج، تذكر أن التضامن الشعبي الذي تمتعت به العراق أثناء حرب الخليج لا علاقة له إطلاقا بشخصية صدام حسين.. لم تكن شخصية الزعماء هي التي جعلت الجماهير تقف هنا أوهناكبل هي مسألة الموقف من الطاغية. [22]لقد اعتبرت فاطمة المرنيسي أن المسألة ترتبط بإدانة مشتري ساعات كبيرة وإهدار إيرادات البترول بدلا من تمويل تعليم وتربية شباب محكوم عليه باليأس.وقبل أن تختم كتابها القيم هذا وبطريقة فنية ووفاء لمشروعها الفكري المخصص لقضية المرأة، تثير مسألة خروج النساء العربيات والمسلمات عن صمتهن، متلهفات للغوص في المغامرة والمجهول، بحثا عن الحرية التي كثيرا ما حلمن بها، تقول المرنيسي: «إنهن

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

خائفات، يتعثرن ويشعرن بالضعف، كيف يمكنهن السير بدون سلاسل؟ لكن دعوة الهروب الكبير لا تقاوم يسقطن وينهضن، إنهن يستعلمن ويقاومن... لقد عرفن أن المستقبل دائما يكمن في إلغاء الحدود، وأن المرء ولد لكي يكون محترما. وأن الاختلافات مثمرة»[23].

موقفهن هذا سيغضب الأئمة الذين تلوا طوال قرون أن الطاعة واجبة. الطاعة للزوج تعني الطاعة لله، خوفهم على فقدان هذه الطاعة هو الذي كان وراء خوفهم من الحداثة، ومن دفعها للنساء خـارج البيوت إلى الشارع. فالتعليم والعمل المأجور هو الخطوة الأولى لخروج الفتيات، بمعنى إفسادهن للنظام التقليدي وبداية الرحلة الكبرى في اتجاه مدينة بلا أسوار، مكسرات كل الحواجز التي فصلتهن لقرون عن الجنس الآخر. هذه الشريحة تقارنها الكاتبة بالمعتزلة والعقلانيين الذين حاولوا استيراد الأفكار اليونانية، ما جعلهن عرضة للحركات الأصولية المنظمة وبامتياز ضد النساء، مستهدفة بالأساس النساء المنتميات إلى الطبقات الوسطى اللواتي استطعن الوصول إلى التعليم وإلى العمل العالي الأجر.فالمعارضة المتطرفة ليست هي فئة النساءالبروليتاريات القليلة الأجر والغير محمية نقابيا والمكبلة بالأصفاد «الأطفال، الفقر، الجهل، الأمية إلخ»، بل هن النساء المتمتعات بكل امتيازات الحداثة المرئية، وبالخصوص الأكاديميات منهن، المناضلات مـن أجـل حقوق المـرأة، من أكثرهن نبلا إلى أكثرهن شعبية، بتهمة الدفاع عن مبادئ أجنبية «معاهدة الأمم المتحدة»، تحت ذريعة كونها مخالفة للدين رغم أن أغلبية الدول العربية والمسلمة موقعة عليها، ومهتمات بموضوعات كانت لوقت قصير تعتبر طابوهات، وبالخصوص موضوع الجنس، وهنا نشير إلى الكاتبة العربية والمصرية نوال السعداوي.

في سنوات الثمانينات زلزلت نساء السعودية القاعدة العامة، بحصولهن على شهادات جامعيةليشوشن على النظام ويفاوضن حول الحصول على حريتهن وحول المساواة في إطار علاقات ديمقراطية واستمرت ثورتهن إلى اليوم على الكثير من الأشياء. ولم تقف المرأة العربية المسلمة حسب باحثتنا فاطمة المرنيسي عند هذا الحد، بل أقدمت على المزيد من التسلل في الحياة السياسية، واقتحام مهن ظلت حكراً على الرجال، إن على المستوى التشريعي أو التنفيذي فأثبتن واقعيا وعمليا وبلغة الواقع الذي لا يفسح مجالا للشك عن قدراتهن المهنية والتسييرية.

ختاماً نقول، إنّ هذا العمل الذي أردنا من خلاله التّعرّف على ما تناولته الباحثة السوسيولوجية في كتابها «الخوف من الحداثة، الإسـلام والديمقراطية»، والذي لا يمكن أن نعطيه حقه في هذا العرض الوجيز،هو مؤلف من نوع خاص، ومن تجربة مرنيسية مختلفة، بروح نضالية،انطلقت فيه من حرب الخليج، وتناولت فيه تباعا حضور المرأة في الفكر ومكانتها، في السياق المجتمعي والحضاري العربي والإسلامي بالأساس، مركزة على جملة من القضايا التي بدت بشكل متواصل من عهد الجاهلية إلى تاريخ كتابة مؤلفها، في حاجة إلى إعادة القراءة وإعـادة الفهم، باعتبارها من صلب السياق التراثي العربي والإسلامي

الهوامش

18 - نفسه، 180.

19 - نفسه، ص. 190.

20 - المرنيسي فاطمة، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، م س، ص. 138.

21 - نفسه، ص. 146.

22 - نفسه، ص. 142.

23 - المرنيسي فاطمة، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، م س، ص. -192 193.

أوّلا، وفي صلب المسائل الحيوية التي ارتبطت بالتاريخ الحديث والمعاصر وما واكبه من مشاريع الحداثة والديمقراطية والحرية ثانيا. واستطاعت في كل هذا أن تمنح نساء الوطن العربي والإسلامي ملامح متعددة، تحكمت فيها مجموعة معقدة من الظروف، في تجاذب مع الغرب. ونحن على يقين أنه لن توجد ديمقراطية في المجال السياسي ولا في المجال الاقتصادي ما دامت المرأة لم تتحرر بعد، كما أن ترسيخ فكرة الحداثة والديمقراطية في مجتمعاتنا مرهون، بتجاوز صناعة الخوف والتخويف من الداخلوكسر القيود التي تعوق نصف المجتمع عن الإبداع والمشاركة في التنمية المستدامة. ■

البيبليوغرافيا

أركون (محمد)،قضايافينقدالعقلالدينيكيفنفهمالإسلامماليوم؟ترجم: هاشمصالح،دارالطبيعة،بيروت2000.

بطرس البستاني، محيطالمحيط،مكتبةلبنانناشرون،بيروت،1977 .

بلعربي (عائشة) إشراف، النساء والديمقراطية، سلسلة مقاربات، الفنك، الدار البيضاء، 2000.

ابنمنظور، لسانالعرب،ج 2،بيروت،1955.

الجابري (محمد عابد)، الديمقراطية وحقوق الإنسان، مركز دراسة الوحدة العربية، لبنان، 1994.

الكواري (علي خليفة)، المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.

المرنيسي (فاطمة)، الخوف من الحداثة الإسلام والديمقراطية، ترجمة محمد الدبيات، دار الجندي، سورية- دمشق، 1994.

التراث-والحداثة-لدى-الجابري-وأركون/https://www.arab48.com

موضوع الإسلام/https://mawdoo3.com

https://mawdoo3.com

https://www.hespress.com/writers/312614.html

بنية العلاقات و الأدوار الأسرية بالعالم الإسلامي و هندستها الاجتماعية

رشيدة بوشتى [1]
باحثة في علم الاجتماع

يعد التغير الاجتماعي ظاهرة ملازمة لكل المجتمعات البشرية منذ القدم، فليس هناك ثبات في أي مجتمع من المجتمعات، فالتغير يظهر على حياة الشخص وسلوكه والجماعة التي ينتمي إليها الأسرة والحي والتنظيمات الدينية الأخـرى. حيث أن التغير هو الخاصية الأساسية التي تطبع المؤسسات الاجتماعية كشكل مرتكز أساسي للدارسين بالعلوم الاجتماعية وبعلم الاجتماع على وجه الخصوص، وبما أن الأسرة أول وحدة يبنى ويؤسس عليها المجتمع شكلت اللبنة الأولى للعديد من الدراسات التي قام بها باحثينسوسيولوجييننبالمجتمع المغربي.

تعد فاطمة المرنيسي من الباحثين الأوائل المتصدرين للأبحاث حول الأسرة والمرأة بالمجتمع المغربي، حيث جعلت الانطلاق من طابو الجنس لمعرفة وضعية المرأة ومكانتها وفق سياقات مختلفة، ولمعرفة مقدار الهوة التي تفصل بين الرجل والمرأة بالمجتمع ليس بالاختيار السهل، وإنما يحتاج من الجرأة القدر الكبير لاعتباره يدخل ضمن حميمية الأسرةوانـعـكـاس هـذا الـوضـع سلبا على مكانة المرأة وجعلها تابعة الأمر الذي سنكشف عن تبعياته في الورقة التفصيلية المتعلقة بالموضوع. ومعرفة إلى أي حد استطاعت سبر أغوار التبعية والهيمنة التي تعيشها المرأة من خلال رصد الـشروط التاريخية والاجتماعية المؤسسة لها.فإلى أي حد استطاعت الباحثة فاطمة المرنيسي البرهنة على أن مكون الفعالية الجنسية وما يرافقه من قيم اجتماعية مقياس حقيقيلحضور ومكانة المرأة في علاقتها بالأسرة والمجتمع على حد السواء؟ ماهي أوجه التشابه والاختلاف بين الأسرة المغربية التقليدية والمعاصرة؟

لسبر أغوار كتاب ماوراء الحجاب نستعين بعدة منهجية متنوعة تضم المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي المقارن لتتبع مراحل تطور فكرة تأثير الجنس في رسم الآليات المتحكمة في وضعية ومكانة المرأة بالأسرة، كما أننا سنعمل على تفكيك عنصر المكان كأداة للتقسيم الاجتماعي لـلأدوار وتحديد المكانة بالأسرة التقليدية والمعاصرة معا.

أولا : تـحـديـدات مفاهيمية

1. مـــــفـــــهـــــوم التغيرالاجتماعي

إن التغير الاجتماعي هو ظاهرة ملازمة لكل المجتمعات البشرية منذ

الهوامش

1 - أستاذة زائرة بكلية ابن طفيل بالقنيطرة، باحثة بعلم الاجتماع

القدم، فليس هناك ثبات واستمرارية في أي مجتمع من المجتمعات، فكل تغير يظهر على حياة الشخص وسلوكه والجماعة التي ينتمي إليها كالأسرة والحي والتنظيمات الدينية الأخرى.[2]

كما يعرفه أحمد زكيبدوي: أنه كل تحول يقعفيالتنظيمالاجتماعيسواء فيبنائهأوفيوظائفهخلالفترةزمنيةمعينة ،والتغيرالاجتماعيعلىهذاالنحوينصبعلىت غيريقعفيالتركيبالسكانيللمجتمعأوفيبن ائهالطبقي،أونظمهالاجتماعية،أوفيأنما طالعلاقاتالاجتماعيةأوفيالقيموالمعاييرا لتيتؤثرفيسلوكالأفراد، والتيتحددمكانته موأدوارهمفيمختلفالتنظيماتالاجتماعي ةالتيينتمونإليها. و يركذلكأنالتغيراتالا جتماعية تأتيعلىأشكالمتعددة منهاالتغير فيالقيمالاجتماعيةوالتيتؤثربطريقةمباش رةفيمضمونالأدوارالاجتماعيةوالتفاعلال اجتماعيوالتغيرفيالنظامالاجتماعيأيفيالم راكزوالأدوارالاجتماعية[3].

2 . مفهوم الدور الاجتماعي

إن الأدوار هي رباط اجتماعي يحدد توقعات والتزامات تقترن مع الواقع الاجتماعي[4]و للدور أهمية قصوى لتوجيه للأفراد عن كيفية تصرفهم وانجاز أنشطتهم وهو بهذا المعنى يمثل طابعا اجتماعيا لتتبعه لأنماط منتظمة ومتعددة، فالدور يصنع تمييزا بين الأفراد تبعا للدور المتوقع ممارسته في الحياة الاجتماعية[5]. وتأثرت Alice بتناولها

لمفهوم الدور بخلفيتها التعليمية بجامعة هارفارد حيث رصدت أن المنظرين لمفهوم الدور تمتد الى كتاب مثل جورج سيميل وجورج هربرت ميد ورالف لينتون وفيما بعد مع الكتاب المعاصرون مثل جوفمان، واعتبرروا مفهوم الدور مفهوم التكاملية والمركزية في العلوم الاجتماعية من خلال دراسة علاقة الفرد والبيئة الاجتماعية، فتوقعات الدور موجودة في عقول الأفراد ويتم تقاسمها مع الناس الآخرين الذين ينتجون الإجماع الاجتماعي.وينسب مفهوم الدور في معناه السوسيولوجي إلى لينتونLinton حيث يعتبر بأن تنظيم يتضمن مجموعة من الأدوار متمايزة تقريبا ويمكن تعريفها بصفتها أنظمة إلزامات معيارية يفترض بالفاعلين الذين يقومون بها الخضوع لها[6] .

كما أن الدور هو مجموعة من السلوكات التي تتصف وتشترك في مكانة أو وضع اجتماعي مثل : المهني كما يتصور الدور ويقارن بالفاعل واللعب.[7] لاعتبار مفاده أن أصل مفهوم الدور مرتبط بميدان المسرح من خلال العروض التي يقوم بها صاحب الدور أمام الجمهو، فيما بعد أخذت العلوم الإنسانية لاسيما علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع تعبير الدور حيث يميل كل عضو من هذا المجتمع إلى إظهار عدة سلوكات تميز شخصيته كما هو الحال في المسرح وقد يكون الدور نفسيا أو اجتماعيا[8] .

إضافة إلى ذلك يمكن أن نتحدث عن ازدواجية في الدور تمنح الأفراد الذين يحتلونها درجة من الحرية تضمن لهم مقدار معينا من الأفضل من بين الأدوار التي يقومون بها، حيث أن شروط تغيير الأدوار وازدواجيتها أيضا سمة مميزة لعمل نظام الأدوار، كما شدد Goffman على الشخص الذي يلعب دورا معينا أن يعترف بوجود مسافة بينه وبين دوره، كما أكد بارسونزParsons على مسألة شروط تغير الإلزامات المعيارية المقترنة

بالدور[9] .

مـن خصائص الــدور أيـضـا أن الفرد الشاغل لمكانة معينة يؤدي عدة أدوار تتحدد بعلاقته مع الأفراد شاغلي المكانات الأخرى عندما يتفاعل معهم في إطار التوقعات السلوكية المنتظرة منه حيث[10]أن إن الأدوار مرنة حيث يمكن بناء هويات متعددة في دور واحد مثلا الأم يمكن أن تلعب دور المربية والموفرة للموارد المالية.

3. المــــركـــز والمــكـــانـــة الاجتماعيين:

ويرتبط مفهوم الـدور بمفهومي المركز والمكانة الاجتماعيين، فالمركز لا يشير إلى المكانة بل إلى الوضع في البناء الاجتماعي، حيث يتخذ الإنسان عدة مراكز منها ماهو موروث وأخرى مكتسب كالمركز الزواجي، والمهني فكل مركز يتطلب سلوكا معينا يسمى الدور.[11]كما ميز رالف لينتونLinton. R بين نوعين من المراكز الاجتماعية، المراكز الاجتماعية الموروثة والأخرى المكتسبة فالأولى يرثها الفرد عن والديه أو يفرضها النظام الاجتماعي ولا يمكن لإرادة الفرد التدخل فيها، وذكر ريموند فيرث R. Firth أربعة أسس تؤدي إلى ظهور المراكز الموروثة وهي الجنس والسن والموطن والقرابة، حيث نجد في الجماعات الأولية تمييز بين مركز الذكر ومركز الأنثى على أساس أنها ترتكز على الظروف البيولوجية... هذه المراكز الاجتماعية الموروثة اقترنت بالتقدير وتمييز الاجتماعي لها بين مختلف الأدوار الاجتماعية التي يؤديها الذكور والإناث، الكبار والصغار، الأقارب والأجانب في النسق القرابي، وتعامل كمراكز متباينة، الخطوط الفاصلة بينها واضحة المعالم[12].

في حـين يشير مفهوم المكانة الاجتماعية إلى موقع الفرد على مستوى النسق الاجتماعي أو المجتمع ككل فالمكانة عبارة عن عدة مراكز اجتماعية يشغلها الفرد في المجتمع، وتتحدد المكانة بناء على هذه المراكز، وتخضع للمعايير والقيم الاجتماعية ...، وقد يصنف المجتمع المكانة الاجتماعية بناءا على المراكز التي يشغلها الفرد كتصنيف اقتصادي على أساس طبيعة المهنة أوحجم الدخل الشهري، أو على أساس الانتماء العائلي والقبلي وقد يكون تصنيف على أساس سياسي تبعا للسلطة التي يمتلكهاالفرد. [13]

ثانيا: فاعلية المرأة جنسيا وتمثل المجتمع

يعد كتاب ماوراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية للباحثة فاطمة المرنيسي هو بمثابة أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع العائلي سنة

الهوامش

2 - L, Spindler. Culture change and modernization, mini- models studies Waveland, Press enc, 1977. p 55

3 - أحمدزكيبدوي،معجممصطلحاتالعلومالاجتماعية،انجليزيفرنسيعربي،مكتبةلبنانساحةرياضالصلح، بيروت،1982 ،ص 382

4 - خليل العمر، م، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن،2006، ص362 .

5 - WENDY WOOD AND ALICE H EAGLY. SOCIAL ROLE THEORY. UNIVERSITY OF SOUTHERN CALIFORNIA. 2012. P 460

6 - بودون، وبوريكو. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2007. ص288.

7 - Fréderic, le baron, la Sociologie de (A à Z) 250 mots pour comprendre, dunod, Paris, 2009, p 105

8 - كتورة، ج. معجم العلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الإمارات أبوظبي، 2009، ص 392

9 - بوريكووبودون، مرجع سابق، ص 289.

10 - Merton, R, social theory and social structure, enlarged ed Edition, 1968, p384

11 - الخولي،س. الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية/ مصر، 1978. ص 119

12 - الأزهر، ع. المراكز والأدوار الاجتماعية ومحدداتها الثقافية في النظام الأسري العربي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثامن، من 77 إلى 95، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2012، اص 78 و 79

13 - الأزهر، ع، المرجع نفسه، ص 79.

1973، بعنوان إنجليزي Beyond the weil. فالأطروحة جاءت لرصد ديناميكية العلاقة بين الجنسين في المجتمع الإسلامي، وفي المجتمع المغربي على وجه الخصوص في السبعينات، وتؤكد الباحثة أنها نتائج متجاوزة في المدن نظرا للتطور الاجتماعي في المغرب، لكنها رصدت لحظة انتقالية عاشتها الأسرة المغربية من العائلة الممتدة إلى النووية.

الإطار النظري الذي اعتمدته الباحثة يحتفظ بمصداقيته حسبها ويوفر أداة لتحليل الواقع وهي النموذج المثالي عند فيبر للعائلة المسلمة كهندسة اجتماعية.هادفةمن وراء الكتاب تقديم قراءة سوسيولوجية حول التغير الذي تعيشه العائلة بالمغرب، وتعتبر الرجوع للتراث التاريخي الإسلامي ليس ترف بل لفهم الحاضر بكيفية دقيقة .

1 . نظرتين متعارضتين لفعالية المرأة جنسيا بالعالم الإسلامي

أشارت الباحثة في هذا الجزء أن الإسلام لم يمنع ممارسة الغرائز بل طريقة استعمال الغرائز هي التي ترتب جزاءا اجتماعيا فالفرد غير مجبر على العيش دون غرائز لكن طريقة توظيف هذه الغرائز قد تضر أو تفيد المجتمع، لأن الواجب على الفرد ممارسة الغرائز توافقا مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وقدمت مثالا عن دم الغضب في الإسلام لم يكن محرما لأنه محمود إن كان انتصارا للحق وإعلاء كلمة الله كما جاء في مقدمة ابن خلدون [14].

فالغريزة في الإسلام حسب الإمام الغزالي وفي كتابه إحياء علوم الدين الذي بين كيف تم دمج لخدمة الله والفرد دنيا وآخرة، لتحقيق مشيئة الله في ضمان استمرار الجنس البشري، فضبط الغريزة الجنسية من الوسائل التي اعتمدها الرسول محمد لإقامة نظام اجتماعي جديد [15]

لمعرفة مدى فاعلية المرأة جنسيا أوردتالمرنيسي التقسيم الذي قدمه جورج مردوك للمجتمعات إلى صنفين بخصوص ضبط الغريزة الجنسية الأولى تحتكم إلى الضوابط الجنسية عن طريق التنشئة الاجتماعية والثانية تعتمد التفرقة بين الجنسين التي تطبع العالم الاسلامي، فالمرنيسي تخالف هذا التصور الذي قدمه مردوك فهي ترى أن الفرق بين المجتمعات يكمن في تصور كل منهما للدور الذي تلعبه المرأة في الحياة الجنسية، فالمجتمعات التي تعزل المرأة تتصور ضمنيا أن لها دور فعال، في المقابل المجتمعات التي لا تمارس رقابة على المرأة تعتبر دورها الجنسي سلبي. وعززت أطروحتها بموقف قاسم أمين الذي يرى أن المرأة قادرة على التحكم في ميولها الجنسية أكثر من الرجل، فالفصل بين الجنسين يحمي الرجل وليس المرأة حسب قاسم أمين [16].

في نقاش حول الفتنة وربطها بالمرأة طرحت الباحثة أسئلة استنكارية من قبيل: لماذا يخشى الإسلام الفتنة؟ لماذا يخشى على الرجال من جاذبية النساء؟ وتفترض أن عجز الرجل من إرضاء المرأة جنسيا سيؤدي بها إلى البحث عن رجال آخرين وتتسبب في فوضى؟ وتفترض أن طاقة النساء الجنسية أكبر من طاقة الرجال؟

تقدم المرنيسي مضمون نظرة المجتمع الإسلامي للحياة الجنسية كونها نظرة تتسم بالتناقض والازدواجية، نظرية علنية تنظر لحياة الرجل الجنسية كونها فعالة، في حين تقدم المرأة بطابع سلبي لفعلها الجنسي. في حين تقدم النظرية الضمنية المعكوسة التي يقدمها الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين الذي يؤكد على ضرورة ضبط النساء واحتواء سلطتهن الهدامة والكاسحة [17]

كما أنالنظرية العلنية تقدمها وسائل الإعلام من خلال الأفلام والأغاني المصرية، ويقدمها محمود العقاد في مؤلفه المرأة في القران، حيث يصور أفضلية الرجال على النساء باعتبار الرجل الغازي والمرأة المغزوة، فهو يعتبر كيد المرأة ناتج عن تكوينها الضعيف، فالباحثة وصفت تحليل العقاد بضعف العمق، والمنهج المرتكز على الاستنتاج المنظم كما أنه كتابه يفتقد النضج، لذلك لم تقارن بينه وبين الغزالي وإنما ربطت الغزالي بفرويد الذي قدم هو الآخر نظرية ماشية مرتكزة على أطر نظرية متطورة منهجيا مقارنة بعمل

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

العقاد[18].

لتعميق الفهم قارنت بين المرنيسي بين الغزالي وفرويد بين من يعتبر أن المرأة سلبية وبين من يعدها ذي فاعلية على المستوى الجنسي، لكن هذه المقارنة بها شائبة منهجية لأن الأول يهدف الكشف عن العقيدة الإسلامية الصحيحة والثاني يحاول بناء نظرية علمية عالمية لكنها لن تخرج عن منطق التاريخ الخاص بفرويد، فهي مقارنة بين مفهومين مختلفين للحياة الجنسين بثقافتين متباينتين واحدة ترى النموذج النسوي سلبيا والأخرى تراه فعالا، لإبراز خصوصية النظرية الإسلامية حول ديناميكية الجنسين.[19]

اعتبر فرويد الجنس أساس الحضارة ومرتكز الإبداع المتحضر، وتساءلت المرنيسي عن السبب الذي جعل فرويد يعتبر البويضة خلية سلبية ذي دور ثانوي بالنسبة للمني في عملية التناسل بالرغم من معرفته بالحقائق العلمية البيولوجية؟واستغربفرويد من الازدواجية الجنسية لجهاز المرأة الذي يحمل صفات ذكورية وأخرى أنثوية وهو الأمر الذي انتقدته المرنيسي باعتبار علم التشريح لا يشكل أساس مقبول لتفسير الاختلافات بين الجنسين.

تقسيم الحياة الجنسية بين المذكر الفاعل والمؤنث السلبي في نظرية فرويد يمكن من فهم نظرية الغزالي حسب المرنيسي التي يغيب فيها هذا التقسيم لأن كلا من الرجل والمرأة يساهمان في الحياة الجنسية. [20] لكن الغزاليربط بين الحفاظ على النظام الاجتماعي وتحصين المرأة وبالتالي إرضاء حاجاتها الجنسية، فإذا اقتصرت المرأة على زوجها ولم تتسبب في فتنة رجال آخرين وارتكاب الزنى [21]حيث تشكل الفتنة تيمة مركزية لفهم العلاقة بين الجنسين وحفظ النظام الاجتماعي.

كما يختلف كل من الغزالي وفرويدبخصوص اللذة الممهدة للاتصال الجنسي، متأثرة بالضرورة برؤيتهم لحياة المرأة الجنسية، ففرويد ينتقد اللذة ويقلل من شأنهالأنها قد تسبب انحرافا عن تحقيق الهدف الجنسي النهائي حسبه، في المقابل يوصي الغزالي باللذة الممهدة للاتصال الجنسي ومن واجب الرجل الرجل إشباعها لأنها من حق المرأة [22]

2 . المرأة مصدر إغراء وخطر جنسي على الرجل

قدمت الكاتبة محورا فرعيا عنونته بالخوف إزاء حياة المرأة الجنسبة مقابلة فيه من جديد بين الطرح الفرويدي الذي يرى أن فعالية المرأة الجنسية سلبية ومازوشية، أما المرأة المسلمة حسب الغزالي قاهرة للرجل لفعاليتها الجنسية، فكلما التقى رجل بامرأة واجهته الفتنة خصوصا إن كانت تملك تجربة كالمرأة المتزوجة.

وأوردت المرنيسي نموذج عيشة قنديشة الجنية كرمز يجسد الخطر الجنسي الذي تشكله حيث تعترض طريق الرجال وتستدرجهموتسكنهم للأبد، كما عرضت الباحثة أداة أخرى

الهوامش

14 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، نشر الفنك، الدار البيضاء، المغرب، 1988 ، ص11

15 - المرجع نفسه، ص 13

16 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق، ص 15 و16

17 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب ،المرجع نفسه، ص 17

18 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق، ص20

19 - المرجع نفسه، نفس الصفحة

20 - المرجع نفسه، ص 24

21 - المرجع نفسه، ص 28

22 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق ص 30

تجسد نفس الـدور وهيالشعر، حيث أوردت شعر عبد الرحمان بنمجدوب الذي يشكل مثالا على هذا الخوف من النساء كقوله : المرأة سفينة عود واللي راكب فيها مفقود . [23]

توصلت المؤلفة إلى نتيجة واحدة أن كل من النظريتين الإسلامية والأوربية لنفس تعتبر المرأة قوة هدامة للنظام الاجتماعي إما لكونها فعالة حسب الغزالي أو سلبية حسب فرويد، فالنظرة فالأولى هاجمت المرأة كتجسيد للفتنة، والثانية حاربت الحياة الجنسية لاعتبارها ضد الحضارة ولارتباطها بالحيوان.

هذه الفعالية التي تمتاز بها المرأة في العالم الإسلامي فرضت نوعا من الرقابة على حياة المرأة الجنسية في الهندسة الاجتماعية، حيث أن الحياة الجنسية عرفت تطورا، بعد أن كانت الإباحية والانحلال مايميز العصر الجاهلي، ومع الإسلام باتت خاضعة للقواعد، لأن الشرع يرفض الزنا ويعتبره جريمة.

فيما بعد أشارت المؤلفة لظاهرة تعدد الزوجات كما وردت بقانون الأحوال الشخصية والمقدم بصبغة قانونية، استنادا على آيةقرآنية: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، سورة النساء الآية 3. واعتبرت أن الخوف من عدم العدل لم يحدد بشكل قانوني، بل بات محصورا على شعور الزوج . [24]

واعتبرت الكاتبة أن التعدد يشير إلى أن اندفاع الرجل الجنسي الذي يفرض عليه مضاجعة أكثر من شريكة، لكنها تساءلت ما إذا كانت الوضعيةمعاكسة أي امرأة بأربعة أزواج؟ حيث كانت المرأة تبادر لإقامة علاقة جنسية مع رجل بشكل عـادي، دون اعتبارها للسلطة خارجية أو لرأي الرجال.

وفي عهد الرسول ص كانت للمرأة الحرية تطليق نفسها وفك رابطة الزواج خصوصا بذكر كلمة أعوذ بالله منك كما حصل مع ثلاثة من زوجات النبي، وبالتالي المرأة كانت تتمتع بقدر مهم من الحرية في تقرير مصيرها، في المقابل النظام الإسلامي يقف ضد كل ما من شأنه منح المرأة حقها في تقرير مصيرها فيما يخص الـزواج، والدليل على ذلك شرط وجود الولي لإتمام العقد [25].

ويعتبر إرضاء الزوجين جنسيا شرط لاجتناب الزنى والـزواج يدل على العفة، فوجوب إرضاء الزوجة جنسيا من قبل الزوج دليل على فعالية المرأة جنسيا.

ويربط الزواج في الإسلام حق المرأة في النفقة باستجابتها للزوج وإشباع رغباته، ولكي يحصن الرجل من الزنا لابد أن تكون مستعدة جنسيا، ويحق للمرأة طلب الطلاق من القاضي إدا أثبتت عجز زوجها الجنسي، ولها الحق في الخلع والتمليك بمنح الزوجة حق التطليق.[26]

3.ملامح أبوية الأسرة بالعالم الإسلامي

أشارت الكاتبة إلى مجموعة من العناصر المشكلة للنظام الأبوي بالعالم الإسلامي وأهمها العدة لضمان صحة الأبوة فرض الإسلام فترة زمنية، تستلزم عدم دخول الزوجة في علاقة جديدة سوى بعد ثلاث دورات من الحيض. فالبنية الأسرية الإسلامية الجديدة ارتكزت على سيادة الرجل وانفراده بالمبادرة فيما يخص الزواج والطلاق وضمانات الأبوة وتحريم الزنا، والتي كلها حولت بنية الأسرة من أولى تمتلك فيها المرأة حق تقرير مصيرها وأخـرى جديدة تعزز سيادة الرجل بالأسرة [27].

فالحياة الجنسية والـزواج خلال العصر الجاهلي لم يكن مؤسسة مقننة بإجراء قانوني كما هو الحال في الزواج الإسلامي، حيث لم يكن تعدد الزوجات في مدينة مكة كما هو الحال مع ظهور الإسلام، حيث كانت المرأة تحظى بمكانة مميزة وتعيش حرية جنسية بكامل سلطتها بخيمتها بين عشيرتها، وتطلقه بسهولة بإسدال الستار دون الزوج، كما لم تكن لأبوة الدم أهمية، وبالتالي غاب مفهوم العفة.

فيما بعد أثر الزواج الإسلامي على المجتمع الجاهلي حيث ظهر تحول في نظام القرابة أدى إلى تفكك البنيات الاقتصادية والاجتماعية القديمة، فالرجل في الزواج الإسلامي مسؤول عن إشباع

حاجيات المـرأة جنسيا وماديا وأيضا مراقبتها وإخضاعها، لأن أسس البنية الاجتماعية الإسلامية هيمنة الذكور، الخوف من الفتنة، ضرورة ضمان الإشباع الجنسي للمؤمن، تبلورت في شكل قوانين وأحكام تتحكم في دينامية الجنسين في الدول الإسلامية [28]

فيما بعد تغيرت أمور نتيجة ارتباط الاقتصاد الإسلامي بالسوق العالمية وماصاحبه من تغير واندماج إيديولوجي واستيراد أفكار غربية، فالمرأة الحديثة تمثل شبح نساء الارستقراطية العربية في الجاهلية، حيث تقول المرنيسي أن المرأة بمبادرتها وتقريرها لمصيرها تشكل جزءا رمزيا محملا بالجاهلية القديمة والحديثة التي بدأت مع العصر الحديث [29]

ثالثا: الأسرة التقليدية وبوادر التغير

1 . المـكـان محدد لـلأدوار الأسرية

هذا الشق من الكتاب خصصته المؤلفة لدراسة ميدانية، حيث حاولت تقديم نمـوذج مثالي لـلأسرة، بمقارنة بين الأسرة المثالية للأسرة المسلمة وبين الواقع المغربي المعاصر، بهدف إظهار الاتجاهات التي ترسم في إطار ديناميكية الجنسين المعاصرين. مما حدى بالباحثة القيام ببحث ميداني سنة 1971 بعينة وصلت إلى 50 مقابلة تركزت الأسئلة على رأي المبحوثين حول التغيير الذي عرفته الأسرة المغربية، وكذا التغيير في وضعية المـرأة، كما أن المؤلفة حاورت نتائج بحثها الميداني بنتائج دراسـات عدة لسوسيولوجيين ك باسكونوبنطاهر والبلغيتي.

وتؤكد المرنيسي إلى عناصر منهجية كونها لا تبحث عن الحقيقة وإنما عن الشك من خلال تشكيك القارئ في معتقداته حول ديناميكية الجنسين، كما أشارت المرنيسي أنه يمكنها أن تخطأ على المستويين النظري أو الميداني، وعلى القارئ تصويب الهدف واستنتاج خلاصات مخالفة.

واستنتجت المرنيسي أن غالبية إجابات المستجوبين همت أهمية عامل المكان كـأداة للتمييز الجنسي، مما جعلها تركز على استعمال المكان من طرف الجنسين، أما الأداة الثانية هي مصلحة الإرشاد الأسري القانوني الديني التي تستقبل رسائل المستمعين وصلت ل 402 رسالة، إضافة إلى الأحاديث مع النساءعن طريق المقابلة. عينة البحث كانت مقتصرة على البورجوازية الصغيرة المدينية للدور الذي تلعبه في المجتمع بكل المستويات، ومع النساء بوضعيات عائلية محتلفة وفئات عمرية متنوعة، مع نساء تقليديات وأخريات عصريات.[30]

وتوصلت الكاتبة إلى التمييز الجنسي يتسم بالصرامة لدى النساء التقليديات، في الوقت الذي كان فيه أقل أهمية لدى العصريات سوى في مرحلة الرشد لارتباطه بالشرف. كما أن الحماة تحظى بـدور مركزي لدى التقليديات من النساء، في مقابل العصريات اللاواتي يتخذن الزوج كمحور العواطف والتطلعات. المبادئ التي تحكمت في العائلة التقليدية تدخل في صراعمياشر ضد تطلعات الأجيال الشابة، فتدخل العائلة في حياة الأبناء يعادي

الهوامش

23 - المرجع نفسه، ص 39

24 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق،ص38

25 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق، ص 46

26 - المرجع نفسه، ص50

27 - المرجع نفسه، ص 54

28 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق، ص 73

29 - نفس المرجع، ص77

30 - نفس المرجع، ص84

وحـدة الرغبات الجنسية في الخلية الأسرية.

فالتمييز الجنسي أهم القواعد التقليدية التي تحكم العلاقة بين الجنسين، حيث يقسم المكان إلى قسمين أمكنة خاصة بالرجال وأخـرى خاصة بالنساء وهو المكان المنزلي. ففي المناطق البدوية لا تصور المـرأة إلا من خلال تعابير الحاجة الجنسية بسبب الشروط المفروضة بخصوص لقاء الجنسين.الزواج المبكر في المجتمع البدوي وسيلة لتجنب الحب والعلاقة الجنسية بين الشباب، كما أنه حادث مشرف في حياة المرأة[31] لكن في المناطق المدينية يمكن للجنسين الاقتراب من بعضهم البعض عكس المناطق البدوية، والحياة الجنسية بالمدن يتسم بالصراع بين الأجيال بخصوص اختيار الشريك. حيث يدخل الآباء في صراع مع أبناءهم بخصوص اختيار الشريك، فالآباء يرون أن من حقهم اختيار شريك لأبنائهم في حين يرى الأبناء أن من حقهم الاختيار وكلما كانوا صغارا زاد إلحاحا،لكن هذا الرفض يقابل بالرمي بالعقوق من طرف الأبناء.

وبهذا الشأن طرحت المرنيسي أسئلة مهمة مـن قبيل: لمـاذا يقف المجتمع المغربي ضد رغبة الشباب في بناء حياة زوجية قائمة على الحب؟ هل يهدد الحب الزوجي أسس الأسرة التقليدية التي تجعل من العلاقة الجنسية التي تستثني الحب بين الجنسين نموذجا للزواج المثالي؟ كما طرحت الكاتبة سؤالا مهما في معرض حديثها عن منع التقاء الجنسين وهو المتعلق ب: لماذا لم يؤد زوال الفصل بين الجنسين إلى اختفاء البغاء؟ باعتبار أن البغاء يعبر عن تقاطع عنصري المال والجنس.

2. الحميمية الممنوعة بالأسرة التقليدية

أشـارت الكاتبة أن التوافق بين الزوجين يعتبر عصا سحرية لتجاوز العقبات بين الزوجين، لكنها أشارت إلى أن مدونة الأحوال الشخصية لا تلزم الزوج بأي التزام معنوي إزاء زوجته، في المقابل يعزز تخويل الرجل واجب اجتماعي لتحكم الزوج بزوجته وإخضاعها عن طريق الضرب والتوبيخ والهجر مثلا، وإن لجأت للقضاء لا تنصف ويطلب منها تقديم أدلة تعجيزية.وفي نفس السياق طرحت الكاتبة إشكالا متعلقا ب لماذا يشجع المجتمع الإسلامي الزوج على أن يلعب دور السيد وليس دور العشيق؟ أيهدد الحب بين الزوجين شيئا حيويا في الهندسة الاجتماعية؟

واعتبرت أن الهندسة الاجتماعية قائمة بشكل تمنع معه الحميمية وتحد منها حتى لا تتسع وتصبح مهددة، ولأن الخلية الزوجية تشكل خطرا دنيويا حقيقيا تم إضعافها بترتيبين قانونيين هما الطلاق والتعدد، فالتعدد يمكن الرجل من قيمة عن طريق إقامة منافسة بين مجموعة من النساء لكسب عطاياه، و يضعف المستوى العاطفي ويضعف الالتزام بين الزوجين العشيقين[32].

كما أن الطلاق امتياز بيد الرجل يمكنه استبدال شريكته بكلمة أنت طالق، لكن المثير في الأمر أن القاضي يصادق على الطلاق دون نقاش: لكن الـيـوم مختلف لأن مساطر الصلح متعددة قبل الطلاق.

اعتبرت الكاتبة أن الحماة تعترض الحميمية في إطار الزواج التقليدي، فالأم لها علاقة قوية بابنها، ففي المجتمعات الإسلامية تعد الأم المرأة الوحيدة التي يكون للرجل الحق في حبها والتي تستطيع بصبغة العرفان بالجميل. فالأم هي التي تختار الشريكة للابن والحصول على كافة المعطيات الخاصة بها عن طريق الحمام.[33]

فالمجتمعات التي تعرف تنافرا بين الجنسين نجد علاقة الأم بابنها وحاجتها العاطفية له قوية لإرضاء حاجتها له، كما أن علاقة الحماة والكنة لا تعاشكغريمتين بل قد يكونا حليفتين حيث تستفيد الثانية من الأولى ومن تجربتها في الحياة، وكان قانون الأحوال الشخصية يفرض خضوع الكنة لحماتها ولأسرة الزوج، كما تبينها تقبيل يد الحماة ومناداتها بلالة، كما كانت الحماة تمتلك وسائل كالطعام وباقي ممتلكات البيت، كما لم يكن الابن قادر على تقديم هدية لزوجته سوى خفية عن أمه.

فالبنية التقليدية للعائلة تجعل كل حميمية زوجية مستحيلة وتشجع الحماة على التدخل في حميمية ابنها ودفع ابنها لعيش علاقة شعارها التوجس والعنف وانعدام التفاهم بين الشريكين، وأكدت الكاتبة أنه بالرغم

من ظهور ضرورات تفرضها نمط العيش الحديث لكن الأسس التقليدية لازالت مستمرة بالرغم من اندماج المغرب في السوق الدولية، مما ساهم في ظهور أشكال جديدة للصراع والتمزق في الأسرة الشابة[34].

كما أن الحدود المجالية الموضوعة تجسد بالأساس التوزيع غير العادل للسلطة في إطار تراتبي، لأن تقسيم المكان إلى مكان منزلي ومكان عام تعبير عن علاقة سلطوية تراتبية بين مجال عام للجماعة يسوده الحب والتعاون والمساواة وآخر منزلي قائم على عدم المساواة.

فعلاقة الصراع هذه يجسدها عزل المرأةتشير الباحثة إلى أن عزل المرأة واحتجابها يمنع كل اتصال بين الجنسين، وخلصت إلى أن المجتمع الذي يفصل بين الجنسين هو مجتمع يدفع بالأفراد استثمار طاقاتهم في العلاقة مع أفراد من جنسهم من جهة أخرى، وإلى الإغراء كوسيلة للاتصال.

وقدمت المؤلفة تحدي المرأة للتمييز الجنسي في الشارع حيث كان من اللازم على المرأة وضع الحجاب إدا أرادت ارتياد الأمكنة العامة ومرافقة امرأة تكبرها سنا كالحماة أو الأم، وتعتبر المرأة التي تتجول في الشارع فاقدة لعقلها، أو باغية لأنها تفتن الرجال وتخرجه عن أمانه وطاعته لله ومكانته الاجتماعية.[35]

وفي المكتب ومع توجه المرأة للتعليم والعمل خارج البيت جعل المرأة الموظفة تعيش مضايقات لأنها تجاوزت حدود المكان الرجالي مما جعل الصراع يحتدم أمام تزايد أعداد النساء المتمدرسات والراغبات في العمل خارج البيت سواء الفقيرات أو ذي الحظوة الاجتماعية هذا الصراع يحتدم لاعتبار ندرة الشغل وارتفاع نسبة البطالة.[36]

3.الفوضى الجنسية في المغرب المعاصر وبداية خلخلة قواعد الأسرة التقليدية

أشارت المؤلفة إلى قانون الأحوال الشخصية لاعتباره لم يساعد المرأة في الحصول وتقبلها في العمل خارج البيت لأن نفقتها من مسؤولية الزوج، ومن ثمة ارتباط الرجولة بالقوة الاقتصادية والأنوثة بالوضع السلبي كمستهلكة [37]. وأكدت إلى أن المجتمع المغربي لم يعرف تغيرا في مجال العلاقة بين الجنسين، يوازي التغير الحادث في التوزيع التقليدي للنفوذ والسلطة مما أدى إلى الفوضى في هذه العلاقة، كما بات الزوج المغربي يعيش قلقا خصوصا في ضبط علاقته بزوجته في علاقتها بالعالم الخارجي كما جاءت به المدونة، فالزوج متوزع بين قانون يعطيه الحق في ضبط حركات زوجته، وبين المتطلبات الاقتصادية التي تجبر الزوجة للخروج للعمل خارج البيت.

تحدثت الباحثة عن مسار فكرة حق البنات في التعليم حيث لعبت فيه الحركة الوطنية دورا محوريا كحركة معارضة من خلال الاحتجاجات بالمدن والبوادي والتخلص من قبضة المستعمر، كما أن تقديم محمد الخامس لابنته للا عائشة سافرة له الأثر الكبير، أكدت الباحثة أن المستوى التعليمي بات يوازي الجمال في المجتمع، حيث ساهم التعليم في إحداث ثغرة جذرية في النسق التقليدي، فالبرغم من أن تدريس الفتيات ما زال ضعيفا لكنه مهم

الهوامش

31 - نفس المرجع، ص84

32 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، كرجع سابق، ص 119

33 - نفس المرجع، ص 130

34 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق، ص145

35 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابق، ص 158

36 - المرجع نفسه، ص163

37 - المرجع نفسه، ص 166

لأن التمييز بين الجنسين يكمن في عزل النساء وردت الكاتبة بسخرية على هذا الوضع بقولها: إن تجول بعض الفتيات بهدوء في الشارع وهن يحملن الحقائب المدرسية كاف ليزعزع التوازن النفسي لمجتمع بأكمله [38].

كما ساهم خروج المرأة للعمل خارج البيت إلى القطع مع مرحلة الفصل بين الجنسين خصوصا مع ظهور العمل المأجور، فالتغيرات الاقتصادية والمستوى التعليمي المرتفع شجع النساء على منافسة الرجال في العمل المأجور، لأن حق المرأة في العمل غير مؤسس فإن النساء أكثر تعرضا للبطالة، فعطالتهن أقل أهمية من الرجال بما أن مكان المرأة في البيت وزوجها يضمن لها النفقة، كما أنه لا يعتبر ربات البيوت نشيطات.

فالرجل المقموع جنسيا يحرص أكثر من غيره على قواعد الشرف والطهارة تبعا لقواعده الخاصة، فالشرف يربط بين مكانة الرجل والسلوك الجنسي للنساء الخاضعات له .فالطفل الذكر يتم تشجيعه على الافتخار برجولته لكنه في المراهقة يواجه بالجوع الجنسي، حيث لا يمكن الحصول على المرأة دون تأدية واجب المهر، مما يجعله يتبع ممارسات سرية خارقا للقانون حسب المؤلفة .

واعتبرت أن الاضطهاد الجنسي والاقتصادي الذي يعيشه الرجل بالمجتمع يجعله يفرغ غضبه وحقده على أسرته زوجته وأطفاله بدل رئيسه ونظام الاجتماعي. فالهندسة الاجتماعية تعتبر الرجل والمرأة عدوين وتحكم على الزوجين بالصراع، فقانون يقول أن من حق الرجل ممارسة السلطة على نسائه، لكن مع انهيار البنيات التقليدية على مستوى الاقتصاد وتوزيع المكان فأصبح الرجل في وضع مفارقة ويحس بالإهانة حيث أن القضاء على التمييز بين الجنسين خلق ضغوط جديدة فحدود فصل الجنسين أصبحت ملتبسة مما يفرض تلاؤما جديدا.

أشارت الكاتبة إلى ظهور زوجين دون أم الزوج يحصلان بصعوبة على الشرعية فهي تشير إلى بداية ظهور الأسرة النووية، فالزوجات يطالبن بالمساواة في العلاقة بين الزوجين لبناء أسرة سليمة وتربية أجيال أكثر تفتحا على المستويين العاطفي والثقافي[39].

-ملاحظة نقدية على الكتاب:

- استطاعت المؤلفة توظيف المنهج التاريخي توظيفا موفقامن خلال تتبعها لديناميكية الجنسين ومركزية تيمة الجنس كأساس للتفريق والتفضيل بين الجنسين، من مرحلة ماقبلالإسلامإلىالفترةالإسلامية منتقلة بعد ذلك لدراسة ميدانية للأسرة المغربية راصدة التغير الحاصل بين نساء من جيلين مختلفين. حيث بينت أن كل من الحضارة الغربية والعربية قامت بإقصاء المرأة على المستوى الجنسي وإهمالها سواء بالتنقيص منها كونها ضعيفة جنسيا حسب فرويد، او باعتبارها قوية جنسيا ومن ثمة شيطنتها باعتبارها مصدر إغراء للرجل والإيقاع به بالنسبةللفرابي.

- إن المؤلفة قدمت عملا قيما لكنها تركت الباب مفتوحا بوجه الملاحظات ولم تعتبره ناجحا بالمطلق سواء ماهو متعلق بالشق الميداني أو النظري، وهو ما ينم عن نضج صاحبته باعتبارها أنجزت عملا قابل لإعادة البناء والتجويد من خلال دراسات أخرى.

- عمل المؤلفة منهجي ولم يرتهن لليقينيات، بل للشك المستمر الذي قدمته باستمرار بين ثنايا فقرات البحث وبالمتن بشكل عام.

- عمل رصين بالإضافة إلى العمل الميداني اعتمدت المؤلفة على الدراسات السوسيولوجية ذي أهمية كبرى على المجتمع المغربي كدراسة بول باسكونوبنطاهر حول الشباب، ودراسة البلغيتي حول المرأة والأسرة المغربية.

- ومن الملاحظات التي يمكن تسجيلها على العمل حيث يمكن الرد على الانتقاد الذي قدمته المرنيسي لمردوك لاعتباره أن التفرقة بين الجنسين كأساس قدمه مردوك مردود عليه، لكننا نراه أساس للفكرة التي جاءت بها المرنيسي بخصوص عزل المرأة لدورها الفعال جنسيا، حيث يتبين أن

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

رأي المرنيسي يكمل فكرة مردوك ولا يعارضها.

- ومـن الأمـور المـردود على المؤلفة حيث كونها تعتبر نظام التعدد بتزويج المطلقات والأرامل بربطهم في بنيات أسرية يحميهم فيها رجل، وهي التي كانت تنتقد نظام التعدد التي يحد من حرية المرأة وتقرير مصيرها، وأيضا انتقدت الأبوية التي جاءت مع الفترة الإسلامية، لكنها في نفس الوقت تؤيد موقف الرسول باعتباره يجعل المرأة مقررة لمصيرها إن أرادت الطلاق، عموما موقف المؤلفة غير واضح بشكل جلي ففي مواضع تؤيد وفي أخرى تعارض.

- دراسة المرنيسي لا زالت ذي أهمية لاعتبار نتائجها قائمة في جوانب كثيرة بالمجتمع المغربي في الفترة الحالية، فالمرأة المستلبة ذاتيا في نظام ذكوري حـاضرة اليوم، والخوف من حياتها الجنسية متجسد في كل آليات الطمس الجسدي والمعنوي للمرأة وهشاشة الخليّة الأسرية الفارغة إلا من الجنس ونظام تعدد الزوجات لا زال ساري المفعول بأساس ديني حيث العاطفية والحميمية مطلب مستحيل أو ضعيف التحقق. ■

الهوامش

38 - فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، مرجع سابقص 178

39 - المرجع نفسه،ص190

المراجع

- المراجع باللغة العربية:

- أحمدزكيبدوي،معجممصطلحاتالعلومالاجتماعية،انجليزيفرنسيعربي،مكتبةلبنانساحةرياضالصلح، بيروت،1982 .
- الأزهر، ع. المراكز والأدوار الاجتماعية ومحدداتها الثقافية في النظام الأسري العربي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثامن، من 77 إلى 95، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2012.
- بودون، وبوريكو. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2007.
- خليل العمر، م، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن،2006.
- الخولي،س. الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية/ مصر، 1978.
- كتورة، ج. معجم العلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الإمارات أبوظبي، 2009.
- فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، نشر الفنك، الدار البيضاء، المغرب، 1988.

- المراجع باللغة الأجنبية:

- Fréderic, le baron, la Sociologie de (A à Z) 250 mots pour comprendre, dunod, Paris, 2009.
- Merton, R, social theory and social structure, enlarged ed Edition, 1968.
- L, Spindler. Culture change and modernization, mini- models studies Waveland, Press enc, 1977.
- WENDY WOOD AND ALICE H EAGLY. SOCIAL ROLE THEORY. UNIVERSITY OF SOUTHERN CALIFORNIA. 2012.

ما وراء الحجاب : الجنس كهندسة اجتماعية

سلمى بنسعيد
باحثة في علم النفس

يمثل الجنس في الثقافة العربية الإسلامية واحدا من القضايا الاجتماعية و النفسية و التربوية و الثقافية الكبرى التي تشغل حيزا كبيرا من انشغالات الباحثين المعاصرين في العلوم الاجتماعية و النفسية، و تثير لديهم قلق السؤال المعرفي، و ذلك اعتبارا أن الجنس هو التابو المسكوت عنه والأكـثر تجريما مجتمعيا بالأوطان العربية و الإسلامية بالخصوص، مما يعرضهم لصعوبات كثيرة في جمع عيناته أو استكمال بحوث الاستطلاع حوله بحرية، خاصة إذا تعلق الأمر بمجتمع النساء و جنسانيتهن. ومن هنا تأتي أهمية الطرح الفكري ل»فاطمة المرنيسي» بصفتها واحدة من الجيل الأول من السوسيولوجيين المغاربة و العرب في مرحلة ما بعد الاستعمار الذين تصدوا بجرأة لدراسة الجنس في مجتمعاتنا العربية.

1 - تـعـريـف بالباحثة وطرحها الفكري

تعد فاطمة المرنيسي عالمة اجتماع مغربية، وواحدة من الوجوه النسوية المرموقة في عالمنا العربي المعاصر، ذاع صيتها منذ مطلع الثمانينات حين أقدمت على إعادة قراءة النص الديني، و العمل من خلاله على مساءلة جريئة لبراديغم النوع الاجتماعي و تسليط الضوء عليه بالمجتمعات العربية، محدثة بذلك نقلة نوعية في الخطاب النسوي العربي، الذي كان لا يـزال يقارب قضية المـرأة من منظور الثنائية التقليدية التي تتجلى في الأنوثة والذكورة.

تعتبر محاولتها البحثية مؤطرة و مرشدة لتوالي عدد من المحاولات في هذا الصدد، و التي نهض بها فريق من الباحثات النساء المسلمات في المجتمعات الغربية و العربية. وبالنظر إلى أهمية محاولة المرنيسي وعمق تأثيراتها في الخطاب النسوي المعاصر، نسعى من خـلال هـذه الورقة إلى تقديم قـراءة معرفية تحليلية لطرح فاطمة المرنيسي من خـلال كتابها»ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية».

استينادا على مجموعة من الأبحاث التراكمية في مجال البحث السوسيولوجي والفكر والأدب، و ارتباطا بالتغيرات الاجتماعية و الثقافية و التاريخية التي عاشها مغرب ما بعد الاستقلال، قامت فاطمة المرنيسي في إطار سياق لا يخلو من ثقافة الحذر و الطابو الذي يعيشه المجتمع المغربي، بمساءلة هذه الظرفية الاجتماعية ميدانيا و ذلـك بتحليل أسباب التسلط الذكوري القهري على المـرأة العربية- المغربية بالخصوص-. فتجردت المرنيسي من الدين كنص شرعي واعتبرته مدخلا أساسيا لفهم و مساءلة التراث الثقافي المنظم للعلاقات الجنسية بين الذكر و الأنثى، مستعينة بالحفر في النصوص الشرعية أي القرآن والسنة النبوية الشريفة لتأكيد دفاع الإسلام عن المرأة كأساس يلغي كل الأحكام المسيئة للدين، حيث تنطلق من مشروعها الفكري على تفنيد مـبررات التسلط

الذكوري القائمة على دواعي دينية غير صحيحة التأويل، قبل أن تقدم إضاءاتها النقدية في إبـراز الأدوار والمساهمات الخفية للمرأة في التاريخ الإسلامي، وتثبت خطأ حجبها قصدا في التاريخ و الـتراث الإسلامي، وأثر ذلك في تنميط التمثلات حول النساء بغالبية المجتمعات الإسلامية الحديثة، وحصرها في صورة الحجاب و المنع و المحظور.

في هذا الإطار، صدر لها كتاب»ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية» في سبعينيات القرن الماضي و الذي كان مستمدا من أطروحة دكتوراه قامت بها في أمريكا سنة 1973 في مجال علم الاجتماع. تتجلى أهمية هذا الكتاب في أنه سابقة في البحث الإمبيريقي بالمغرب. فهو بمثابة درس منهجي «ميتودولوجي» في السوسيولوجيا، حيث اعتمدت فيه المرنيسي لتشفير و فهم العلاقات الاجتماعية بين الجنسين على الملاحظة بالمشاركة و استحضار الحكم الشعبية. إضافة إلى انتصارها للمنهج الكيفي أكثر منه الكمي و ذلك باعتمادها على تحليل المضمون و إجـراء المقابلات مـع شرائـح مجتمعية متباينة نظرا للحميمية الميدانية التي تميز الظاهرة المدروسة.

تحاول المرنيسي في كتابها توضيح ديناميكية العلاقة بين الجنسين في المجتمعات الإسلامية، عن طريق تفكيك مفهوم الجنس والوقوف على دور المرأة داخل العلاقة الجنسية، إضافة لمحاولة تحديد وظيفة الغرائز في العقلية العربية والإسلامية للوصول لفهم أعمق لمشكلاتنا المعاصرة. كما ترصد واقع المرأة العربية ضمن بنية أسريـة إسلامية من زاوية تاريخية مع مقارنتها بالوضع الاجتماعي الراهن لتكشف عما وراء الآليات الرمزية لاحتجاب و حجب المرأة.

أضف إلى ذلك، تدرس المرنيسي أيضا كيف تعاقبت المجتمعات الإسلامية أو الأوروبية على حد سواء على وضع المرأة في قوالب اجتماعية نمطية حددت أدوارهـا و أسست لهيمنة الرجل. فإن كانت المـرأة الأوروبية قد استطاعت التحرر من هذه القوالب إلى حد كبير، فنظيرتها المسلمة ما تزال تراوح مكانها بين جدران الممنوع والعيب والحرام. من هنا، تشرح المرنيسي هندسة العلاقات الأسرية في المجتمع المسلم، والتي شكلت دورا رئيسيا في فرض هيمنة جنس معين على جنس آخر، حيث قرر المجتمع أن الرجال هم الفئة المنتجة فكريا و المتحكمة في زمام الأمور، بينما النساء يشكلن الفئة المسخرة لخدمة الفئة الأولى، وهو الأمر الذي تصفه المرنيسي بالمتناقض مع روح الرسالة الإسلامية التي تحث على المساواة بين المؤمنين بشكل مطلق بغض النظر عن جنسهم، لأن الإسلام لا يفرق بين المؤمنين إلا بدرجة تقواهم.

من جهة أخرى، تطرح المرنيسي خلال كتابها كيف تمكن الفكر الأبوي والقراءات الذكورية للنصوص الدينية من ترسيخ دور تبعي للمرأة و فارضين بذلك سيطرة الرجل عليها، إلا أنه ترى الكاتبة أن تفسير النصوص الدينية ليس السبب الوحيد في رغبة الرجل الشرقي في بسط هيمنته على المرأة، لكنه في الواقع يفرغ إحباطاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يواجهها في حياته اليومية على أسرته ليثبت بذلك رجولته المنتهكة. و بذلك ترى المرنيسي أن الرجل والمرأة في مجتمعاتنا العربية ضحايا على حد سواء، فهم ضحايا هندسة اجتماعية غير عادلة، الأمر الذي جعل علاقة الرجل والمرأة في حالة صراع دائم.

امتدادا لهذا الطرح، لا تخرج قضايا الجنس والمرأة والميراث عن كونها أدوات أو آليات في هذه الهندسة لإعادة رسم

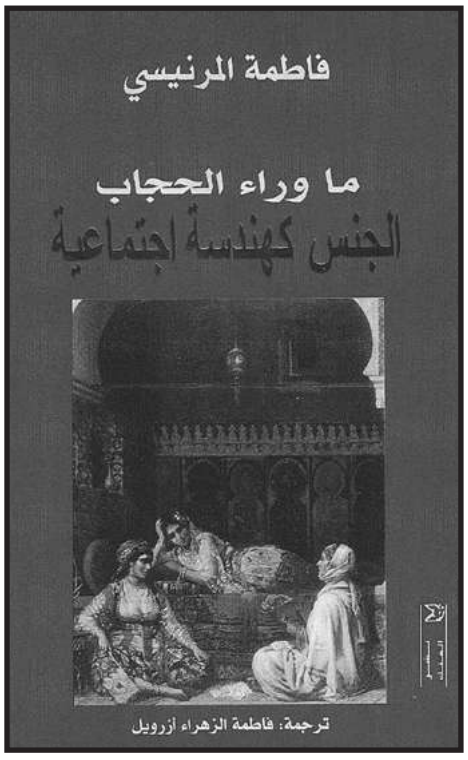

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

المجتمع العربي الجاهلي وتحويله إلى قوة حضارية إسلامية. ترى المرنيسي أنه لا تنبني آليات الهندسة الاجتماعية في الإسلام وعلاقات الرجل والمرأة على مثل هذه الفرضيات المجردة، بل على أوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية قائمة بالفعل. من هذا المنطلق تعتبر الكاتبة أن الكشف عن هذه الآليات في النظام الإسلامي لا يجب أن يتم عبر دراسة ما قرره الإسلام بل عن ما منعه أو أبقاه.

2 - مرتكزات طرح فاطمة المرنيسي بكتاب «ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية»:

أ- تمثل المسيحية و الإسلام للحياة الجنسية

في مستهل كتابها، تشير فاطمة المرنيسي للاختلاف بين التصورين المسيحي و الإسلامي لوظيفة الغرائز. حيث يقترب التصور الإسلامي من المفهوم الفرويدي لليبيدو أي اللذة المستندة إلى شهوة حسية وهي الطاقة النفسية الأساسية للكائن الحي. فاستنادا على التصور المسيحي يعاني الفرد تمزقا بين الغريزة والعقل. أما في التصور الإسلامي فالغريزة تشكل طاقة خالصة. لا تكتسب قواها الايجابية أو السلبية إلا من خلال التعامل معها من منظور اجتماعي(ص21-20).

تحاول المرنيسي بعد ذلك أن تبين كيف أدمج الإسلام الغريزة الجنسية في النظام الإسلامي لتسخيرها في خدمة الله، حيث ترى المرنيسي أن وظيفة الغرائز في النظام الإسلامي تتمثل في أن تفيد النظام الاجتماعي أو تضر به. ويترتب على ذلك أن الفرد في النظام الإسلامي غير مجبر على التخلص من غرائزه أو التحكم فيها مبدئيا، بل هو ممارستها تبعا لما يفرضه الشرع (ص13-11).

وفي التساؤل حول فعالية دور المرأة في الحياة الجنسية، ترفض الكاتبة ما ذهب إليه جورج موردوك في تقسيمه للمجتمعات حسب طريقتها في ضبط الغريزة الجنسية. اعتقادا منها أن التفرقة بين المجتمعات التي تفرض احترام الضوابط الجنسية والمجتمعات التي تلجأ إلى حوافز الإحتياطات الخارجية كقواعد السلوك القائمة علي التفرقة بين الجنسين. لا يرجع إلى ميكانيزمات ترسيخ القواعد الصارمة وقت التنشئة بقدر ما يعود إلى تصور دور المرأة لكل منهما في الحياة الجنسية. فالمجتمعات الإسلامية التي تسعى لفرض عزلة على المرأة تتصور ضمنيا أن للمرأة دورا فعالا على المستوى الجنسي(ص16-14).

لهذا تشير الكاتبة إلى أن هناك تناقضا بين نظريتين إحداهما علنية والأخرى ضمنية عن الحياة الجنسية في المنظومة الإسلامية. تعتبر النظرية العلنية أن المرأة هي الفريسة في العلاقة الجنسية أي أنها ذات مقتحمة و مولجة من طرف الرجل. لذلك تفترض هذه النظرية أن دور المرأة سلبي، و هي بهذا تتشابه مع النظرة الفرويدية لدور المرأة في العلاقة الجنسية. أما النظرية الضمنية. يمكن استنباطها من طرح الإمام الغزالي و التي تعتبر أن المرأة فعالة وإن كانت هدامة أي أنها هي الخطر المحدق بالرجل، تقوم بدور الصياد والرجل هو الفريسة السلبية. و بالتالي خوف الرجل و المجتمع من المرأة استوجب احتواء المرأة عن طريق مؤسسات ذكورية مهيمنة من أهمها الفصل بين الجنسين في المجال(ص17).

ب- الجنس و المجال و السلطة

تطرقت فاطمة المرنيسي للعلاقة بين الجنسين من منطلق التمثلات الاجتماعية و الأدوار الاجتماعية لكلا الجنسين، و عالجت الحياة الحميمية بين الجنسين أي الحياة الجنسية لفهم مدى ممارسة السلطة من و على الجنسين.

وفقا لما طرحته المرنيسي في مؤلفها، عرفت صورة و مكانة المرأة ما قبل الإسلام و على طول التاريخ الإسلامي تحول و انتقالا، حيث كان قبل الإسلام المجتمع أميسيا، تبادر فيه المرأة باختيار الشريك و تتعدد علاقاتها العاطفية و الجنسية و حتى الزوجية(ص69-63). في حين تراجعت سلطة المرأة و تحددت حريتها الجنسية في عهد الإسلام. بيد أنه لم تتراجع سلطتها الجنسية أو تم إنكارها و إنما أصبحت العلاقة بن الجنسين مقننة أكثر بالنص الشرعي الذي يؤطرها. و بالتالي أصبح تمثل السلوك الجنسي للمرأة و تبنيه في الحياة اليومية مستمد

من الفهم الاجتماعي و القانوني في مستواه الديني، و الذي بموجبه ارتبط الجنس بمؤسسة الزواج فقط و أصبحت المرأة ملكا للرجل «الزوج» و ما عليها إلا الطاعة(ص74-69).

من بين أهم آليات امتلاك الرجل للمرأة هو حجبها. ووفقا لطرح المرنيسي الحجب أو الحجاب يتحمل معنيين: المعنى الأول يتجلى في الحجاب المجالي، و ينقسم هذا المجال إلى عام و هو مجال ذكوري مفتوح ليس من حق المرأة الاطلاع عليه أو الخروج له. فتواجد المرأة بهذا المجال مقرون بشروط أهمها الحجاب الكامل لها و حصرها و ممارسة الرقابة عليها، و بالتالي هو مجال يرفض الاختلاط بين الجنسين و يتميز بالصراع و بغياب التواصل بين الجنسين. أما المجال الخاص فهو مجال الحريم أي مجال خاص بالنساء، يتم تأثيثه وفقا لما تحتاجه المرأة في المجال العام. إضافة إلى أنه مجال مبني اجتماعيا تمارس فيه المرأة (الأم أو الحماة) سلطة على نظيراتها من النساء(ص139-138). أما بخصوص المعنى الثاني للحجاب و هو حجاب إجرائي أي حجب الشعر أو غطاء الرأس كحماية للمرأة. لكن المرنيسي ترى أنها مجرد آلية لمراقبة المرأة و حماية الرجل من مفاتنها(ص151-148).

و بالتالي، ارتباطا بتفسيرات معاني الحجاب هاته، تحدثت المرنيسي عن الهندسة الاجتماعية لتنظيم العلاقة بين المرأة و الرجل أي تنظيم العلاقة بين الجنسين وفق حسابات عقلانية. إن محاولة إخضاع الرجل المرأة للحجاب هو محاولة لضبط و حماية نفسه من فتنة المرأة. و ضبط الرجل من فتنة المرأة معناه ضبط المجتمع بواسطة الحجاب بمفهوميه(حجاب إجرائي و حجاب مجالي) أي تنظيم الفوضى الاجتماعية التي تسببها فتنة المرأة وفق نسق محدد. و هذا ما يخلق برأي المرنيسي هندسة اجتماعية مبنية على حسابات دقيقة(157-153).

ت- الهندسة الاجتماعية و براديغم النوع الاجتماعي

حسب المرنيسي، تقوم الهندسة الاجتماعية للأوساط العربية على عالمين منفصلين حيث للأدوار المكانية دور أساسي: يجسد عالم الرجل السلطة والدين، بينما يمثل عالم المرأة الحياة الجنسية والأسرة، الطاعة النسوية لعالم ذكوري يصبح النمط السلوكي الوحيد المعبر عنه هو الرضوخ للتسلط. وتشكل النساء ضمن هذا التقسيم تجسيدا لكائنات جنسية مثيرة للشهوة. ومن هنا يأتي الفصل بين الجنسين و الخروج ببراديغم جديد و هو النوع الاجتماعي(-155 160).

ولكل جنس وسيلة معينة لإثبات الذات في المجال، فالمرأة المقبولة اجتماعيا هي المحافظة على شرف العائلة و المتزوجة في سن مبكرة و الولود للذكور و بالتالي غير هذه الأنثى يرفضها المجتمع و يعتبرها أنثى معطوبة، إذ أن الأنثى المعطوبة هي عطب اجتماعي في حد ذاته و هذا ما يعرضها للوصم الاجتماعي. في حين أن لا أعطاب تأخذ على الذكور مجتمعيا سوى إذا كان الذكر خنوعا لامرأة من دون أمه، مما يقلل من صفة سلطويته و مشروعية ممارسته للعنف.

من هنا، فهذا التأطير الاجتماعي و الثقافي قد أنسب أدوارا اجتماعية معينة للذكر و الأنثى و التي تولدت عليها سلوكات و تمثلات اتجاه كلا الجنسين.

3 - قراءة في منظور فاطمة المرنيسي للجنس والهندسة الاجتماعية في ظل تحولات المغرب المعاصر

س شهدت فترة السبعينات من القرن العشرين في المغرب -و التي تتزامن مع تاريخ صدور كتاب «ماوراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية»- موجة من التحرر لدى المرأة الحضرية مقابل تحفظ المرأة القروية، حيث شهدت الأوساط الريفية تمظهرات عديدة للتمييز الجنسي والفصل بين الجنسين والزواج المبكر، بينما أغلب المشاكل الجنسية في المدن تشكلت على هيئة صراع بين الأجيال (الآباء والأبناء) ومحاربة الحب بين الجنسين (معارضة الزواج الناتج عن الحب) مما دفع للتساؤل عن مدى استمرارية حضور الهندسة الاجتماعية التي جاءت بها المرنيسي كطرح فكري.

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

فبعد مرور أكثر من أربعة عقود على صدور هذا المؤلف، يصح لنا مساءلة تفسيرات المرنيسي نظرا لحدوث تغيرات كبيرة بالمجتمع المغربي شملت كافة مناحيه و أسفرت عن تحول في أنماط السلوكات و الأفعال.

إذا أخذنا بعين الاعتبار الاستثمار المجتمعي في مجال تعليم المرأة و في مجال التعديلات القانونية التي تسعى إلى إنهاء التمييز ضدها(مدونة الأسرة لسنة 2004 و مقتضيات دستور2011) في العقدين الأخيرين، نجد أن انفتاح النساء على المدرسة، إضافة إلى تمتعهن بمجموعة من الاستحقاقات على مستوى مؤسسة الزواج و مسطرة الطلاق أفرز نوعا من صراع القيم بين المرجعيات الإسلاموية المحافظة و المرجعيات الحداثية المعاصرة[1]. حيث أضحت المرأة المغربية تعيش نجاحا على مستوى التعليم خاصة الجامعي، مما مكنها من اقتحام مجال العمل و اختراقها لسوق الشغل وبلوغها مناصب عليا كانت في الماضي حكرا على الرجل. و منه أصبح للنساء حضور قوي على المستوى المجالي، وموقف و شرط موضوعي خاص داخل الأسرة فيما يتعلق بالتعبير عن الآراء و الاستقلالية و حرية الاختيار و العلاقة مع الجنس الآخر... إلخ[2]. ما يحيل إلى بروز نسق من الاستقلالية المادية النسائية الذي ينعكس على الشروط الاجتماعية للموقع الاقتصادي و الجنسي للمرأة داخل المجتمع المغربي المعاصر[3]. وما يثير الانتباه إلى نوع من الانتقال القيمي المعاصر في طبيعة العلاقة بين المرأة و الرجل أصبحت بموجبه ترفض المرأة المغربية أي شكل من أشكال الهيمنة و التوجيه و الخضوع للرجل.

إن انسحاب المرأة التدريجي من عالم المنزل المنغلق الذي يقتصر فيه دورها على الأعمال المنزلية و تربية الأبناء، و إقبالها على العمل الوظيفي العام أو الخاص نتيجة ارتفاع فرص عمل النساء في بعض المجالات أدى إلى بروز هامش كبير من الحرية و الاستقلالية الجنسية للمرأة[4] نظرا لاختلاطها و احتكاكها الكبير و المباشر مع الجنس الآخـر. و بذلك اتجهت في علاقاتها مع الرجل إلى التحرر و الانفلات من النظم و المعايير الاجتماعية المؤطرة لجنسانياتها، و هو الأمر الذي يعلل لنا انفتاح المرأة المغربية جنسيا وانفصال نشاطها الجنسي عن هدف الـزواج و تضخم الجنسانية النسائية قبل الزوجية[5]. فأمام هذا الوضع الجديد الذي بلغته المرأة المغربية، ألازال يصح لنا أن نعتمد تفسيرات المرنيسي فيما يخص الهندسة الاجتماعية للعلاقة بين الجنسين؟

في اعتقادنا، لا زالـت المقاربات والمفارقات التي تكشفها المرنيسي عن البنية الاجتماعية العربية تلقي بظلالها على واقعنا المعاصر بالرغم من تحقيق المرأة مجموعة من الامتيازات. فإن كانت الوضعية الجديدة للمرأة المغربية أمرا واقعا في المجتمع المغربي فإنه لم يواكبها بشكل متناسق تحول في الوعي والإدراك و التصور الفردي و الجماعي و الذي لطالما ظل يغلب عليه نزوع تقليداني محافظ. وبالتالي أمام القيم التقليدية التي كانت مميزة للمجتمع المغربي كالزواج و التضامن العائلي و الممارسات الدينية اليومية، انبثقت قيم جديدة تحت تأثير التحضر و الثورة الرقمية جعلت من العنصر النسائي المغربي اليوم متمردا، عصاميا، منخرطا اجتماعيا ومتواصلا و ممارسا لحرية التعبير. إلا أن نسق القيم هذا لم يعد دائما منسجما، لقد بـات متنافرا و متناقضا بنسب متفاوتة حسب درجات الاندماج الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي لكل امرأة داخل المجتمع المغربي.

لقد كانت هذه التحولات كفيلة بتشكيل صورة راسخة عن كون المجتمع المغربي يتحول و يساير التطلعات بمعنى أنـه دخـل في مخاض سـيرورة تحديثية طويلة الأمـد، جعلت منه مجتمعا مشدودا بمؤسساته الاجتماعية و السياسية و قيمه الثقافية و الذهنية الراسخة لدينامية التغيير و التجديد و اندراجه في مسار الحداثة و التحديث[6] و الديمقراطية، إلا أن هذه التغييرات تبقى عرضة للانتكاس و التراجع بسبب مجموعة من العراقيل الموضوعية و الذاتية. ولعل من بين هاته العراقيل التناقض الصارخ بين الواقع الجديد الذي تعيشه المرأة المغربية و تتطلع إلى تطويره وهو واقع التحول الديمقراطي من جهة و بين أنماط التفكير و السلوك و الفعل و ما يرتبط بها من قيم و معايير و قواعد و موروثات ثقافية ومجتمعية لم تعد تتطابق مع مستلزمات الواقع الجديد، بل أضحت تكبحه و تعرقله.[7]

فالمرأة المغربية لا زالـت مستلبة بطرق غير مباشرة في نظام ذكـوري يستعمل كل آليات الطمس الجسدي والمعنوي لها. تعيش المرأة المغربية اليوم هندسة اجتماعية و جنسية جديدة لها ميكانيزمات اشتغال حديثة، ترتكز على ممارسة أشكال مختلفة من العنف النفسي و الرمزي المحتدم اتجاهها لا سيما بالمجال الأسري. حيث هشاشة الخلية الأسرية الفارغة إلا من الجنس ونظام تعدد الزوجات حيث العاطفة والحميمية مطلب مستحيل قد لا تكون حكرا على زمن السبعينات و إنما حاضرة فعليا و بشكل مستمر في البنية اللاشعورية للجماعة التي تعمل على تدبير و تسيير العلاقات بين الجنسين.

الهوامش

1 - الإدريسي محمد: التحولات الجنسانية في المغرب المعاصر: النساء نموذجا، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدين و قضايا المجتمع الراهنة، 4يوليوز 2017، ص 7.

2 - نفس المرجع.

3 -أنظر:

- BOURQIA.R, EL HARRAS.M , BENSAID. D :Jeunesse estudiantine marocaine :valeurs et stratégies ;avec la collaboration de Jamila BENNAGHMOUCH, Edition de la faculté des lettres et des sciences humaines, rabat, 1995.

4 - EL AYADI.M : La femme dans le d ébat intellectuel au Maroc , Prologues : revue maghrébine du livre ,n° 3 ,2002,pp9-38.

5 - و قد أظهر بحث ميداني لعالمة الاجتماع المغربية سمية نعمان جسوس في فترة نهاية التسعينات و بداية القرن الحادي و العشرين أن 65 في المئة من الفتيات اعترفن بأنهن مارسن الجنس مرة واحدة على الأقل قبل الزواج. و كما يشير الدكتور عبد الصمد الديالمي فإن الأمر لا يتعلق دائما بممارسات جنسية كاملة بقدر ما يتعلق ب ممارسات جنسية بديلة (جنس سطحي، فموي، شرجي....) إضافة إلى بروز ظاهرة رتق البكارة و ترميمها التي تلجا إليها الفتيات في حالة فقدان البكارة الأصلية عبر عمليات جراحية.

6 - الحيمر عبد السلام: المغرب، الإسلام و الحداثة،منشورات الزمن،الدار البيضاء،2005.

7 - - الحيمر عبد السلام : مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب،منشورات الزمن،سلسلة شرفات 34، الطبعة الثانية سنة 2013، ص 9.

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

لذلك نرى أننا اليوم أمـام بناء ثقافي جديد ينفي علنا استمرار الازدواجية و يدعو إلى تصاعد الجندرية بالعلاقات بين الجنسين، لكنه يخفي في طياته صراعا و سلطة خفية يتم من خلالها إعادة إنتاج الهندسة الاجتماعية بين الجنسين التي قام عليها طرح المرنيسي. مما أدخل المجتمع المغربي في مرحلة انتقالية تتميز بهوة آخذة في الاتساع بين المعايير و السلوكات الاجتماعية[8]، حيث تراجع القديم دون أن يفقد كل نفوذه وسلطته على السلوكات و الاختيارات، و تقدم الجديد تقدما لا يقوى معه على تكييف القديم وهضمه واستيعابه و الهيمنة عليه.

على سبيل الختم

من خلال كتاب»ما وراء الحجاب- الجنس كهندسة اجتماعية-، يعتبر طرح فاطمة المرنيسي طرحا جريئا و أكثر قربا للواقع. فالمرنيسي لم تكن تميل لتيار نسوي معين و إنما كانت حاملة لفكر ارتكز على مساءلة النص الديني و التوابث الثقافية و المجتمعية المحافظة العربية الإسلامية. إضافة إلى أن مصداقية طرحها تقوت أكثر بمجهودها الميداني غير المسبوق، لا سيما في سياق مجتمع يقوم على الحذر و التابو، و يستلهم قوانينه من الممنوع و المسكوت عنه. لقد تعاملت المرنيسي مع النص و التراث كشبكة من العلاقات المعرفية و السلطوية، و بالتالي هذا خول لها أن تحول النص التراثي إلى مادة للقراءة وتخضعه لعملية تشريحية دقيقة و عميقة. الأمر الذي ذهب بها إلى ولوج الذهنيات و أنماط التفكير في المجتمعات العربية و تأملها فلسفيا و اجتماعيا و سيكولوجيا و ثقافيا. لذلك فقد تمكن طرح المرنيسي من كسر حاجز الخوف من المرأة كفاعل اجتماعي، و إنما فتح حوارا ضد الخوف و وواجهه معرفيا لكي يحرر المرأة من جهة، و من جهة أخرى لكي يصحح القراءة الخاطئة لشكل و طبيعة العلاقة بين الجنسي دعوة منها لشق الطريق نحو نهضة العالم العربي. ■

الهوامش

8 - - سبيلا محمد: المغرب في مواجهة الحداثة، منشورات الزمن، الرباط1999، ص11.

بيبليوغرافيا

- المرنيسي فاطمة: ما وراء الحجاب،الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، المغرب، 2005.
- الإدريسي محمد: التحولات الجنسانية في المغرب المعاصر: النساء نموذجا، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم الدين و قضايا المجتمع الراهنة، 4يوليوز 2017.
- الحيمر عبد السلام : مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب،منشورات الزمن،سلسلة شرفات 34، الطبعة الثانية سنة 2013.
- الحيمر عبد السلام: المغرب، الإسلام و الحداثة،منشورات الزمن،الدار البيضاء،2005.
- سبيلا محمد: المغرب في مواجهة الحداثة، منشورات الزمن، الرباط1999.

- BOURQIA.R, EL HARRAS.M , BENSAID. D :Jeunesse estudiantine marocaine :valeurs et stratégies ;avec la collaboration de Jamila BENNAGHMOUCH, Edition de la faculté des lettres et des sciences humaines, rabat, 1995.
- EL AYADI.M : La femme dans le d ébat intellectuel au Maroc , Prologues : revue maghrébine du livre ,n° 3 ,2002.

المرنيسي... نحو تصور جديد للتعامل مع التراث الديني

إبراهيم أبرلال
باحث في علم الاجتماع

لا يختلف اثنان حول التأثير الكبير الذي أحدثه فكر الباحثة السوسيولوجية المغربية فاطمة المرنيسي في الأوساط الفكرية، والثقافية، والسياسية العربية، بل وحتى على المستوى العالمي. إذ أن الأبحاث التي أنجزتها منذ سبعينيات القرن العشرين، والتي أخـذت شكل تراكم بحثي معرفي حول موضوع المرأة بالخصوص، كـان لها صـدا قويا لدى الباحثين في العلوم الانسانية والاجتماعية. وحري بنا هنا الاشارة إلى أن السياق الذي كان يؤطر أعمال المرنيسي كان مفعم بالنضال من أجل تحرير المرأة من قبضت التقاليد البالية والتراث الديني عموما، الذي صار التشكيك في مصداقيته كليا أمرا منتشرا في الأوساط الفكرية العربية منذ مدة خلت.في هذا السياق انصبت الدراسات السوسيولوجية بالمغرب على دراسة مواضيع متعددة تهتم بمختلف القضايا المتعلقة بـالمـرأة، كدراسات مليكة بلغيتي (1969، 1978)، وفاطمة المرنيسي(1975، 1983، 1991)، وسمية نعمان جسوس (1988، 2000)...[1]

في هذه النقطة بالذات سنحاول تتبع أحد أعـمال المرنيسي الـذي هو: «الحريم السياسي، النبي والنساء» (Le harem politique – Le Prophète et les femmes)، والذي صدر باللغة الفرنسية سنة 1987 وتمت ترجمته إلى اللغة الإنجليزية سنة 1991 تحت عنوان مغاير للعنوان الأصلي (The Veil and the Male Elite: A Feminist Interpretation of Islam. New York: Basic Books). أما الترجمة إلى العربية فقد قام بها الأستاذ المحامي عبد الهادي عباس ونشر الكتاب من طـرف دار الحصاد للنشر والتوزيع بدمشق. غير أنه لم يتضمن سنة النشر، وإن كانت التقديرات ترجح أنه نشر في الفترة الممتدة ما بين صدوره باللغة الفرنسية الى حدود ترجمته إلى اللغة الانجليزية، وهي ترجمة تخون أحيانا المبتغى المعرفي الـذي كانت تقصده المرنيسي. سنحاول إذا القيام بقراءة في هذا الكتاب، وبالتحديد في القسم الأول منه نظرا لاعتقادنا أن القسم الأول من الكتاب يتضمن الروح العامة التي توجه الكتاب منهجيا ومعرفيا، لذلك ستقوم قراءتنا على إشكالية أساسية صغناها كالتالي: كيف يمكن فهم ما جاء به كتاب «الحريم السياسي، النبي والنساء» على ضوء الخلفيات المنهجية والإبستيمية التي حركت ووجهت فاطمة المرنيسي في هذا العمل البحثي؟.

نشير كذلك الى أن هذا الكتاب تم حضره في المغرب إلى حدود سنة 1998، كما أن الباحثة تعرضت الى مضايقات وهـجـمات مـن طـرف مجموعة من الأصوات والجهات التي تتزعمها الحركة السلفية الإسلامية منذ صدور أول كتاب لها سنة 1975 باللغة الإنجليزية تحت عنوان: (Beyond the Veil: Male-Female Dynamics in a Muslim Society)، وهـو مـا يمثل نوعا من الإرهاب الفكري بالمعنى الذي يعطيه له الدكتورعبد الإلهبلقزيز[2]. لذلك نسعى من خلال مساهمتنا هذه إلى تقديم قراءة متأنية لعمل الباحثة بعيدا عن التيارين اللذين اقتنصا هذا العمل بشكل متطرف؛ أعني الحركات النسائية والنسوية التي أخذت توظفه لخدمة إيديولوجيتها، وكذلك الحركات الاسلامية

المتشددة التي رفضته وأعلنت الحرب على صاحبته. وهي محاولة تهدف الى تقديم قراءة للكتاب من الداخل وفق منهجية تحليلية تركيبية.

أولا: مـدخـل لمقاربة استبعاد المرأة من الحياة السياسية والاجتماعية:

تخالف الباحثة السوسيولوجية المغربية فاطمة المرنيسي الأعـراف الكلاسيكية النمطية في الكتابة منذ أول جملة في كتابها هذا، حيث تبدأ مقدمتها بسؤال حاسم هو كالتالي؛ «هل يمكن لامرأة أن تقود المسلمين؟»[3]وهو سؤال في أصله كانت وجهته للسمان الذي كانت تتردد عليه. يتضح إذا منذ البداية أن المرنيسي توظف كما عهدناها في كتبها الأخرى منهجية السرد التي تستخدم في الكتابات الروائية والقصصية.. وهنا يبرز جانب من تصور الباحثة للكيفية التي يمكن أن ينجز من خلالها البحث الاجتماعي، بحيث يتحرر من الضوابط الصارمة التي تصل أحيانا الى أن تصير نوعا من الأرثودوكسية(orthodoxe) المنهجية. بحيث أن توظيفها للسرد ولوقائع شخصية يجعل بحثها أكثر ارتباطا وتفاعلا مع ما يجري في المجتمع. وهذا ما يتضح عندما نجد أن الحديث الذي استدل به الزبون أثناء مرافعته عن مشروعية استبعاد المرأة يشكل منطلق وموضوع بحث المرنيسي في هذا العمل. وهذا ما تؤكده حين تقول الباحثة أن هذا الحديث دفعها إلى البحث والتنقيب من أجل كشف مدى صدق وصحة الحديث المذكور. فما هو الوضع الذي تعيشه المـرأة العربية، والـذي دفع المرنيسي للبحث؟. نجد أن المرنيسي تربط النقاش والفكر الذي دافعت عنه جماعة السمان بالوضع السائد -حينها- أثناء الانتخابات التشريعية، وهو وضع يكرس استبعاد المرأة واقعيا رغم ما تضمنه القوانين من حقوق مكفولة قانونيا ونظريا. وهذا ما يبرز لنا وضع جديد تعيشه المرأة؛ فبعدما كانت مستبعدة من المجال العام، ومن النشاط السياسي بالأساس في العصور التي تلت نهاية حكم الخلفاء الراشدين، وهو استبعاد يستند الى تصور رسمي للإمارة، وكذلك الى الواقع الاجتماعي الجمعي. غيرأن المرأةاليوم،أصبحتيتجاذبها قطبان متناقضان؛ فهي في النصوص القانونية- في تصور الدولة الرسمي- إنسان يتمتع بحق المشاركة في الأنشطة المختلفة التي يحق للرجل المشاركة فيها.لكنها اجتماعيا وعلى مستوى الواقع المعيش(le vécu) لا زالت مستبعدة، كما يحدد مجال تحركها تصور نمطي كلاسيكي لم يتغير. ومن ثم كان هدف الباحثة هو إنارة هذه الذهنيات العميقة. وهذا ما أملى عليها اتباع منهج يقوم على البحث في المصادر التي ذكرت فيها أحاديث تحط من شأن المرأة ، وبالتالي القيام بعمل توثيقي متبعة في ذلك بعد نظرتها السوسيوتاريخية ، وكذلك اطلاعها على أسـس علم الإسـناد في مجال الفقه. فإذا كان إصرار الجابري على تقديم ما هو جديد قد دفعه بداية إلى مراجعة الخطاب العربي المعاصر ونقده، قبل أن ينتقد التراث[4] فإن المرنيسي بدورها عادة إلى التراث ، ولكن من أجل نقد ما لحقه من تلاعب إيديلوجي ، وفي نفس الوقت

إثبات قضية معينة: الاسـلام لم يقص المرأة من المجال السياسي ومن الفضاء العام عموما. فتساهم بذلك في حركية أساسية في السياق الاسلامي اليوم، والتي تحرك مصادر البحث التاريخي والدراسة النقدية للنصوص لرفع صفة التقديس عن المبادئ والمكونات الرئيسية للتراث الديني[5].

ومن بين تلك الأحاديث التي تطرقت لموضوع المرأة مقللة من شأنها، نجد الحديث الذي استدل به الزبون والقائل: «لم يفلح قوما ولو أمرهم امرأة» [6]وهو حديث موجود في الفصل الثالث من صحيح البخاري.

وسيتبين لنا أن الباحثة تعتمد على منهج «توثيقي» يقوم على تمحيص الأحـاديـث من حيث رواتـهـا، وزمـان روايتها... وكذلك هو بحث تاريخي، إذ تصرح الكاتبة أن ما ستقوم به هو تنقيب في الأدب الديني؛ بمعنى الرجوع إلى المصادر التاريخية للتراث الاسلامي والبحث فيها عن أهم الأحاديث التي تتناول موضوع المرأة وربطها بشروط ظهورها، بمعنى أن الباحثة بصدد مقاربة سوسيوتاريخية لموضوع إقصاء المـرأة من المجال السياسي من خلال مفهوم «الحريم السياسي» الذي يشير إلى الحدود المرسومة والمقننة للعمل السياسي الذي يعتبر مثل الحريم بمعناه الديني؛ إذ لا يمكن لأي كان أن يلج الإطار الذي يتواجد وينشط فيه الحريم. ومن ذلك ذكرها لدراسة لمحمد عرافا الذي يتحدث عن أن المرأة لم يكن لها وجـود في الحياة السياسية في تاريخ الاسلام، ويؤكد ذلك باستحضارتغييبها عن اجتماع سقيفة بني ساعدة لتعيين خليفة نبي الاسلام. وهو حدث تاريخي يكتسي دلالات عدة. غير أن هذا الغياب لا يعني على أي حال أن المرأة كانت غير منخرطة في العمل السياسي، فالمرنيسي تذكرنا بناء على بحثها «التوثيقي» والتاريخي بحضور زوجة الرسول (ص) عائشة في المعركة التي دارت حول شرعية الخليفة الأصـولي الرابع. أي أن المرأة كانت حاضرة في الحياة السياسية، بالرغم من أن السلطة الذكورية كانت لا تعترف لها بأحقية وجودها، إلا أنها كانت تفرض وجودها مجسدة في شخصية عائشة التي استفادت من صفتها أماً للمؤمنين لكي تفرض نفسها في معادلة الصراع السياسي. معناه أن التنقيب التاريخي يمكن أن يقودنا الى كشف زيف الدعاوى التي تقر بأن المرأة كائن لا سياسي بطبعه، وأن هذه الحقيقة حقيقة تاريخية في المجتمع الاسلامي. وواصلت الباحثة تنقيبها هذا بالكشف عن عدة دراسات في المقدمة تقول بغياب أية علاقة للمرأة بالسياسة، وحتى وجود عائشة في موقعة الجمل يعتبره سعيد الأفغاني سببا للعدد الهائل من القتلى الذين سقطوا في المعركة، أي أن المرأة وإن وجدت في السياسة فإنها تظل مصدر مشاكل وضرر على المجتمع، وهو تبرير أيضا لوضعية الاستبعاد من الحياة السياسية التي تعيشها المرأة.هذا البحث التاريخي والوثائقي الذي قامت به الباحثة من أجل تأويل مختلف للنص الديني، مكنها من وضع أسس للاشتغال في الفصول الموالية. حيث اعتمدت عموما في هذا البحث على القرءان، والتفسير، والبحوث حول أسباب النزول، والبحوث حول آيات القرءان والحديث، وكتب التاريخ الديني، والسيرة، وسيرة التابعين[7]. إذ أنها تساءل الأفغاني نفسه انطلاقا من المصادر التي اعتمد عليها من التاريخ الديني الاسلامي ليثبت أن عائشة -ومن ثم المرأة- كانت سبب إراقة دماء المسلمين. ومن هنا تقود المرنيسي بحثها التاريخي لتمحص الوقائع والأحاديث التي تم استخدامها كذريعة لإقصاء المرأة، ومن ضمنها المجلدات الثلاثة عشر للطبري. وتسأل الذين يقولون بإقصاء نبي الإسلام محمد للنساء قائلة: في أي مقياس يمكن تأويل النصوص المقدسة؟ وتـبرز بذلك السياق السياسي لظهور الأحاديث، وفي نفس الأن ظهور علم الإسناد الذي يعمل على كشف صحة الأحاديث من خلال البحث في رواتها.. وقبل أن تختم المرنيسي تقديمها، تذكر بالصعوبة التي ترافق أي عمل بحثي موضوعه النصوص الدينية التراثية، وخاصة عندما يكون هذا البحث تقوده امرأة مسلمة. ثم أن الباحثة وكي تحتمي من أي هجوم محتمل عليها، تستند الى القرآن الذي يحث على القراءة والتفكير، وبالتالي تدرس التراث الديني الاسلامي من الداخل؛ أي باعتبارها مسلمة تساءل هذا التراث في إطار لا يتجاوز ما يسمح به الدين. وتصف كتابها هذا في ختام

التقديم بأنه ليس كتاب تاريخ، بل أرادت له أن يكون «قصة-ذكرى»، وكتاب عبارة عن «سفينة» تعود الى زمن قريب من الهجرة لتبحث في حياة النبي[8]. وهذه الرحلة سيقودها منهج تاريخي-توثيقي – مقارن في بعض اللحظات، وهنا نجد أن المناهج المتداخلة التي وظفتها المرنيسي في هذا الكتاب، تعبر عن رؤية متحررة للكاتبة، وتكون بذلك سباقة الى اعتماد المقاربة التي تقر بتداخل التخصصات والمناهج في البحوث الاجتماعية في السياق المغربي، وجدوى هذا التداخل في الكشف عن الحقائق الاجتماعية والتاريخية.

ثانيا: النص الديني كسلاح سياسي:

1 - الزمن الموجه يعوز المجتمع الاسلامي:

تبدأ المرنيسي هذا الفصل بالتأكيد على العلاقة المتوترة التي تجمع بين الإنسان المسلم وبين الزمن، وبخاصة بينه وبين الحاضر[9]. ما الذي يميز الطريقة التي يتعامل الإنسان الغربي بها مع الزمن، عن تلك التي يتعامل بها الإنسان العربي المسلم؟.للإجابة عن هاذ السؤال، تعقد الباحثة مقارنة بين تصور كل من المجتمع العربي، والمجتمع الغربي للزمن. فإذا كانت الشبيبة الغربية تعاني من الحاضر باعتباره أصبح يسير في اتجاه جعل الواقع الإنساني خال من الشعور ومن الاهتمام بالأبعاد الإنسانية، وبذلك تكون صعوبتها التي تعيشها في الحاضر منبثقة عن المآل الذي آلت إليه الثورة الشاملة التي قادتها المجتمعات الغربية من تطور جعل الفرد والمجتمع يتوفران عموما على سبل العيش الضرورية، وفي كثير من الأحيان سبل الرفاه، فإن المسلمين يواجهون صعوبات الحاضر من خلال الرجوع إلى الماضي والاحتماء به من الحاضر وصعوباته، أي أنه، عكس الإنسان الغربي الذي يبحث في الحاضر عن سبل حل الصعوبات، ويعود إلى الماضي من أجل خلق نوع من التوازن يمكنه من مواصلة اكتشاف الحاضر، يعود المسلم إلى الماضي من أجل البحث عن حلول للحاضر، بل من أجل أن يحمل ذلك الماضي ويأتي به لمجابهة الحاضر. وهذا ما ذهب إليه الجابري، الذي تعود إليه الباحثة في غير ما مرة، حين أكد أنه «وكما يحدث دائما، سواء على المستوى الفردي أو المستوى المجتمعي، فلقد اتخذت عملية تأكيد الذات شكل نكوص إلى مواقع خلفية للاحتماء بها والدفاع انطلاقا منها»[10].

هـذا المنهج المـقـارن في التفكير يسمح بالكشف عن نقط الضعف والخلل في أسلوب التفكير الذي يتبعه المسلم لمواجهة الإشكاليات التي يطرحها الحاضر، كما يمكن في بعض الاحيان من توفير اختيارات ومسالك جديدة للتفكير. وتستحضر هنا الباحثة كل من محمد عابد الجابري وعبد الكبير الخطيبي باعتبارهما مفكران مغربيان عمدا إلى البحث في ماضي الحضارة من أجل إعادة اكتشاف الذات العربية. ويؤكد الجابري، مثلا، على الحضور القوي للمتدين والإمام في نطاق الانتاج الفكري، وحضور الماضي كمعطى مقدس يوجه الفعل السياسي، فكان بذلك عصر التدوين منطلقا لممارسة الرقابة. إذ أن عصر التدوين يشكل الإطار المرجعي للفكر العربي[11]، حيث يفرض نفسه تاريخيا كإطار مرجعي لما قبله وما بعده[12].

-ومن خلال المقارنة نفسها، يتضح أن الزمن في الغرب يلعب الدور الأساس في مختلف مناحي الحياة، إذ صار مقياس للأشياء والأنشطة. بل إن سيطرة وحظوة الحضارة الغربية ترجع في جزء كبير منها الى تعاملها وتحكمها الجيد في الزمن، بل إن فرض سيادة الحضارة الغربية وقيمها يتم، من خلال، وبالساعة؛ من خلال رقابة الزمن بدل الهيمنة العسكرية التي لم يعد لها في غالب الأحيان حضور ولا جدوى. هذه الأفكار التي تعود لموسكوفيتش والتي اقتبستها المرنيسي تؤكد على جانب مهم أصبح اليوم أكثر وضوحا؛ علاقة المسلم والمجتمعات الاسلامية والعربية بالخصوص غير المنتظمة وغير المحكمة مع الزمان تساهم بشكل كبير في تخلفه عن تحقيق التنمية.

كثيرا ما يلاحظ الاستخفاف بأهمية الدقائق والساعات داخـل الإدارات والمرافق العامة، وهذا التصور للعمل والزمن الذي يحمله الفرد-الموظف في المغرب ينضاف إليه استخفاف ممنهج بأهمية حضور المرأة في مختلف الأنشطة والفعل السياسي،مما يزيد من توسيع هامش تفويت الفرصة على المجتمع المغربي كي يكون في مصاف المجتمعات

التي قطعت طريقا ليس بالقصير من أجل بلوغ مجتمع الديمقراطية والتنمية والعدالة الاجتماعية. وقد نجد اليوم في المغرب خير مثال على ما ذكرنا أعلاه. إذ أن مفهوم الاستثمار نفسه يخفي وراءه مجموعة من علاقات السيطرة والسيادة، باعتباره مفهوم مرتبط أيضا بالزمن ويجسد الامبريالية الجديدة التي لم تعد مرئية ومعروفة أنها إمبريالية. هنا تبرز أهمية استدعاء الماضي، ماضي المجتمعات العربية الـذي قد يحوي داخـلـه مـا يمكن أن يساعدها على النهوض من مرضها الذي طال واستطال، ولكن هذا الاستدعاء للماضي يجب ألا يكون بِنِيةِ جعل الماضي يحمل رحيله ليستقر في الحاضر ويسير مع المجتمع الأن كما كان يسير في رحلاته الطويلة عبر قوافل تجوب الأمصار العربية طيلة أيام وسنوات!

تواصل الباحثة مقاربتها المقارنة بين الحضارة الغربية، والحضارة الاسلامية لتربط المقارنة هذه المرة بسؤال الموت والماضي. فإذا كانت الموت مصير البشرية، فإن الغرب أنساه المستقبل بفكرة الموت وجعله مفتتن بالإمكانات التي توفرها الحياة ، مما جعله يحرر طاقاته الخلاقة ويرى الماضي كالحلوى التي تستعمل لخلق السعادة لدى الأطفال في لحظات معينة. أما المسلمين فاختاروا العودة إلى الماضي باعتباره الصحن الرئيسي والكأس الذي لا يمكن الشرب من غيره، فاختاروا بذلك الموت قبل أن يعيشوا [13].

هي دعوة إذا إلى ضرورة وحتمية التفكير في الحاضر من أجل المستقبل فقط، وليس من أجل الاستمرار في جر أذيـال المـاضي في الحاضر من أجل أن يستمر في المستقبل، في الوقت الذي يجب أن يكون الماضي مجرد وسيلة من الوسائل المتاحة التي يمكن أن تساعد على السير نحو المستقبل بعزيمة وثبات وعقلانية. وتستحضر الباحثة مرة أخرى الجابري الذي يؤكد أن بحثنا المرضي عن الماضي يمنعنا من قراءته. بل إننا غير مؤهلين لقراءة هذا الماضي لأننا منشغلون بوضع همومنا الحالية على صفحاته.يتبين أن المرنيسي إلى حد الأن تقوم بنوع من التأسيس النظري لموضوعها بالأساس- إن صح القول، يساعدها في التأسيس لما ستأتي عليه من أفكار وتفصيلات، من خلال طرح بعض الأفكار التي تبرز أهمية الموضوع، وهنا نفسر استدعاء كل من موسكوفيتش وكذلك الجابري بالخصوص. إذ أنها تنتقل مباشرة إلى تحديد المعنى الإجـرائي لعبارة «نحن المسلمين»، وهي عبارة تشير إلى انتماء الفرد إلى جماعة تعتنق الدين الاسلامي كدين جماعي، مثلما يعتنق المناضلون التقدميون الأفكار والمبادئ الماركسية. أي أنها تتحدث عن الإسـلام كقانون، وليس كعقيدة، وخيار شخصي. وتؤكد أن الخلط بينهما كان سببا لفشل الحركات الماركسية في العالم الإسلامي. وهذا الخلط أيضا كان وراء إبعاد المرأة من السياسة كذلك. وفي لحظة فارقة في تاريخ البلدان الاسلامية- بما فيها المغرب- وجدت هذه البلدان نفسها بعد الاستقلال مضطرة إلى أن تعيد تعريف مواطنيها، أي أنه لم يعد ممكن للدول الإسلامية المستقلة حديثا أن تنخرط في المجتمع الدولي دون أن تعيد النظر في القوانين التي تحدد هوية ومكانة المواطنين والمواطنات. بهذا تلقت الهيمنة الذكورية ضربة قوية في أهم ركائزها؛ القانون والأعراف الرسمية التي تقر بنوع من القيم والهوية الخاصة بالجنسين[14].

غير أن استمرار وجـود جماعات إسلامية ترفض دخول المرأة إلى المجال السياسي، وكذلك وجود مكونات عدة لا يخدمها ولوج النساء إلى مجال لطالما كن مقصيات منه، جعل مشكلة المرأة وإثارتها تسمح باستمرار بالتصدي للتغيرات الكونية للسلطة دون تسميتها. فلقد برزت المنظمات الأممية والدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كهيئات تعمل، كما هو مسطر في قوانينها، على نشر حقوق الانسان والديمقراطية وحماية الأقليات... ومن ثم كانت الدول التابعة عموما ملزمة بإقرار المساواة الاجتماعية والجنسية وغيرها. كما أن الفكر نفسه لا يخرج عن هذا السياق باعتباره حركة عقلية لا تجري في التاريخ مستقلة، أي لا يمكن أن يجري الفكر في معزل عن الحركات الإجتماعية التي تنشط من كل جانب[15]. إن استحضار السياق الدولي في تحليل التغيرات التي ستطرأ على وضع المرأة من طرف الباحثة ينم عن نظرة وأفـق للتحليل يدمج البعد العالمي الذي يؤثر على الثقافات

والمجتمعات المحلية، والبعد المحلي الذي يتميز بنوع من الاستقرار والثبات من حيث القيم والسلوكات، من أجل مقاربة أكثر شمولا لوضع معقد تتداخل عدة عوامل في تشكيله. وهو وضع ازادت الأسئلةحوله طرحا في خضم ما ترتب عن خروج الاستعمار وما لحق بوضعية المرأة من تغيير؛ حيث أصبحت بعض النساء تعملن وتتلقين أجورا وتنافسن الرجال في العمل.

2 - النبي والحديث:

في هذا الجزء تتساءل المرنيسي بداية عن السبب الذي جعل «رجل أمي عرقي يتمكن من نشر رسالته في مختلف الأمصار، وهل لهذا النجاح معنى كاف خارج المعني القصصي»[16]. فنبي الإسلام ولد في وسط شعب متخلف (التخلف نقصد به المعنى اللغوي للكلمة، أي التخلف عن ركب المجتمعات القوية .. وليس بالمعنى الإيديولوجي للمفهوم) بالمقارنة مع الحضارات التي كانت سائدة حينها، وكذلك تابعا ومنعزلا نظرا لضعفه العسكري. وهنا تربط الكاتبة بين من ينادون بإحياء الإسلام وتوظيفه كما كان في مرحلة بداياته بشبه الجزيرة العربية من أجل حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، وبين المرحلة التي ظهر فيها الاسلام حيث اتصف بالقوة والعزم على إعلاء كعب قوم مهمشون، والانتصارات التي حققت حينها بناء على قيادة نبي طموح (ص). هذاالاستحضار تبغي الكاتبة من ورائه لفت الانتباه لما صار الأن معروفا في العلوم الاجتماعية ؛ كون معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في كل مجتمع تتم وفقا لفحص الشروط المحلية التي أنتجتها والبحث في الحاضر من أجل إيجاد حلول لها، وهذا البحث يغنى من خلال استحضار الأبعاد والمقاربات الأخـرى، مع الأخـذ بعين الاعتبار ضرورة تأطير الموضوع تاريخيا من أجل فهم دقيق للموضوع. ثم تعرج الباحثة بشيء من الاستفاضة على سياق لقاء وزواج نبي الإسـلام محمد (ص) بالتاجرة خديجة، ونزول أول أية قرآنية تدعو الى القراءة سنة 610م، واعتناق الإسلام من طرف خديجة كأول إنسان يعتنقه. كما أن الإسـلام ولد بالمدينة، وهو ما يثير إشكالية وصم التخلف الذي يلصق بالمجتمعات الإسلامية كونها طبيعيا كذلك. وبعد موت الرسول (ص) فرضت مسألة الحديث نفسها بقوة الى يومنا هذا. فبموت الرسول (ص)، لم يعد ممكنا البحث عن الأجوبة المقدمة من طرف الله عن طريق نبيه للمسلمين، وبذلك مضى الخبراء يبحثون عن تطوير نظرية الخلافة السياسية؛ ماهي صفات وطـرق تعيين الخليفة الـذي يقود المسلمين؟ ومن هؤلاء الخبراء ومدارسهم ومنظريهم انبثق أدب كامل. ونشأ الفقه كعلم ديني يرتكز على الشريعة. فكان اختيار الرئيس السياسي العادل وعدم الخطأ في تفسير الشريعة المستخلصة من القرءان والسنة المحوران اللذان حركا التاريخ الإسلامي.

لفهم مكانة كتابة النص المقدس واستعماله على مستوى رقعة الشطرنج السياسي بالأمس واليوم، تعود الكاتبة إلى الأيام التي تلت وفاة الرسول (ص)، وخاصة تعيين الخلفاء الأربعة المعتبرون أصوليين . حيث نشب الخلاف حول قرار تعيين خليفة النبي الذي استقر في النهاية على أبي بكر، ثم عمر ثم عثمان الذي أغتيل وعين علي مكانه لتبدأ الفتن السياسية. والتي تعمقت مع محاربة عائشة لعلي في موقعة الجمل واغتيال علي بعدها، والتي ستنقش في ذاكرة التاريخ الإسلامي إلى اليوم. فكانت بداية تجميع الحديث مقترنة بالخوف من الإرهـاب والعنف السياسي؛ ماذا قال الرسول بشأن الحرب الأهلية؟ ما هو الطريق الذي على المسلمين أن يسلكوه في هذه الحالة؟ هل يجوز قبول خليفة ظالم شريطة أن يضمن السلام؟ هذه الأسئلة وغيرها شكلت السياق الذي فيه تلون و نشأ الحديث. وعلم الحديث يقدم للقارء مضمون معين يحمله الحديث، كما يقدم كذلك معلومات عن ناقله من خلال قاعدة الاسناد[17]. وتنبه الباحثة القارئإلى أن الإسلام في قرونه الأولى كان دين الفرد المسؤول العاقل القادر على التمييز بين الحقيقي والكاذب، غير أنه عُمل على مر القرون على تغييب المسلم العاقل وإبـدالـه بآخر خانع مراقب شاكر أكثر. وهذا ما يحيل على العمل الإيديولوجي الذي رافق تدوين الحديث في عصر كان الحديث فيه وسيلة أساسية للاستمرار في الحكم وضبط الفرد، وذلك بعد أن تمزق العالم الإسلامي بالفتن. وهنا يمكن مماثلة وضع استغلال الحديث لتثبيت الحكم، بالوضع الذي عرفته

المجتمعات الاسلامية المعاصرة من استغلال الحديث كذلك لإبعاد المرأة عن المجال العام، وهو ليس أمر جديد بقدر ما أنه استمرار لوضع وأسلوب قديم أخـذ يتبع في مجتمع وسياق مختلف. ومن نتائج الصراع حول السلطة، الذي انطلق حين كان النبي (ص) في غرفته ميتا مغطى بعباءته والجماعة تبحث عن الخليفة المناسب، تلك الفتن التي اندلعت منذ اغتيال عثمان بن عفان، إذ أن المسلمين انقسموا إلى سنة وشيعة، فأصبحت كتابة الأحاديث التي تبرر إيديولوجية كل طرف عملية نشطة جدا.

بعد اشتعال الفتة وانتصار علي في موقعة الجمل، روي الحديث الذي ستقوم الباحثة بفحصه وتمحيصه وهو: «إنه لم يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة». وهو حديث جاء قبيل تعيين معاوية خليفة وبداية عهد نـوع جديد من الأريستقراطية القبلية التي لطالما عمل النبي على تجنبها، وهو ظاهرة الأسرة الحاكمة الاستبدادية (La dynastie) التي ستطبع التاريخ الاسلامي اللاحق. وهنا تقوم الباحثة برصد تاريخي للسياق الذي كتب فيه البخاري الحديث باعتباره أحـد أهـم الـرمـوز المدونة لـلأحـاديـث. معتمد في تدوينه على روايات متعددة لأفراد كثر. غير أنه واجه مشكلة مدى صحة الروايات بعد حوالي مائتي سنة على وفـاة الرسول!حيث انتشرت الأحاديث الكاذبة التي تنسب إلى الرسول، والتي تكون إما عن قصد، وإما يكون التلاعب بها على مستوى الرواة، وإما يكون قول أحاديث لم يسمع بها الراوي أبدا. فكانت كتابة الحديث عملية أساسية تخدم ضمان الولاء، كما تخدم الرمزية الدينية اليوم الانتخابات. يتبين إذا أن الباحثة قامت هنا بنوع من التأسيس المنهجي والإبستيمي الذي يجعل العملية التي ستقوم بها في الفقرات الموالية أمرا مشروعا علميا ومقبولا في الأوساط الدينية. لتختم هذا المحور بالإشارة مع شيء من التفصيل إلى الدراسة التي قام بها طه حسين للشعر الجاهلي، والتي انتهي فيها الى التشكيك في صحة هذا الشعر الذي يعتبر أحد أعمدة المعرفة العربية [18].

3 - بحث حول حديث ضد النساء وحول منشئه أبو بكرة:

حسب حديث البخاري، فـإن أبي بكرة هو الذي سمع الرسول يقول: «لم يفلح قوم ولو أمرهم امـرأة». فتقوم الباحثة ببحث تاريخي ومنهجي للتأكد من صحة الحديث وذلك بصفتها امرأة مسلمة. وتبدأ هذا البحث من خلال الأسئلة الأساسية التي يتضمنها المنهج التاريخي، متسائلة؛ من كتب الحديث؟ ومتى؟ ولمـن؟ ولمـاذا؟ وأيـن؟ لتقوم الباحثة بتقص تاريخي لسياق رواية هذا الحديث وراويه مستعينة بكتاب فتح الباري لابن حجر. فأبو بكرة تذكر هذا الحديث بعد حوالي ربع قرن من موت النبي، وهذا يتطلب ذاكرة أسطورية، إذ أنه روى الحديث إبان هزيمة عائشة

في موقعة الجمل. وقاد التمحيص الذي قادته المرنيسي إلى كشف مجموعة من الحقائق التاريخية حول أبو بكرة، من قبيل أنه تغِيب سيرة مفصلة عنه في كتب الإسناد والكتب المخصصة لسير الصحابة. وكذلك كون أبو بكرة كان مضطرالتبرئة نفسه بعدما تخلف عن المشاركة في المعركة إلى جانب جيش علي بعد أن هزم جيش عائشة. وكذلك الشكوك التي أثيرت حول صدق رواياته بعد أن اكتشف أنه روى عدة أحاديث في سياقات تخدم أحد الأطراف المتنازعة حول السلطة، كما حصل مع حديث؛ «إن الحسن بن علي سوف يكون رجل المصالحات»[19].

بهذا تضع المرنيسي الحديث في سياقه التاريخي متبعة ما تتيحه منهجية الفقه في التحقيق من قواعد. وقد بين هذا المنظور الذي يعتبر الدين كعلم يجب التأكد من كل شيء يقال داخله، أن عديد من الرواة كانوا غير مؤهلين وغير جديرين بالثقة. إذ صار الاهتمام بسلوك الفرد في الحياة اليومية ومدى استقامته، وهنا نجد أن أبي بكرة قد أدين من طرف عمر وأجلد[20]. هذا التقصي والتمحيص للحديث الذي يقصي المرأة من الحياة السياسية، بل ويجعل من المرأة علامة للشر والفشل إذا ما دخلت مجال الحكم، توصلت من خلاله الباحثة إلى عدة خلاصات. وأولى الخلاصات التي يسوقها لنا، هي أن الحديث ليس بتلك القدسية والصدقية التي تروج له والتي نقشت في الذاكرة الإسلامية عبر التاريخ، بل إنه محط استخدام إيديولوجي لتحقيق المصالح السياسية بالأساس. بهذا المعنى نجد أنفسنا مدعوين للتفكير في مختلف المؤسسات والسلوكات والقواعد وكل ما يستمد شرعيته من هذا التراث الديني الإسلامي، كما هو الشأن مع استبعاد المرأة الذي تعالجه المرنيسي.

4 - البحث عن أحاديث أخرى معادية للنساء:

تعود مرة أخرى الباحثة إلى سرد مجموعة من ذكريات الطفولة، ولكن ليس بهدف إضفاء طابع جمالي على البحث، ولكن تماشيا مع منهجها السوسيوتاريخي المفكك للأحاديث المنسوبة إلى النبي خدمة لمبتغى تأويلي جديد، فتستحضر تلك اللحظات التي تفيد في فهم وتحليل المعطيات التاريخية وكيف اشتغلت ولا زالت

تشتغل في المخيال الجمعي. فكلام للاياسمينة؛ «يجب قراءة القرءان كما نزل من السماء»[21]يسمح لنا بتصور ومعرفة بعض ملامح العقلية الفقهية التي كانت سائدة- ولا يمكن الجزم أنها انتفت- بالمجتمع المغربي. ومرة أخرى ستضع الباحثة الحديث الذي ورد في صحيح البخاري؛ «الكلب والحمار والمرأة تقطع الصلاة إذا مرت أمام المؤمن ، فاصلة بينه، وبين القبلة» موضع البحث. وتعرج في بحثها أولا على تعريف القبلة التي هي اتجاه مكة (بعد أن كانت توجه نحو القدس) حيث توجد الكعبة، التي تعطي لصلاة المسلم بعدها الكوني. ثم أن الكاتبة تقدم تحليلا واستعراضا للشروط الاجتماعية التي رافقت ظهور الاسلام، في علاقتها بالعوامل والاوضاع السوسيواقتصادية التي كانت تعيشها المجتمعات العربية ، وكذلك الجماعات الدينية والاثنية. وتستخلص أن الاسلام دين توجه إلى كل الناس؛ لأن جامع محمد، خلافا للأديان الأخرى، ليس بناء وإنشاء، وإنما أفق. والجامع هو كل مكان، يكفي المؤمن للصلاة أن يعدل اتجاهه صوب مكة وأن يضع أمامه شيئا يمثل رمزيا القبر المقدس.

إن القِبلة، هي العمل على تحويل العالم، من مدينة عربية كمركز سطحي. وإبعاد النساء عن القبلة هو إبعادهن عن كل شيء. وحشر المرأة مع حيوانين داجنين كونها تحدث اضطراب بين المصلي والجوهر الالهي، «هو تأكيد للتعارض بين جوهرها والجوهر الالهي»[22]. وتعود مرة أخرى الى سيرة أبي هريرة، حيث أن له مشكلة مع النساء تعود وتحضر في لقبه نفسه، كما تعود الى أيام اشتغاله في بيت النبي. وتعرض بعد ذلك حديث؛ «سمعت أبا هريرة يروي أن من يفاجئه الفجر وهو جنب لا يمكنه أن يصوم» الذي نفته أم سلمة وعائشة. وقد تراجع عن هذا الحديث قبل موته. فقد كان الجنس والمرأة الحائض في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام رمزا للقذارة والتدنيس. هكذا، وتبعا للمبادئ التي حددها علم الاسناد للتأكد من صدق الأحاديث المنسوبة للنبي، يتبين أن أبا هريرة لم يكن من النوع الذي يمكن الوثوق في روايته كما يوضح الطبري. وبالتالي اعتبار المرأة ك»نجاسة» أو كمفسد للصلاة لا يملك سندا دينيا يقينا.

خلاصة تركيبية:

اهتمت الباحثة بسؤال مشاركة المرأة في الحياة السياسية خصوصا، والحياة الاجتماعية عموما La question de la participation des femmes à la vie politique، ليس من أجل إنجاز بحث أكاديمي يتميز بالجدية و الراهنية فقط، بل إن بحثها ينطلق من إشكالية ومشكلة اجتماعية عاشتها الباحثة، وأثارت مخيلتها وفكرها النقدي الذي قادها إلى إنجاز هذا البحث. فانطلقت من الواقع الاجتماعي المغربي الذي يتميز بحصار ومراقبة صارمة مفروضة على المرأة، وهي مراقبة تتفاعل مع استبعاد المرأة من الحياة السياسية والحياة الاجتماعية في المجال العام لتغيبها بشكل شبه نهائي عن التمتع بحقوقها المختلفة كإنسان، لتبحث عن مدى مطابقة المبادئ والأفكار التي يقوم عليها هذا الفكر المستند للسنة النبوية والقرآن لروح الاسلام الحقيقية أو إن شئنا تدقيق القول؛ مقاصد الاسلام، وإلى ما جاء به نبي الاسلام نقلا، وتجسيدا؛ سواء في سلوكه أو في أفكاره وتوجيهاته.

هكذا، لجأت الباحثة فاطمة المرنيسي إلى علم الاسناد للتأكد من الحديث الذي رواه أبو بكرة في أنه لا يصلح لقوم أن تحكمهم امرأة. وهو حديث يتهاوى أمام قوة الحقائق التاريخية التي تؤكد وجود عائشة، مثلا، في ساحة الصراع السياسي الذي عقب وفاة عثمان مقتولا. هذا الحدث سوف يشكل، من بين الأحداث الأخرى، بداية انقسام وتأزم للحياة السياسية في المجتمع الاسلامي. بل إن نتائجه سوف تتسرب إلى بنية التفكير في العقل العربي الذي سوف يصبح أرثودوكسيا جدا في القرون اللاحقة. ومن هذا أن التفكير في المشاكل التي يعيشها الإنسان العربي أصبح يتم في اتجاه استدعاء الماضي والنكوص إلى الذكريات السعيدة التي تحملها فترة الفتوحات الإسلامية؛ فصار التفكير في الحاضر يتم من خلال الاستكانة إلى الماضي والترجي أمام بابه كي يقدم الحلول للواقع الحالي المتأزم. صحيح أن الإسلام حقق إنجازات كبيرة في فترات تاريخية معينة، خاصة الفترة التي كان العالم الاسلامي تحت

فاطمة المرنيسي : النسوية بين التراث و الحداثة

قيادة رجـل متبصر يقدر دور المـرأة والأفراد عموما ويستشير من من شأنه أن يفيد في حسن تدبير أمور المسلمين، غير أن هذه النجاحات تمت في فترة زمنية محددة وفق شروط سوسيوتاريخية محددة كذلك، وبالتالي محاولة إحياء ذلك وإعـادة تشييد نمـوذج مماثل في واقع مختلف هو أمر لا يملك أي سند علمي أو منطقي. دون أن يعني هذا أن التراث الديني الإسلامي يجب القطع معه نهائيا، بل- كما تؤكد المرنيسي- يجب فقط فحصه واكتشاف ما لحق به من تحوير وتشويه لمبادئه الرئيسية، وهذا بغية إيجاد ما يمكن أن يفيد في حل صعوبات ومشاكل الحاضر.

تتبنى الباحثة رؤية تقوم على اعتبار أن الإسـلام دين يتضمن ما من شأنه أن يساهم في إقامة مجتمع تسوده العدالة وينعم أفراده بحياة كريمة وفي شروط متكافئة بين مختلف مكوناته. غير أنه يجب مراجعة وتمحيص التراث الديني الذي تم تضمينه أشياء تتنافى مع ما نادى به الله ورسوله (ص).ومن ذلك مثلا حديث أبو بكرة الذي يجسد نموذجا لاستغلال الدين مقابل تحقيق مصالح معينة، أو لإشباع نزوات شخصية. بل كما نجد في كتاب «صحيح البخاري، نهاية أسطورة» لرشيد أيلال أن أحد أهم المصادر التي يقوم عليها هذا التراث أصبحت مجرد «أسطورة». هذا التوظيف الإيديولوجي، إذا، للدين وما استتبعه من خلق لأحاديث جديدة نسبت للنبي دون أن يكون قد قالها مطلقا، ترسخ في الحياة الاجتماعية وفي التقاليد كما يبين المثال الذي ساقته المرنيسي؛ فالأستاذ المحاضر الذي يتحدث عن أن الرسول قال أن المرأة والكلب.. يفسدان صلاة المؤمن إذا مروا أمامه.. لم يثر فيه أي ريبة أو تساؤل حول واقعية هذا الحديث، وهذا يعود، من بين ما يعود إليه، إلى النظرة المقدسة التي تم إصباغها على التراث الديني. وبالتالي فالمرنيسي لم تكشف فقط عن زيف الدعاوى والتصورات التي تذهب إلى ضرورة إبعاد المرأة عن المجال العام وعن الشأن السياسي، بل كشفتعن ثغرات وجوانب مزيفة في التراث الديني الاسلامي، وهو كشف، بالإضافة الى ذلك الذي قاده الجابري وغيره، جعل القول بقدسية هذا التراث يفقد مصداقيته. كما أن كتابها بين على أن ثنائيات؛ أنثى/ ذكر، عربي/غربي.. لا زالت تحكم نمط التفكير لدى العديد من مكونات العالم الاسلامي العربي. يمكننا القول أن العقل العربي صار، بدل أن يفكر في قضاياه بغية حلها، يفكر في كيفية إثبات أشياء من الماضي من خلال الحاضر. وبالنتيجة، فقراءة ومساءلة المرنيسي يجب ألا تغفل المنطلق المنهجي للمرنيسي، كي يكون النقد والـقـراءة واقعيين ومستوفيين للشرط العلمي. ■

الهوامش

[1]- La sociologie au Maroc, Hassan Rachik et Rahma Bourqia, 2011 : http://journals.openedition.org/sociologies/3719

[2]- بلقزيز، عبد الاله. نهاية الداعية: الممكن والممتنع في أدوار المثقفين. بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2010، ص79.

[3]- Mernissi, Fatema. Le harem politique : Le prophète et les femmes. Paris, Albin Michel, 2010, p7.

[4]- أبي نادر، نايلة. التراث والمنهج: بين أركون والجابري. بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2006، ص59.

[5]- Mernissi, Fatéma. Le harem politique : Le prophète et les femmes. Casablanca, Le Fennec, 2017, p6.

[6]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ترجمة عبد الهادي عباس. دمشق، دار الحصاد، ص 14.

[7]- Voire Le harem politique. 2017,l'annexes : Sources, p297.

[8]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص21.

[9]- Mernissi, Fatema. 2010, p23.

[10]- الجابري، محمد عابد. نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص16.

[11]- الجابري، محمد عابد. نقد العقل العربي(1)، تكوين العقل العربي. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص56.

[12]- الجابري، محمد عابد. نقد العقل العربي(1)، تكوين العقل العربي. 2009، ص61.

[13]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص32.

[14]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص34.
[15]- فروج ، عمر. تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون. بيروت ، دار العلم للملايين، 1972، ص7.
[16]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص39.
[17]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص50.
[18]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص62
[19]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص76.
[20]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص77.
[21]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص74.
[22]- المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي: النبي والنساء. ص90.

حوار مترجم للفيلسوف الفرنسي إتيان باليبار

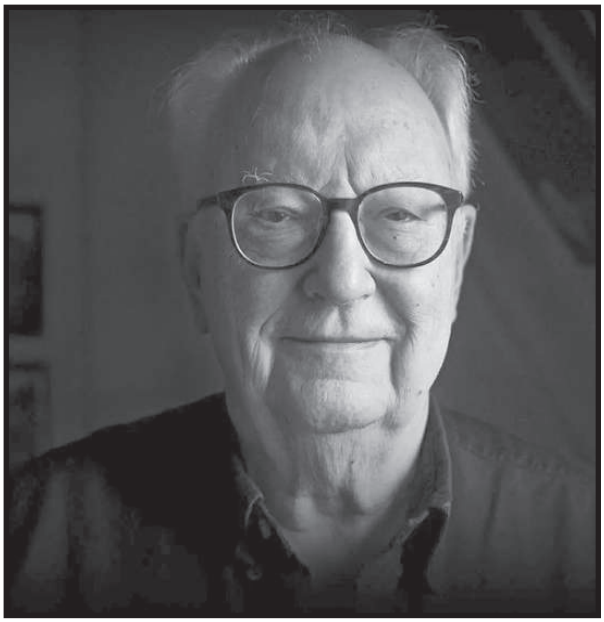

حول "تداعيات الجائحة على الوجود الإنساني"

ترجم الحوار الباحث محمد جليد، جريدة "لوموند" الفرنسية

وضع الفيلسوف الماركسي متنا فكريا يساعده على مواجهة الأزمة الصحية الراهنة، وكذا الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تتراءى في الأفق. فرغم أن "إتيان باليبار" (مواليد 1942) يعد أحد المفكرين الفرنسيين الذين يحظون بمتابعة أكبر، إلا أنه يتحلى بالتواضع. يشهد على ذلك الجزآن الأولان من أعماله الكاملة "التاريخ اللانهائي" و"أهواء المفهوم". إذ لا يعثر فيهما القارئ على تساؤلاته المدهشة والمتنوعة (حول الكوني، والحدود، والعنف...) فحسب، بل يجد فيهما أيضا سخاء الفيلسوف الذي يبني عمله باعتباره حوارا صريحا مع مجايليه من العالم أجمع. فكيف ينظر إلى الأزمة الكونية الراهنة؟

- كيف يواجه رجل مثلك، تشرب الثقافة السياسية الماركسية بعمق، الجائحة الراهنة؟ هل استبعدت القضية الفيروسية المسألة الاجتماعية؟

هنا يطرح خيار جميل، يكاد يكون أشبه بامتحان الباكالوريا! في نظري، ما يلفت النظر أكثر في "القضية الفيروسية" هو، بالطبع، الآلام التي ترافقه، وكذا الاستعجال الذي يضفيه على مشكلة المناعة التي تخترق جميع الحواجز الوطنية أو الاجتماعية. لكن ثمة تقاطع آخر، قوامه الضعف المتفاوت بين مجتمعاتنا تجاه الجائحة. إذ لسنا متساوين أمام الخطر، ولا أمام الإجراءات المتخذة لدرئه، حيث تتحول التفاوتات، الحادة على نحو صارخ، إلى عوائق أنثروبولوجية، أي إلى انقسامات داخل الجنس البشري.

- من بين العلامات الضائعة التي تثيرها هذه الجائحة هذا الشعور الذي تتوقف عنده في الجزء الأول من كتاباتك: لم ينته التاريخ، بل يتواصل، لكن بخنق السياسة...

سيظل الزمن يمضي على الدوام، حتى ولو لم تكن هناك سياسة بالمعنى القوي للكلمة... لكن تصورنا للزمن آخذ في التغير، حيث بدأنا نعي، مع فكرة الأنثروبوسين والدمار

- كيف يواجه رجل مثلك، تشرب الثقافة السياسية الماركسية بعمق، الجائحة الراهنة؟ هل استبعدت القضية الفيروسية المسألة الاجتماعية؟

هنا يطرح خيار جميل، يكاد يكون أشبه بامتحان الباكالوريا! في نظري، ما يلفت النظر أكثر في "القضية الفيروسية" هو، بالطبع، الآلام التي ترافقه، وكذا الاستعجال الذي يضفيه على مشكلة المناعة التي تخترق جميع الحواجز الوطنية أو الاجتماعية. لكن ثمة تقاطع آخر، قوامه الضعف المتفاوت بين مجتمعاتنا تجاه الجائحة. إذ لسنا متساوين أمام الخطر، ولا أمام الإجراءات المتخذة لدرئه، حيث تتحول التفاوتات، الحادة على نحو صارخ، إلى عوائق أنثروبولوجية، أي إلى انقسامات داخل الجنس البشري.

- من بين العلامات الضائعة التي تثيرها هذه الجائحة هذا الشعور الذي تتوقف عنده في الجزء الأول من كتاباتك: لم ينته التاريخ، بل يتواصل، لكن بخنق السياسة...

سيظل الزمن يمضي على الدوام، حتى ولو لم تكن هناك سياسة بالمعنى القوي للكلمة... لكن تصورنا للزمن آخذ في التغير، حيث بدأنا نعي، مع فكرة الأنثروبوسين والدمار الذي تعلنه، أن الزمن التاريخي والزمن الجغرافي لا ينفصلان. ففي القرنين التاسع عشر والعشرين، كان المناخي والبيولوجي يشكلان جزءا واحدا مما كان يسميه الاقتصاديون بـ"العوامل الخارجية". وإذا كنا نرغب في الاحتفاظ بشيء ما من هذا التمازج بين التاريخ والسياسة، فلا بد إذا من أن تصير هذه الأخيرة سياسة بيولوجية وسياسة كونية.

- تدعو إلى "سياسة بيولوجية". كان الفيلسوف "جاك دريدا" (1930-2004) قد اقتبس مصطلح "المناعة الذاتية" ليصف جسما يدمر ذاته بتوجيه دفاعاته نحو ذاته...

استعمل "دريدا" هذا المفهوم بخصوص الطريقة التي تفاعلت بها الحكومة الأمريكية مع هجمات 11 شتنبر 2001، عبر سن قانون خاص بالمشبوهين يستدعي مباشرة متخيل دفاع المنظومة ضد العوامل المعدية. في نظري، لم يكن "دريدا" يريد القول إن الديمقراطية كما هي تميل إلى تدمير ذاتها، وإنما يبين بعض الإجراءات الأمنية تقتلها. بالنسبة إلي، سأقول إن ملمحا من ملامح الديمقراطية يكمن في أن الوعي باستراتيجية الحماية الجماعية برمتها، سواء تعلق الأمر بغلق الحدود، أو العزلة، أو تعقب "السكان المعرضين للخطر"، ليست مضرة. فالطريقة التي يريدها مجتمع ما "لخوض الحرب"، حتى ضد الفيروس، تعرض الديمقراطية للخطر.

هذا العالم المحكوم بعلاقات الهيمنة. بينما تدشن الكارثة البيئية، التي تنضاف إليها الآن الكارثة الوبائية

- يبدو كذلك أن الكارثة الصحية تخنق منظورات التحرر. يلاحظ المنظر الأمريكي "فريدريك جيمسن" أنه "يسهل اليوم تخيل نهاية العالم أكثر من نهاية الرأسمالية". ما رأيك في هذا القول؟

الكلمة الأهم هنا هي "تخيل"، لأنها تدل في الآن ذاته على الطابع الاستعجالي والصعوبة الجوهرية. يعد "تخيل" نهاية الرأسمالية محرك الآمال الثورية. لقد تخيلنا هذا الأمر على الدوام، لا كـ"نهاية العالم"، التي تمثل التيمة الدينية الكبرى المشحونة بالفزع والوعد، وإنما كـ"نهاية" هذا العالم المحكوم بعلاقات الهيمنة. بينما تدشن الكارثة البيئية، التي تنضاف إليها الآن الكارثة الوبائية، منظورا ثالثا، مأساويا من زوايا كثيرة؛ لكن المأساة ليست قدرا، بل هي صراع بين الضرورة والعناد، هي "سيزيف" كامو...

- "أن تستمر الأشياء كما في السابق، تلك هي الكارثة"، هذا ما قاله "والتر بنيامين" (1892-1940)، أحد الكتاب الذي تستعيدهم ريشتك دائما. هل ينتاب هذا الباعث على الاختلاف عن السابق، الذي أطر الحلم الثوري، كوابيسنا الصحية اليوم؟

ما أرغب في قوله هو أننا قادرون على التأكد من مسألة واحدة: لن يستمر التاريخ كما كان. لكن لا يمكن التنبؤ بهذا التحول في عموميته، حيث نجهل محتواه. يجب أن نتوقع، على الخصوص، بأنه سيقدم بدائل غير منسجمة فيما بينها، وأنظمة حكومية وقيما إنسانية متناقضة. يجب أن نأمل

أن تتم تسوية صراعاته بطريقة مدينة، عبر وسائل ديمقراطية، لا عبر الدكتاتورية أو استمرار الوحشية التي ستقودنا إلى نظام الكارثة.

- **"في الواقع، ألا يتمثل تهديد من التهديدات التي تحوم في الوقت الراهن، في انتصار ما تسميه بـ"سياسة القسوة"؟**

نددت بعد آخرين بالفكرة التي يعطيها "مكيافيللي" لعمل "الأمير"، والتي تتضمن فرجة التوحش. لقد تساءلت عن البعد المأساوي التي يرى النور عندما نفهم جميعا، بما في ذلك "مكيافيللي" نفسه، أن هذه السياسة لا يمكن مقاربتها كلية. لقد امتلك وعيا حادا على الأقل، بخلاف جميع "المكيافيلليين" الصغار والكبار الذين يمثل التطرف في العنف بالنسبة إليهم المحفز على الهيمنة والسلطة.

نحن نتحدث هنا عن قسوة مدروسة ومفيدة ومعقلنة. لا يتعلق الأمر بهذا الأمر تماما عندما نقول إن الوضع الراهن قاس على نحو مرعب. فهو قاس بالنسبة إلى من يموتون وأقاربهم وجيرانهم وأصدقائهم. وتزداد هذه القسوة وطأة بالنسبة إلى كل "الرجال الذين يمكن التخلص منهم"، كل الذين يموتون بشكل تفضيلي، إن جاز القول. خلف هذه القسوة المجهولة، ثمة بالتأكيد ممارسات حكومية، خيارات أو غياب خيارات، يمكن أن نصفه في بعض الحالات بأنها "إجرامية"، عن طريق الإغفال أو التقصير على الأقل. لكن عمق القسوة الذي تتفرع عنه كل المشكلات السياسية، وكذا مشاعر خيبة اليأس والتمرد التي تفرزها، يحيلنا على منظومة أكثر منه إلى سياسة. لنقل إنه نظام تترجمه سياسات معينة. وهذا النظام هو الرأسمالية النيوليبرالية، التي لا تقوم قاعدتها على استغلال العمل وزيادة الأرباح فحسب، بل على تثمين كل النشاطات الإنسانية الأكثر حميمية وتسليعها، على حساب الرعاية والمساعدة، والحياة أخيرا.

- **"ربما أبدا! ربما غدا"، لكن ليس اليوم، هذا أكيد"، يقول "دو كارمن" الذي تستشهد به. هل ينطبق هذا القول على رفع العزلة الذي تأمله؟**

أنت تحدثني عن إسبانيا كما تخيلتها الأوبرا الفرنسية، سأجيبك بنشيد المقاومة الموسوم بـ"نبوكو" لـ"فيردي". أنصت إليه في هذه اللحظة، عشية "يوم التحرير" الذي يستعد اليسار الإيطالي كله للاحتفال به افتراضيا. ■

متى ستعتذر فرنسا وإسبانيا عن جرائمهما الاستعمارية بالمغرب؟

أسامة الزكاري
باحث في التاريخ

ازداد النقاش استعارا خلال الأسابيع القليلة الماضية، حول التحركات التي تقوم بها الكثير من النخب الجزائرية ومن المثقفين ومن المهتمين، من أجل إجبار فرنسا على الاعـتراف بجرائمهما الكولونيالية فـوق الأرض الجزائرية على امتداد العقود الطويلة للمرحلة الاستعمارية الممتدة بين سنتي 1830 و1962. وإذا كنا لا ننوي –في هذا المقام- الخوض في تداعيات هذا الموضوع على مجمل العلاقات الفرنسية الجزائرية الراهنة، فإن الأمر أضحى يثير نقاشا مضطردا بين المهتمين بالمغرب، من أجل إعـادة تقليب صفحات الاحتلال الاستعماري الفرنسي والإسباني لأجزاء واسعة من بلاد المغرب خلال العقود الأولى من القرن 20.

لقد ترك الاستعماران الفرنسي والإسباني لبلاد المغرب، ندوبا لا تندمل بالتناسي، وجرائم لا تغتفر بالالتفاف الديبلوماسي اللبق، وحقوقا لا تسقط بالتقادم. في هـذا الإطـار، أصبح من المشروع توسيع دوائر المطالبة بإعادة قـراءة صفحات التاريخ الاستعماري والإسـبـاني ببلاد المغرب، ليس بهدف تحريك المواجع، ولكن –أساسا- بهدف إعادة قراءة تاريخنا المشترك مع فرنسا وإسبانيا، بمآسيه وبآلامه وبإفرازاته، وقبل كل ذلك، بامتداداته العميقة التي لازالت ترخي بظلالها على الواقع الراهن للمغرب، دولة ومجتمعا وقيما ومسارا ومستقبلا.

لا يمكن، في هذه العجالة، حصر كل جرائم الاستعمار ببلاد المغرب. ولا نستطيع التوثيق لكل مطالب الضحايا، ولا نستطيع الـترافـع لتحقيق هذه المطالب، لاعتبارات شتى، لعل أهمها مرتبط باستمرار ثقل تراكم الماضي الاستعماري جاثما على انتظارات الراهن وعـلى توجيه دوائـر التحرك والفعل والمبادرة. ومع ذلك، فلابد من الاعتراف أن المدخل الأسـاسي لفتح منغلقات الحقبة الكولونيالية، لا يمكن أن يتحقق إلا بعد إجبار المعتدي على الاعتراف بجرائمه كمقدمة لتقديم الاعـتـذار ولترتيب الجزاءات المعنوية والسياسية الضرورية.

ارتكبت فرنسا وإسبانيا جرائم حقيقية في حق المغرب والمغاربة خلال المرحلة الاستعمارية وقبلها بسنوات طويلة سابقة عن تاريخ فرض نظام الحماية يوم 30 مارس من سنة 1912. ويمكن أن نستشهد في هذا الإطار، على سبيل المثال لا الحصر، بما وقع في معركة إيسلي سنة 1844 عندما توغل الفرنسيون في عمق التراب المغربي، وألحقوا هزيمة كبيرة بالمغاربة، عقابا لهم على مساندتهم للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري. وفي سنة 1859، أعاد الإسبان نفس الأمر وهم يحتلون مدينة تطوان بعد أن سحقوا الجيش المغربي، عقابا للمغاربة عن الأدوار الجهادية التي كانت تقوم بها قبيلة أنجرة في محيط مدينة سبتة. وفي سنة 1901، توغلت القوات الفرنسية نحو الجنوب بقيادة كزافيي كوبولاني لتقتطع منطق شنقيط من الدولة المغربية، بعد أن اقتطعت مناطق واسعة بالصحراء الشرقية مثل كورارة وتيدكلت وتوات، ولترتكب جرائم تهجير للسكان وإعادة توطين للحدود، بكل يخدم مصالحها الاستعمارية، مما خلق مآسي حقيقية لازالت ترهن واقع

نافذة فكرية : متى ستعتذر فرنسا وإسبانيا عن جرائمهما الاستعمارية بالمغرب؟

المنطقة إلى يومنا هذا.

وفي سنة 1907، ارتكبت فرنسا مجزرة حقيقية وهي تقصف المدنيين العزل بمدينة الدار البيضاء، قبل أن ترتكب مجازر وحشية في حق قبائل منطقة الشاوية مثل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد سعيد وأولاد بوعزيز ومزاب، ثم في حق سكان مدينة وجدة ونواحيها، مما أدى إلى نجاح الفرنسيين في ترسيخ احتلالهم العسكري المباشر لكل منطقة الشاوية ومنطقة المغرب الشرقي. وبعد فرض نظام الحماية، انطلقت «حروب التهدئة» التي شنتها فرنسا ضد المقاومة المغربية وضد قياداتها الوطنية الكبرى، مثل أحمد الهيبة ماء العينين بالجنوب، وموحا أوحمو الزياني بالأطلس المتوسط، وموحا أوسعيد بنفس المنطقة، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي بمنطقة الريف، وعسو باسلام بمنطقة الأطلس الكبير. في هذه الحروب الاستعمارية، استعملت فرنسا كل الأسلحة الفتاكة التي تم تطويرها خلال الحرب العالمية الأولى، ولم تتردد حليفتها إسبانيا في قصف شمال المغرب بالأسلحة الكيماوية الفتاكة التي لازالت آثارها قائمة إلى اليوم، تشهد على جرائم الاستعمار في حق الإنسان والشجر والحجر والماء...

وإلى جانب الضغط العسكري المباشر، وإنهاك المقاومة وعموم المغاربة بالتجويع وبالحصار، اعتمدت فرنسا وضع محاكم عسكرية صورية لتصفية رجال المقاومة، وخاصة خلال خمسينيات القرن الماضي عندما اندلعت الموجة الثانية لحركة المقاومة المسلحة في الظروف التاريخية المعروفة. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل لجأ الفرنسيون والإسبان إلى وسائل خطيرة لتفكيك مقومات الوجود المغربي، مما يمكن اعتباره جرائم ضد الإنسانية، من قبيل توريط المغاربة في حروب لم تكن تعنيهم لا من قريب ولا من بعيد، مما شكل آلة ماكرة لحصد أرواح كثيرة لمغاربة أبرياء لم يكونوا معنيين -إطلاقا- بما كان يقع فوق أراضي القارة الأوربية من صراعات ومن هواجس استعمارية، مثلما هو الحال مع المغاربة الذين ألحقتهم فرنسا بقواتها العسكرية خلال الحربين العالميتين، أو المغاربة الذين وظفهم الجنرال فرانكو ضد أعدائه الجمهوريين المعروفين ب»الروخوس» خلال الحرب الأهلية الإسبانية التي امتدت بين سنتي 1936 و1939، أو مع المغاربة الذين ورطتهم فرنسا في حروبها الاستعمارية بالهند الصينية،...

ومـن جانب آخـر، استهدف الاستعمار الفرنسي والإسباني نهب خيرات المغرب وثرواته الطبيعية، مما أدى إلى دفع الثمن باهضا، بانتشار المجاعات والأوبئة والأمـراض، بل ووجد المغاربة أنفسهم عاجزين عن توفير حاجياتهم الغذائية، مثلما هو الحال مع السنة التي خلدتها الذاكرة الجماعية للمغاربة باسم «عام البون»، حيث عمت المجاعة بشكل مطلق، بعد أن قامت فرنسا بتوجيه الإنتاج الفلاحي نحو تلبية الحاجيات الأساسية لفرنسيي الميتروبول، مما أدى إلى اختفاء الغذاء من السوق المغربية، وإلى عودة المغاربة للاعتماد على وسائل التغذية البدائية «الفطرية» لحل هذا المشكل. وفي نفس السياق كذلك، يمكن أن نحيل على الاستغلال البشع للموارد الاقتصادية الطبيعية المرتبطة بالصناعة، مثل الفوسفاط والحديد والنحاس، ثم المـوارد البحرية، إلى جانب التنكيل المتواصل باليد العاملة الفقيرة التي أجـبرت على التكدس بأحياء الصفيح الفقيرة، في شروط تنعدم فيها أدنى مستويات احترام كرامة البشر.

لقد استغل الاسـتـعـمار ما استطاع استغلاله، وقتل ما استطاع قتله من المغاربة، ومارس أقسى مظاهر الظلم والقهر في حـق مـن نجا من مشانق المحاكم العسكرية، ومع كل ذلـك، خرج غانما ومرتاحا ومطمئنا، خاصة بعد أن وضع الكثير من الأسس التي ضمن -مـن خلالها- استمرار تبعات الاحتلال الاستعماري قائمة في صلب الدولة والمجتمع في الكثير من المجالات الاقتصادية والثقافية واللغوية والسياسية، الأمر الذي ساهم في تكبيل عجلة التغيير في بلادنا، وفي دفع الثمن باهضا خلال مرحلة الاحتلال المباشر، ثم خلال مرحلة ما بعد حصول البلاد على استقلالها السياسي.

الآن، والآن فقط، يجب أن نعود لمحاسبة فرنسا وإسبانيا على جرائمهما ببلادنا، بدءا من جرائم تمزيق وحدة المغرب وسلخ أجزاء واسعة من أراضيه، ومرورا بعملياتهما العسكرية ومجازرهما التي خلفت ضحايا أبرياء لازالوا ينتظرون الإنصاف، سواء بالنسبة لمن قتلوا أثناء «حـروب التهدئة»، أم بالنسبة لمن استغلوا في الحروب الاستعمارية الفرنسية وفي الحرب الأهلية الإسبانية، أم بالنسبة للذين أجـبروا على «الانتحار البطيء» في ظل سياسة التنكيل الاستعماري ذات التلاوين المتعددة.

إنها قضية مبدأ، وقضية وجـود، وقضية كرامة، ثم قضية مستقبل. ففرنسا وإسبانيا أجرمتا في حق المغرب والمغاربة، ومن الواجب عليهما تصحيح أخطائهما، لتحقيق التصالح التاريخي والعادل المنشود مع الذاكرة المشتركة للشعبين المغربي والفرنسي من جهة، وللشعبين المغربي والإسباني من جهة ثانية. ■

المهاجرات المغربيات ومسألة الاندماج

فاطنة إكتم
باحثة في العلوم الاجتماعية

عرفت الهجرة النسائية تطورا في أبعادها الكمية والنوعية عالميا ووطنيا، بعد أن كانت محصورة في إطار التجمع العائلي الذي أقرته مجموعة من البلدان الأوروبية مع مطلع السبعينيات من القرن العشرين، حيت كانت تهاجر العديد من النساء المغربيات وأطفالهن لأسباب اجتماعية وثقافية. وستشهد الهجرة النسائية بعد ذلـك تصاعدا ملحوظا مع أواخر الثمانينيات وبداية التسعيينيات من نفس القرن، خاصة نحو دول الهجرة الجديدة كإيطاليا وإسبانيا، مع بروز دوافع جديدة مقترنة بالتحولات الراهنة للمجتمعات العالمية على المستوى السوسيو اقتصادي/ثقافي. هكذا مالت الهجرة نحو التأنيث، فأصبحت النساء تهاجرن بشكل فردي، ولم تعد هجرتهن تعتمد على الالتحاق بالزوج فقط.

لم يكن نشاط المهاجرات أو عملهن على جدول الأعـمال، في بداية الهجرة، وظلت النساء المغاربيات مهمشات في عملية الإنتاج. مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات هاجرت النساء في إطار مستقل من أجل العمل أو من أجل الدراسة. وفي كل مرحلة سواء تعلق الأمر بدول الهجرة القديمة كفرنسا وبلجيكا وهولندا، أو دول الهجرة الجديدة كإسبانيا وإيطاليا، واجهت النساء عالما جديدا ونمطا جديدا من العيش، تعاملن معه وفق قدراتهن الثقافية والاجتماعية والنفسية، فإلى أي حد استطاعت المغربية المهاجرة أن تندمج داخل مجتمع الاستقبال؟ وما هي مظاهر هذا الاندماج؟ وما هي أهم التحديات التي واجهتها النساء ببلدان المهجر، من أجل ذلك؟

- مفهوم الإندماج

ينتمي مفهوم الاندماج إلى العديد من الحقول المعرفية، ومنذ منتصف السبعينيات أصبح مصطلحا سائدا في النقاش العام في الـدول الغربية حول الرهانات المتعلقة بالتعدادات المهاجرة. صار مفهوم الاندماج ملتبسا، وشحن بعدة أفكار وحمولات فكرية وسياسية وايديولوجية. فكل تيار أو حزب في الغرب يعمد إلى تأويل اندماج المسلمين في المجتمعات الغربية وفق مرجعية خاصة به.

جاء في لسان العرب، أدمج في الـشيء إدماجا واندمج اندماجا : إذا دخل فيه[1].وترد كلمة (Intégration) بمعنى دمج، توحيد، تكامل عضوي [2]. وفي اللاتنية تعني كلمة اندماج «كلية وكاملة»، واندماج شيء، جسم، مجتمع... يعني أصبح واحـدا أو جزءا لا يتجزأ، فالمفهوم لا ينطبق على الجزء بل على الكل [3]. كما يجب إزالة أي التباس بين مفاهيم الدمج والاندماج والِاستيلاب،

الهوامش

1 - ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، المجلد الثاني، ج 17-16، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ. ص. 1420.

2 - المنهل، م.س. ص. 665.

3 - خيما مارتين مونيوث، الإسلام والمسلمون في إسبانيا، ترجمة كنزة الغالي، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2008، ص. 24.

فهاته المفاهيم الثلاث ليست متعادلة، وتقوم على فلسفات مختلفة جدا، وتعود إلى مرجعيات متنوعة في علم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد... ويتم تعريف الِاستيلاب على أنه القبول الكامل من قبل المهاجرين لمعايير المجتمع المستقبل، وتشرب ثقافته، والانقياد لقيمه. بينما يعرف الدمج (Insertion) بوضع شيء بين أشياء أخرى أو إيجاد مكان في مجموع، والِادماج هدف أدنى يعني استقبال الأفراد الذين يعزمون العودة مرة أخرى إلى ديارهم، ومن هنا يتم التركيز على الحفاظ على الهوية وعلى علاقات المهاجر مع ثقافته الأصلية. ويعبر الاندماج عن الطاقة والمقدرة على المواجهة والتبادل في حالة مساواة وتشارك (مبادئ وقيم وقوانين ونماذج وتعامل) بين كلا الطرفين المهاجر ومجتمع الاستقبال. فالِاندماج إذن هو ذلك المنحى التدريجي الذي يمكن الوافدين الجدد من أن يصبحوا فاعلين نشطين في الحياة الاقتصادية والمواطناتية والثقافية والزوجية لبلدان الاستقبال[4].

استطاع مفهوم الِاندماج توليد مفهوم آخر وهو مفهوم التمييز، والذي ظهر في القاموس العادي للعمل العام في فرنسا في أواخر التسعينيات، ويفهم « التمييز» على كونه «معاملة سيئة بسبب الأصل الحقيقي أو المفترض» للأشخاص، وتعتبر بذلك مكافحة التمييز بمثابة أحد المحاور المهمة لسياسة الاندماج، كما أصبح المفهوم موضع نقاش في الأوساط الفكرية والسياسية

والجمعوية، وتم اقتراح مكافحة التمييز في السياسات العامة، وأصبحت هي الكلمة التي يلتف حولها عدد كبير من الباحثين في مقابل شعارات « المواطنة» و «الِاندماج»[5]

يساعد الوقوف عند مفهوم الاندماج ومقاربته، انطلاقا من مفاهيم أخرى كمفهوم الِاستيلاب أو الذوبان على تتبع المسار التاريخي لهجرة المرأة المغربية، المنظور لها كفاعلة إيجابية في الإدماج، وناقلة القيم الثقافية بامتياز. فهل استطاعت المرأة المغربية أن تندمج في المجتمع الغربي ؟ وما هي مظاهر هذا الِاندماج ؟ وهل استطاعت الحفاظ على القيم الخاصة بموطنها الأصل؟ أم انقادت بشكل تام لقيم المجتمع المسيطر؟ أم أنها تعيش نوعا من الِازدواجية بين ثقافتين، تؤثر بشكل أو بآخر على الرغبة في الِاندماج؟

-بروز إشكالية الاندماج

تميزت فترة التجمع العائلي وتأسيس الأسر كمرحلة مهمة من مراحل الهجرة، بالِانتقال من هجرة مؤقتة إلى استقرار دائم في أوروبا، وغير وصول الأزواج والأطفال ثم ظهور الجيل الثاني، من طبيعة الجاليات المغربية في أوروبا الغربية، إذ لم يعد الأمر يتعلق بعمال مهاجرين معزولين كثيري التنقل، يقطنون أساسا في غرف الضيوف أو الِايجار. لقد تحول المهاجرون إلى جاليات ضخمة بنسائها وأبنائها تقطن أساسا في مساكن متواضعة.

كان المغاربة يستقرون في الأحياء القديمة التي غادرها أصحابها الأصليون، أو في وحدات سكنية على هوامش المدن الكبرى عرفت باسم كيتو(Ghetto)، أي ذلك المكان المنزوي عن المدينة والمنفصل عنها بحزام الفقر والتهميش. وتستعمل الكلمة للدلالة على مجموعة الأحياء الجديدة التي تحاصر المدينة والتي يتراكم ويعزل فيها المهاجر من كل القوميات، حيث الفقر والبطالة والعنف.

ويشير المصطلح بكل تجلياته إلى واقع الهجرة خلال المرحلة الأولى من استقرار الأسر، حيث كان المهاجرون لا يتمتعون بامتيازات تمنحهم إياها حكومات دول الاستقبال، إذ يلتجأون غالبا لتأسيس جمعياتهم الخاصة، وأماكن متواضعة للعبادة، ويعملون على تطوير نسيج من المشاريع المبنية على الِانـتـماء « الإثني»[6].

كان للأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها فرنسا وسائر مجتمعات الاسـتـقـبـال الأخـــرى مـع منتصف السبعينيات، نتائج شديدة الأهمية في تهميش قطاع هام من المهاجرين، وأصبحت الأحـيـاء المنعزلة مسرحا للعنصرية[7]، وللصراع بين قوات الأمن (الـتـي أصبحت في بعض الأحـيـان الممثل الوحيد للدولة بهاته المناطق) ومجموعات من الشباب المهاجرين من الجيل الثاني الذي يكن شعورا متعاظما بالكراهية للمجتمع الفرنسي بأكمله،

الهوامش

4 - خيما مارتين مونيوث، م.ن. ص. 25. انظر أيضا : مشروع يورميد2 (2011 – 2008 (EUROMED، دراسة تم إعدادها بمساعدة الإتحاد الأوروبي وبدعم من الإدارة العامة للمعونة الأوربية للتنمية والتعاون التابعة للمفوضية الأوربية ضمن برامج للتعاون في مجالات العدل والهجرة والأمن بين أوروبا ومنطقة جنوب البحر المتوسط والشرق الأوسط، الهجرة النسائية بين دول البحرالأبيض المتوسط والإتحاد الأوروبي، جامعة سايكس، مركز الدراسات السياسية الدولية...، ص. 202.

- الإندماج بالنسبة لدوركايم، هو شكل من أشكال « التماسك الإجتماعي» الذي يعد بمثابة رابط يتيح الإندماج في مجتمع حديث يتميز «بالتضامن العضوي» الذي يشد أفراد المجتمع إلى بعضهم البعض. هذا التضامن ممكن من خلال دمج الأفراد في المجتمع عبر مؤسساته المختلفة (الأسرة، المدرسة، العمل، المجتمع السياسي...) كمجالات للإدماج. وتعتبر المدن الكبرى وأحزمة البؤس، المهاجرون، الأقليات العرقية والدينية، أماكن العمل... مثالا لمشاكل الإندماج. انظر :

Ait Ben Lmadani Fatima, « Les femmes Marocaines et les vieillessement en terre d'immigration « , Confluences-Méditerranée, 2001/4 N0 39, L'Harmattan , 2001, p. 82

6 - باولو دو ماص، فسيفساء الهجرة المغربية (2010-1959)، ضمن المغرب وأوروبا ستة قرون في نظرة الآخر، تعريب محمد بيضا، الرباط 2010، ص. 218. انظر أيضا : بلقاسم الجطاري، الهجرة المغاربية : وضعيتها الثقافية، علاقتها بالهوية ورهاناتها المستقبلية، دفاتر مركز الدراسات والأبحاث حول حركات الهجرة المغاربية، العدد السابع، أكتوبر 2004، صص. 57-56.

7 - يعرف المشرع الفرنسي العنصرية أنها بمثابة تجليات «للتمييز والكراهية والعنف» تجاه شخص أو مجموعة أشخاص بسبب أصولهم أو انتمائهم إلى عرق أو أمة أو جنس أو ديانة معينة، وممارسة التمييز العنصري تنطلق أساسا من التشبث بمجموعة من الاختلافات، سواء الحقيقية أو المتوهمة التي يستعملها العنصري من أجل تبرير امتيازه أو عدوانيته، وللعنصرية في فرنسا كما في باقي البلدان الأوروبية الأخرى جذورها الفكرية والتاريخية، التي تضرب في عمق المخيلة الأوروبية، وفي صلب هذه المخيلة يوجد الإلحاح على رؤية الآخر : الأسود، اليهودي، العربي...وتقييمه وترتيبه، ومرجعية هذه النظرة إلى الآخر تنطلق من فكرة : العالم الغربي سيد الكون والذي يحتكر التاريخانية.، وذلك الآخر حيث الحضارات المحكوم عليها بالسكون أو إعادة الماضي. وهكذا تشكلت ثقافة توسعية مسيطرة تقوم على مركزية عرقية، وقد أصبح المهاجر بين الحربين العالميتين شيئا فشيئا هو ذاك الآخر الذي يحمل معه الأمراض والأوساخ.

إن العنصرية الموجهة ضد المهاجرين ليست ظاهرة حديثة في فرنسا، فخلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، كان عدد من الفرنسيين يتحدثون عن «الأجانب غير القابلين للاستيعاب من بولونيين وإيطاليين ويهود... وفي كتاب لرايمون ميلي ((Raymond Millet صدر في 1938، يميز هذا الأخير بين الأجانب غير المرغوب فيهم من لاتينيين وسلافيين وبين أفضل المهاجرين من بلجكيين وسويسريين... إلا أن خصوصية الجالية المغاربية والمستمدة من العامل الثقافي (الإسلام) والعامل التاريخي (حروب الإستقلال) جعلت منها الجالية الأكثر تعرضا للعنصرية. ولذلك فقد ارتبطت الاعتداءات الأولى على الجزائريين وما لذلك من علاقة بتطورات حرب التحرير الجزائرية، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى الدموية التي قمعت بها التظاهرة الجزائرية في باريس في 17 أكتوبر 1961. أصبحت العنصرية ضد المغاربيين تمتد في كل الأماكن الاجتماعية، وإن كانت أعمال العنف العنصرية ضد الممتلكات والأشخاص، قد ظلت مستقرة في نفس المعدل في سنة 1982 حيث تم تسجيل 53 حالة مقابل 64 في 1988 و 46 في 1987، فإن الإهانات المكتوبة أو الشفوية استمر مؤشرها في تصاعد كبير(77 في 1987 و 135 في 1988 تم 237 في 1989) وكما أشار تقرير «اللجنة الوطنية الإستشارية لحقوق الإنسان « حول مكافحة العنصرية وكراهية الأجانب برئاسة بول بوشي(Paul Boucher) في فبراير 1990، أن 80% من الأعمال العنصرية التي تم إحصاؤها في 1989 قد استهدفت مغاربيين، وفي نفس السياق تشير الباحثة (Mireille Elmalan)، أن من بين 20 أجنبيا تم اغتيالهم خلال سنوات 1986 و 1989 بدافع العنصرية، كان هناك شخصا واحدا رومانيا، و الباقي كلهم من أصل مغاربي. انظر :

علي سكاح، المهاجرون المغاربيون في فرنسا وإشكالية الإندماج، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، إشراف : امحمد الداسر، 1994-1993، ص ص. 119-116-115.

محمد مصلح، تفاعلات الهجرة من الناحية الاجتماعية، ضمن سلسلة الندوات هجرة المغاربة إلى الخارج، لجنة القيم الروحية والفكرية التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2000، ص. 130-129.

ويحمله مسؤولية بؤسه، وبؤس الجيل الأول الذي استنزفت دولة الِاستقبال قوته لبناء ذاتها، وأهدرت طاقات الأبناء عندما حرمتهم من العيش الكريم حتى في أبسط تجلياته على المستوى التعليمي، إذ لم يجد هـؤلاء الأبناء المجتمع مفتوحا كما يرغبون، إضافة إلى أن بلد المهجر لم يهيئ لاستقبال الأسر القادمة للاستقرار.

ساعدت ظاهرة انتظام المهاجرين في تجمعات هامشية مستقلة، يديرونها بأنفسهم على تحقيق بعض متطلبات الهوية الثقافية لهؤلاء المهاجرين. إذ تشبت الجيل الأول بروابطه الإسلامية ورفض الانصهار في المجتمع الغربي، لعدم قدرته على استيعاب القيم الثقافية والاجتماعية الأجنبية، وجهل ثقافته الأصلية للأسس العلمانية التي تقوم عليها فلسفة الغرب، كما سعى إلى بلورة مطالب تكمن في صيانة حرية العقيدة وضـمان ممارسة الشعائر الدينية في بلدان الإقامة، عبر فتح مساجد للصلاة داخليا، في المعامل والوحدات الإنتاجية التي تشغلهم، مع مراعاة عدم انتشارها خارج جموع المهاجرين[8]. وتجدر الإشارة أن النساء اللواتي هاجرن من أجل لَمّ شمل الأسر، كما هو الشأن بالنسبة لبلدان الهجرة القديمة، لم يستطعن خـلال تلك الـفـترة، فـرض أنفسهن كأطراف سياسية واجتماعية فاعلة داخل المجتمع الأوروبي، وظلت المهاجرة تعمل في الهامش ارتباطا بوضعيتها القانونية كتابعة لمشروع هجرة الزوج، مع غياب تام لحقوقها الفردية. هاته الوضعية تكون عادة محفوفة بالمخاطر في حالة الانفصال أو وفاة الـزوج، إذ يمكن أن تعرضها للطرد، مع فرص ضئيلة يمكن من خلالها الحصول على بعض الحقوق عبر عملية قانونية، قد تستغرق من سنة إلى أربع سنوات.

لقد تأسست سياسة الهجرة للدول الأعضاء على أساس نمطي يعتبر النساء أفـرادا غير مستقلين، بل « ملاحق» لأزواجـهـن أو آبـائـهـن، مـما زاد في عزلتهن الاقتصادية والاجتماعية. فما هي أهم الخصائص والسمات المميزة للنساء الرائدات المهاجرات في إطار لم الشمل؟

الـمـهـاجـرات الـرائـدات ومسألة الاندماج

كانت معظم الأسر المهاجرة خلال السبعينيات ذات مستوى اجتماعي بسيط، وجل نساء الجيل الأول، غير مؤهلات للعمل خارج البيت، ومعظمهن كن أميات[9]. حافظت المهاجرات على نفس أدوراهـن ببلد الانطلاق كربات بيوت، حيث كن يتعهدن أبناءَهُنّ بالرعاية والتربية متشبثات بوظيفة الإنجاب التي خولت لهن مداخيل إضافية إلى جانب منح البطالة، وقد تجاوز معدل الإنجاب لديهن خمسة أطفال، وبذلك حافظن على سمات العائلات الممتدة. كما عاشت نساء الجيل الأول من المهاجرات حالة خضوع تام للضغط العائلي، منفصلات عن المجتمع الغربي، متشبثات بهويتهن الدينية، وبالمقابل عملن على خلق ظروفا اجتماعية كالتي كن يعشنها في بيئتهن القديمة، بنسج روابـط مع الجيران من نفس القبيلة أو العائلة، شمل هذا المحيط الجارات والسيدات اللاتي يتحدثن نفس اللغة، أو اللهجة، وينتهي الأمر بإقامة شبكة للترابط. وتتطور العلاقات بين النساء المهاجرات بطريقة تدريجية، من نواة الأسرة المركزية إلى تكوين مجموعة من الأصدقاء من جنسيات مختلفة، تجمع بينهن الغربة والحنين إلى الوطن.

سعى رب الأسرة خلال هاته المرحلة إلى تحسين دخله باعتماد الساعات الإضافية بنفس العمل أو خارج أوقات الشغل، وظلت الوظائف التي يشغلها دوما هامشية وفي بعض الأحيان غير مرتبة، كالعمل في المقاهي والمعامل والضيعات الفلاحية... أما مشاركة النساء في سوق الشغل خلال السبعينيات فقد اتسمت بالضعف بسبب تهميشهن الاجتماعي، وضعف أو انعدام المستوى التعليمي لدى أغلبهن، إضافة إلى الجهل بلغة بلد الاستقبال، كما اضطرت بعض المهاجرات إلى أن يشتغلن في أعمال ثانوية وغير مرئية لا تحتاج إلى تأهيل مهني عال من أجل دعم دخل الزوج.[10]

تعاملت نساء الجيل الأول من المـهـاجـرات، مع مرجعيات مختلفة عن مرجعيات بلدهن، وظلت لديهن مجموعة من الحيثيات هامشية كمسألة الملبس ولغة الآخر وثقافته، وفي الوقت الذي استنفذ فيه الذكور جل أوقاتهم

في العمل، خاضت النساء في ظل الأمية والروابط التقليدية معركة صامتة من أجل العيش في مكان الإقامة حيث كان أكبر أملهن هو النهوض بواقع حال أبنائهن، والكثير من شباب الجيل الثاني والثالث من المهاجرين يدينون بالفضل لأمهاتهم[11].

عانت المهاجرات الرائدات في عموم هجرتهن من الِاضطهاد والِاستغلال وعدم الِاستقرار، وشكلن مجموعة مهمشة ومقصية في البلد المضيف. هذا الإقصاء يرجع كذلك للمسار الذي فرضته عليهن الهجرة، فمهاجرات الجيل الأول هاجرن ليس لأجل تحقيق رغبات خاصة بهن، ولكن من أجل الأزواج والأبناء. إلا أن النموذج التقليدي للهجرة المرتكز على صورة المرأة المسلمة السلبية المهاجرة إلى أوروبا والمحاصرة في ضواحي المدينة، سيتحطم شيئا فشيئا مع ظهور الجيلين الثاني والثالث من المهاجرات، اللائي بدأن شق الطريق بكل ثقة وحرية، وبخطى ثابتة مقارنة مع الجيل الأول، فاللغة أصبحت تربطهن وتقربهن من أهل البلد أكثر فأكثر، حتى وإن ظل المجتمع الغربي يتقبلهن بحذر، ويدمجهن على خجل في هياكله، وسيجعل توسع شريحة المهاجرات الجدد (اقتصاديات، طالبات...)، مع تباين مستوياتهن الثقافية وفئاتهن العمرية، من نهاية القرن الماضي، مرحلة أكثر أهمية فيما يخص تفاعل المهاجرة مع المجتمع الجديد، حتى وإن بدا الوسط الذي قبل الآباء العاملين بشكل مؤقت غير مستعد

الهوامش

8 - . لحبيب أنفاذ، بعض مظاهر من حقوق الإنسان في بلاد المهجر، ضمن الهجرة المغاربية والعولمة : المهاجر في سياق التنمية ، دفاتر مركز الدراسات والأبحاث حول حركات الهجرة المغاربية، ع7، أكتوبر 2004، ص. 35.

9 - . كان الأميون يشكلون حوالي 50% من المهاجرين قبل سنوات 1960، كما كان للاغلاق الحدود أثرا انتقائيا منذ 1974، مما ساهم في تغيير هاته النسبة وأصبحت لا تمثل سوى 20% أثناء النصف الثاني في عقد السبعينيات، وقلت النسبة فيما بعد إلى 10% من المهاجرين.

- وعلى سبيل المقارنة فقد بلغت نسبة الأمية لدى النساء الحضريات 88% خلال سنة 1960، و 57% في سنة 1982. أما بالنسبة للمرأة القروية فقد بلغت هاته النسبة ما بين 99% و 95% خلال نفس الفترة على التوالي. وفيما يخص نسبة الأمية عند أرباب الأسر من النساء فقد بلغت 91.9% في سنة 1991، و58.5%، عند الرجال في نفس السنة. انظر :

-محمد مغاري، البعد الديمغرافي للهجرات، ترجمة أنور مغيت، الهجرة المتوسطية، مشروع تعاون بشأن الاندماج الاجتماعي للمهاجرين الوافدين والهجرة وحركة الأشخاص، تمويل المفوضية الأروبية، برنامج ميدا (AMED)، تقرير 2005، ص. 185.

- الكونفدرالية الديمقراطية للشغل، مقاربة لواقع المرأة بالمغرب، المكتب التقني الكونفدرالي للتعاون، تطوان، ص. 45.

10 - . فاطمة مسدالي، واقع المرأة القروية بدول المهجر، مجلة البادية المغربية، ع3، 2009، ص. -88 89. انظر أيضا :

لبنى البكاري الوضعية الإجتماعية للمرأة المسلمة في بلاد المهجر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المتخصصة، وحدة الشريعة والقانون، إشراف : حسن الزاهر، جامعة القرويين، 2004-2003، ص. 79.

11 - . تشكلت في السبعينيات من القرن الماضي، أولى جمعيات النساء الأجانب من أصل متوسطي وخاصة من المغرب، كانت هاته الجمعيات تضم بشكل أساسي طالبات ومفكرات شابات ومنفيات سياسيات وناشطات يساريات. وقد تأثرت هاته الحركة بالمناخ الوطني والدولي، وانتشرت في أوروبا وخاصة في فرنسا في إطار معارض(يدعم حركات التحرر الوطني والاحتجاجات الطلابية) ومساند للنضالات السياسية والاجتماعية في بلدانهن الأصلية، ينصب اهتمام هاته الحركات على النضال السياسي تم يأتي بعد ذلك اهتمامها بالنساء المهاجرات. وفي ظل هذا المناخ نشأت جمعيات العمال المهاجرين، حيث انضم هؤلاء إلى التنظيمات النقابية. بقي النضال من أجل الإستقلال حاضرا في الأذهان كمصدر إلهام للنساء في نضالهن من أجل المشاركة الكاملة في الحياة العامة، والتصدي للقوى السياسية التي تنادي بعودة الناشطات إلى بيوتهن وإعطائهن دورا ثانويا بعد التحرير، وظهرت هاته الجمعيات كطرف رافض للمجتمع الذكوري، كما أن اهتمامها بوضع النساء المهاجرات لم يكن غائبا عن برامجها، وإن لم تعطه الأولوية. من أمثال هاته الحركات التي كانت تقودها نساء المغرب العربي : جمعية النساء المغربيات (1978-1972) و مجموعات النساء المغربيات (-1979 1982)، المتكونة من طالبات وأعضاء الِاتحاد الوطني لطلبة المغرب... قامت بالنضال المزدوج من أجل حقوق المهاجرات بشكل عام وحقوق المرأة بشكل خاص، غير أن عددا قليلا من النساء المهاجرات في إطار لم الشمل، من كن يقمن بدور هام في تنظيمات الهجرة، لأن صورة العامل المهاجر كانت تمثل غالبا الذكر، بينما تشكل النساء فقط زوجات العمال المهاجرين. وإن كانت النساء حاضرات في هاته التنظيمات بنسبة 40% من السكان الأجانب وفقا لِاحصاء الرسمي في سنة 1975، فأغلبهن يتشكلن من الإسبانيات والإيطاليات أما مهاجرات المغرب العربي فقد جئن في المرتبة الثالثة. انظر: يوروميد للهجرة 2، م.س. صص. 272-271-270-269-268.

لاستقبال الأبـنـاء بشكل نهائي، وقد دخلت هاته الأجيال في تساؤلات حول الهوية والاندماج... ورفضت كل أشكال العنصرية والعداء والِاقصاء.

الأجـيـــال الـجـديـدة مـن الـمـهـاجـرات وقضية الإندماج

تشبت الجيل الأول بروابط الهوية الإسلامية، ورفض الِانصهار في المجتمعات الأروبية، كما لم يكن أيضا قـادرا على استيعاب القيم الثقافية والِاجتماعية الغربية مما يبرر صعوبات اندماجه. بينما اختارت أجيال الهجرة التي ازدادت بأرض المهجر، اتباع سبل الاندماج في مجتمع الاستقبال، لقدرتهم على التواصل الحضاري والثقافي واستيعابهم للقيم السياسية الغربية، ولِاطلاعهم أيضا على الآليات القانونية والسياسية لحقوق الإنسان التي توفرها الدساتير الأوروبية وتقرها المواثيق الدولية. وارتباطا بالأرض التي ولدوا فيها، اختار أبناء وبنات الجيل الثاني والثالث جنسية دول الميلاد، حيث مكنهم هذا المركز القانوني الجديد من اكتساب حقوق المواطنة والاندماج في الحياة العامة. ورغم ذلك فالمهاجرات يواجهن مجموعة من التحديات، فهن يعشن تعددا ثقافيا وتداخلا بين القيم وتصارعها، حيث الِاضطراب بين قيم الأسرة المسلمة وقيم المجتمع المضيف، مما يولد صراعـات داخـل الأسر، يبرز هذا التناقض بين الفاعلين في التنشئة الاجتماعية، فالمعايير التي تمررها المؤسسات التعليمية تختلف عن تلك التي تسود داخل الأسرة ولا يحكمها نفس الإطار المرجعي، مما يفسح المجال لتمظهر عدة مشاكل على مستوى القيم والـنـماذج الثقافية[12]. وقـد اندرجت الصراعات بين الآبـاء من الجيل الأول والأبناء تحت هذا الإطار من العلاقات، فالآباء متأثرون بطريقة التفكير الناقلة لسلوكيات مستلهمة من الدين والتقاليد، والبنات المتشبعات بثقافة البلاد المستقبلة، يطمحن في نفس الآن إلى مزيد من التحرر من قبضة الأسر.

ظهر من خلال استبيان آراء فتيات مغربيات في فرنسا، أن علاقتهن بآبائهن تشوبها التوترات والصراعات، كما توجد صعوبة اتصال وتواصل بين الطرفين، فصورة الأم التي تعيش معها البنت في البيت لا تشبه صـورة الأم الغربية، كما أنها تفتقد إلى القدرات الثقافية التي تساعد الفتاة على حل مشاكلها كمراهقة، وأب تطغى عليه ملامح الهيمنة، تزداد قسوة الآباء تجاه بناتهم مع بلوغ سن حرجة، أمام الخطر الذي يهدد شرف العائلة بسبب العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج، خاصة مع غير المسلم. وقد يظهر الآباء تشددا على خروج الفتيات للأنشطة الخارجية وعلى علاقات بناتهم مع أصدقائهن والانصياع لما هو ممنوع من مصادقة الذكور[13]. إن الممارس لمثل هاته السلطة الأبوية، ينتمي في غالب الأحيان للجيل الأول من الآباء، بينما ساندت الأم سلطة الأب دون اعتراض عليها في الغالب، لأنها تمثل الصورة النمطية للمرأة الخاضعة لسلطة الـذكـور. وأحيانا يتأثر الابـن بسلطة الأب، فيصبح للإخوة أيضا سلطة على شقيقاتهم.

تعيش الأسرة المهاجرة حالة من التناقض بين تشريع تحرري، ونموذج أسري تقليدي يميل إلى أن يحيا من جديد عبر الهجرة. ويكفي أن نتذكر أن التعداد المغربي المهاجر في هولندا والذي ينحدر بأغلبية ساحقة من منطقة الريف في شمال المغرب، التي تعرف بمحافظتها، يترجم في صورة حماية مفرطة للمرأة وإبقائها في المنزل بعيدا عن أنظار الرجال، ومنع الفتيات من ارتياد المدارس، وترد مجموعة من النماذج مفسرة لهذا النوع من الرقابة الذكورية، عبر دراسات متعددة.

تشير فاطمة مـسـدالي في إحـدى دراساتها، إلى حالة «نادية» التي تصرح بقولها : «زوجي لا يريد أن أعمل خارج البيت، ولا يمكن أن أخرج دون إذنه، منعني من ربط علاقات مع نساء أخريات سواء كن مغربيات أو هولنديات، وعرقل رغبتي في تعلم اللغة الهولندية خوفا من الأفكار التحررية، ...أنا بالنسبة له هنا في هولندا من أجل خدمته وخدمة الأولاد». وتضيف «نادية»: « منعني زوجي من متابعة برامج التلفزيون الأجنبي، ومنحني الحق فقط في متابعة البرامج المغربية من خلال قناة المغربية».

وقد تأثر الِابن أيضا بطباع الأب، تقول «نادية»: « ابني رغم اِندماجه وانفتاحه على المجتمع الهولندي منع

إخوته من ربط صداقات عميقة مع زميلاتهن المغربيات والهولنديات خوفا من التأثر بسلوكهن التحرري... وهو يتتبع دائما الأماكن التي يذهبن إليها (المدرسة، الجامعة...)»[14].

إن النمطين المتناقضين اللذين تعيشهما المهاجرات، يدفعان أحيانا، ببعض الفتيات إلى التمرد على تقاليد العائلة، فينسلخن كليا عن الثقافة العربية الإسلامية، ومنهن من يتخلى عن كفالة الأسرة حين بلوغ سن الرشد، وتختار الفتاة الحياة الفردية على غرار النمط الأوروبي، لكن ذلك لا ينفي وجود حالات متعددة من الأسر، تعبر عن استعدادها التام للاندماج بمجرد ما تستوفى شروطه، وتصبح العملية ميسرة أكثر. وترد في بعض الدراسات عدة نماذج استطاعت فرض ذاتها داخل مجتمعات الِاستقبال، حيث كان للمدرسة، والحصول على الجنسية، والزواج المختلط... دور كبير في هاته العملية[15]. وفي الواقع كلما زاد اندماج المهاجرات في مجتمع الإستقبال، كلما أصبح للهوية الدينية طابع فردي وخاص.

اختلفت علاقة المهاجرات حسب الأجيال بالممارسات الدينية، فقد كان للجيل الأول من النساء المهاجرات علاقة خاصة بالإسلام. وبما أن أغلبهن كن أميات، فقد مِلْن أكثر لممارسة « إسـلام شعبي» إن صح التعبير، وقد كونت النساء المهاجرات في السبعينيات والثمانينيات مجموعات للعبادة والصلاة جماعة، وأضحت المجموعة مفتوحة أمام النساء المسلمات (جزائريات ومغربيات وتونسيات...)، وتوجت هاته التجمعات الروحانية بممارسات اجتماعية مرتبطة بالعلاج والتبادلات الاقتصادية...

كانت هاته الممارسات الدينية لنساء الجيل الأول في إطار محدود (أسري أو في الجوار)، أي في علاقة داخلية مع الدين. أما بالنسبة للجيل الثاني والثالث من المهاجرات المتعلمات في ثقافة المساواة والديمقراطية، فترى معظم الفتيات أنهن مسلمات بالوراثة أو بِالانتساب، لا يستطعن ممارسة الدين بطريقة عميقة، بسبب جهلهن بالقرآن وباللغة العربية، وإن كن يحترمن العديد من الشعائر

الهوامش

12 - لبنى البكاري، م.س. ص. 74.

13 - يوروميد للهجرة 2، م.س. ص ص. 293-292.

14 - Fatima Mesdali, « La vécu de la femme immigrante marocaine en Hollande», Quarante ans d'émigration marocaine en Hollande, Bilan et perspectives, Actes du colloque, organisé par L'institut Universitaire de la recherche scientifique et l'institut Néerlandais du Maroc-NIMAR, Rabat, 14-15 mai 2009 , 1ére édition, Kawtarprint, 2010, pp. 123-124

انظر أيضا : . يوروميد للهجرة 2، م.س. ص. 209.

15 - يوروميد للهجرة 2، م.س. ص. 201-200.

الدينية كالصوم في رمضان والاحتفال بالأعياد الإسلامية... ومن الفتيات من يرفضن ارتداء الحجاب كسلوك ديني، يحاول أن يفرضه بعض الآبـاء على البنات، ومنهن من رفضن التحرر على النمط الأوروبي، ورأين في ارتداء الحجاب استعادة لهويتهن كمسلمات.

إن الحجاب الذي ارتدته الأمهات والجدات لم يكن ليسبب أي مضايقات، وكان يشير إلى أن المهاجرات من الجيل الأول يواصلن العيش حسب عادات بلدهن الأصـل. أمـا الحجاب الـذي أصبحت ترتديه الفتيات المولودات في بلدان الإستقبال وغيرهن من الجيل الجديد من المهاجرات، فقد أصبح يطرح مجموعة من الإشكاليات[16].

تبدو فرنسا الأكثر تشددا اتجاه الرموز الدينية في المؤسسات المدرسية العلمانية، وقـد انفجرت قضية دوت أصداؤها في فرنسا كلها في أوائل 1989م بسبب موضوع الحجاب في إحدى المدارس في شمال باريس، حيث اتخذ مدير المؤسسة قرارا بعدم قبول ثلاث فتيات مسلمات في فصل الدراسة بسبب ارتدائهن الحجاب، وقد اعتمد في قراره على منشور وزاري صـدر سنة 1937 يـوصي « بالحفاظ على التعليم العام بمنأى عن الدعاية الدينية وعن الدعوة إلى نشر الأديان»، الفتيات هن مغربيتان وأخرى تونسية، أعمارهن تتراوح ما بين 14 و 15 سنة، ومن المفارقات أنهن يحملن الجنسية الفرنسية.

أصبحت هاته القضية، قضية رأي عام أدت إلى انقسام شديد داخل المجتمع الفرنسي، بـين تيار يهتف بعلمانية الدولة، وآخـر يؤمن بحرية العقيدة والحرية الفردية... وقد انتهت بانتصار المدافعين عن العلمانية وخلع الفتيات حجابهن. رأى البعض في ذلك انتصارا للقيم الفرنسية الأصيلة، وخدمة للمرأة المسلمة كي تتخلص من عبوديتها، ومنعا لانتشار الدعوة الإسلامية في المدارس وفي الحياة العامة[17].

ازداد الجدل حول الحجاب والنقاب بالخصوص في فرنسا وبلجيكا، وطرحت قضية منع النقاب، جنبا إلى جنب مع الرموز الدينية الأخرى في 2004 في فرنسا، مسألة إمكانية التعايش بين مجموعة من المفاهيم المتناقضة، فالمشكلة ليست في تنازع القوانين بقدر ما تعبر عن تنازع وتضاد الثقافات، فمثل هاته الصعوبات لا تعترض المهاجرات الأوروبيات اللائي تحكمهن في بلدان المهجر ثقافة موحدة في الغالب. وقد أظهر التحقيق الذي أجرته ميشال تريبلات سنة 1995م، أن الفتيات المهاجرات لا يندمجن بصورة بارزة مضاهية للذكور، كما أن البنات الجزائريات يندمجن في المجتمع الفرنسي على وجه أحسن مقارنة مع غيرهن من المغاربيات، بالنظر إلى المقاييس المعتمدة في ذلك (المدرسة، المسكن، الشغل، الزواج المختلط، لغة الخطاب...)، وذلك بعد البرتغاليات والاسبانيات وبمسافة كبيرة قبل التركيات، الأكثر خضوعا للحياة الجماعية، ولسلطة الزوج [18].

وتـواجـه المسلمات الـيـوم في ألمانيا الأفكار النمطية الاستشراقية الشائعة التي تنتشر في وسائل الإعلام وفي القوانين، فالإعلام يعمل على إعادة إنتاج الصور النمطية «للمرأة المسلمة»، المـرأة التقليدية المسلمة «المقهورة»، والمرأة المسلمة «الخطرة» التي تشكل «كل من أصوليتها الدينية (متمثلة في حجابها) وخصوبتها الزائدة تهديدا كبيرا» [19]. وغيرها من الأفكار المسبقة التي ترى بأن المسلمات غير جديرات بالحقوق والحريات التي ناضلت من أجلها النساء ذوات البشرة البيضاء، لأن ثقافتهن الأصلية على سبيل المثال، تحث على العنف، وتمنح للزوج حق تأديب زوجته، وأن النساء هن من يخترن القهر والإيـذاء طواعية، لأنهن اعتدن التأديب والإيـذاء البدني. ومن ناحية القوانين فهناك كثير من الأحكام القضائية والتشريعات المثيرة للجدل، ساهمت في توفير إطار قانوني للتضييق على الحريات الدينية والشخصية مثل (حكم غطاء الرأس). وكان لهذه القوانين تأثير كبير على المسلمات في مجالات العمل المتعددة، وأضحـت تشكل أمثلة صارخة للتمييز على أسـاس الجندر والعرق والدين[20].

كان من الطبيعي أن يتمخض عن التواجد النسوي المكثف بدول المهجر، ظهور مشاكل قانونية نتيجة تنازع القوانين المنظمة للعلاقات الأسريـة وانعكاساتها على استقرار الأسرة المغربية. كما شكلت وضعية الهشاشة التي توجد عليها العاملات المغربيات، أحد المؤشرات التي تعبر عن مـدى حقيقة اندماج المهاجرة في بلدان الإستقبال.

- المهاجرات أمام التحديات القانونية المتضاربة

تواجه المهاجرات المغربيات المقيمات بأوروبا عدة مشاكل قانونية، مردها أساسا تنازع القوانين الأوروبية ومقتضيات قانون الأحوال الشخصية المغربي، هذا التنازع ناجم عن اختلاف في المرجعيات، فالتشريعات المدنية الأوروبية تشترط المساواة بين الرجال والنساء في حين نجد قانون الأحوال الشخصية (قبل التعديلات التي عرفتها مدونة الأسرة لاحقا) يسمح بعدة امتيازات للذكور، كالسماح بتعدد الزوجات، الطلاق الذي يقره الزوج بشكل انفرادي، عدم المساواة في الإرث...

إن المرجع الأساس لقانون دول الاِستقبال، يعود إلى المعاهدات الدولية والاِتفاقيات التي أبرمت بين الدول الأعضاء، وأصبحت بمثابة قانون عام، هاته المعاهدات اهتمت بالفرد عامة، وبالمرأة خاصة، وفي مقدمتها ميثاق الأمم المتحدة، الذي دعا إلى اِحـترام حقوق الإنسان بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين [21] .

إن المرجع الأساس لقانون الأحوال الشخصية، هو الشريعة الإسلامية، مما يعني أن هناك وجود تناقض حاصل بين المرجعيتين. فتعدد الزوجات مثلا الذي يقبله الشرع ترفضه القوانين الغربية، ويتعرض من يبقي على أكثر من زوجة واحـدة على ذمته إلى عقوبات رادعة منها السجن [22]. أما فيما يخص مسألة الإرث، فأغلب الأوروبيين يرون في قضية الميراث مبررا لدنو وضع المرأة، وإن برر مغزى هذا التشريع في الدين الإسلامي، الذي يأخذ بعين الاعتبار الأعباء المضاعفة التي تقع على عاتق الرجل، في حين يرى

الهوامش

16 - يوروميد للهجرة 2، م.س. ص ص. 301-300-299-298.

17 - شريف الشوباشي، هل فرنسا عنصرية ؟ إشكالية الهجرة العربية والإسلامية في أوربا، الأهرام التجارية، القاهرة، 1992، صص. 164-163.

- إن أبرز الاتهامات التي يلقيها الفرنسيون والأروبيون بصفة عامة، في كل حديث عن الإسلام، هو وضع المرأة في ضوء تعاليم الدين، حيث يرون أن المرأة في الإسلام تمثل كائنا مضطهدا، يعتبر مواطنا من الدرجة الثانية، كما أن 76% من الفرنسين، حسب تقرير نشرته صحيفة لوموند المسائية بتاريخ 30 نونبر 1989، يؤمنون بأن خضوع المرأة وخنوعها هو سمة من سمات المسلمين، وبما أن المجتمع الفرنسي ناضل طويلا من أجل المساواة بين الرجل والمرأة، خلال نصف القرن الماضي، فقد أصبحت لديه فكرة إخضاع المرأة محط جدل ونقاش تثير ثائرة كل الفرنسيين، و يعتبر ذلك بمثابة عودة إلى الوراء، وإن من أبرز خصائص المجتمع الفرنسي والمجتمعات الغربية عامة، هي رفضهم التام أي إعادة نظر في المكاسب الاجتماعية والإنسانية التي تعد انعكاسا لتطور البلاد. انظر : شريف الشوباشي، ن.م.، ص ص. 160-147.

18 - جمعية الدراسات الدولية، منزلة المرأة في المغرب العربي والمتوسط، تونس، 2002، ص ص. 35-34.

- كانت نسبة النساء المغربيات المتزوجات في إسبانيا بغير المغاربة، أكبر من نسبة الذكور، حيث بلغت 61% سنة 1994 و 60% في 1995 . وخلال نفس السنوات المذكورة، من مجموع 8077 من المغاربة المتزوجين بأجنبي 4.408 هن نساء و 3.669 رجال: أي بنسبة 54.5% مقابل 45.4% لكلا الجنسين على التوالي. انظر :

- Statistiques sur « La communauté marocaine résident en Espagne», Le mariage mixte dans les relations euro-maghrébin, op.cit, pp. 263-264.

19 - كاثرين كلاوزينج، تمكين النساء المسلمات في ألمانيا، ضمن كتاب النسوية والمنظور الإسلامي : آفاق جديدة للمعرفة والإصلاح، تحرير أميمة أبو بكر، ترجمة راندا أبو بكر، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، 2013، ص. 87.

20 - على سبيل المثال «أصدرت ثمان مقاطعات فيديرالية منذ عام 2003 ما يسمى بقوانين الحياد، التي تحظر على المعلمات في المدارس الحكومية ارتداء غطاء الرأس. وقد توسعت بعض المقاطعات في هذا القانون ليشمل العاملات في دور الرعاية والعاملات المدنيات في الشرطة والمحاكم والسجون، مستثنية بوضوح الرموز المرتبطة بالمسيحية واليهودية من ذلك الحظر». كما تقل فرص الطالبات اللاتي يدرسن في أي فرع من فروع الدراسة في الحصول على فترة تدريب أثناء الدراسة بسب غطاء الرأس. انظر :

كاثرين كلاوزينج، تمكين النساء المسلمات في ألمانيا، ضمن كتاب النسوية والمنظور الإسلامي...، م.س.ذ، ص. 88.

21 - لبنى البكاري، م.س. ص. 38. انظر أيضا :

22 - خديجة المضمض، هجرة النساء، الهجرة القسرية : النوع والنزوح، نشرة دورية، العدد 9، مركز دراسات اللاجئين في جامعة أكسفورد، 2001، ص. 18.

23 - اتضح للسلطات في فرنسا حين بدأت تطبيق قانون جمع شمل الأسر في أواسط السبعينيات وبداية الثمانينيات، أن بعض مواطني المغرب العربي العاملين قد جلبوا من بلادهم أكثر من زوجة دخلت بطريقة شرعية.

القانون الغربي أن المرأة والرجل أصبحا يتقاسمان أعباء مشتركة مما يبرر حقوقا متساوية. وتطرح أيضا مشاكل عديدة تخص حضانة الأطفال، والزواج المختلط الذي يتم إبرامه في شكله المدني وهو ما يعتبر فاسدا في نظر القانون المغربي، كما لا يمكن أن تترتب عليه آثار عقد الزواج الشرعي، لأنه يتم دون مراعاة للشروط الجوهرية التي ينص عليها قانون الأحوال الشخصية (المدونة)، كعقده أمام عدلين، وتسمية مهر الزوجة، وحضور الولي، وإسلام الشخص الأجنبي الذي يريد الزواج بامرأة مغربية... ينظر إلى هاته الشروط في القوانين الأوروبية، بأنها تمس بحقوق الإنسان وحق الفرد، وتخرق مبدأ المساواة وحرية العقيدة[23].

تفضل النساء المهاجرات حينما يحصلن على الجنسية الأوروبية، الاحتكام إلى القوانين الأوروبية بدل التشريع المغربي، فينجم عن ذلك عدة مشاكل قانونية بمجرد عودتهن إلى المغرب، فمثلا المرأة التي تحصل على الطلاق وفق القانون الأوروبي تبقى رغما عنها في ذمة زوجها حسب التشريع المغربي، ويمكن أن تتعرض إلى عقوبة السجن إذا ما تزوجت من جديد، ومن النساء من تم مطالبتهن بالرجوع إلى بيت الزوجية من طرف الزوج الأول، -حتى وإن تزوجن مرة أخرى- لأن الزوجة لازالت في عصمته حسب قانون بلد الأصل، وهي منفصلة عنه حسب قانون دولة الاستقبال.

أصبح موضوع الأحوال الشخصية يطرح نفسه بحدة لدى الجالية الأجنبية المسلمة بأوروبا عموما، ويشكل أحد مشاغل حكومات الدول الغربية لارتباطها بالهجرة الآتية من الجنوب، وخصصت للموضوع عدة نقاشات عامة وسياسية، يتم معالجتها من طرف مسؤولين سياسين ولجان رسمية، من أجل وضع حلول أكثر استجابة لواقع المهاجرة. وقد تم طرح مجموعة من الحلول كالمطالبة بتطبيق أحكام التشريع المغربي على النساء المهاجرات في الديار الأوروبية حفاظا على التقاليد والثقافة المغربية، لم يلق هذا الحل ترحيبا لأنه يتنافى والمبادئ الكونية لحقوق الإنسان[24]. ومن أجل حل وسط وتوفيقي بين القانون الوطني المحافظ على ثقافة البلد الأصلي للمهاجر المسلم وبين قانون دولة الإقامة الاعتيادية، الذي يتجاهل هوية المهاجر ويعمل على استيعابه، اقترح جون ايف كارلييه (Jean Yves Carlier) في أطروحته، معيار «سلطان الإرادة»[25]، كحل للمشاكل المتعلقة بالأحوال الشخصية للجالية الأجنبية عموما، والمسلمة خصوصا بأوروبا، ويسمح هذا الاقتراح -معيار الإرادة- للأطراف المعنية بحق التقرير في المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية وذلك باختيار إما قانونهم الوطني وإما قانون إقامتهم الاعتيادية كقانون واجب التطبيق على أحوالهم الشخصية [26].

يعبر مشكل الأحوال الشخصية لدى المهاجرة بصفة خاصة والأسرة المغربية في بلاد الإقامة عموما، عن أحد مظاهر التناقضات الصارخة بين إشكالية الهوية والنموذج الغربي، حيث تصبح المهاجرة منقسمة بين الرغبة في الحفاظ على أصالتها وهويتها التي هي نتاج إرث حضاري وتاريخي هائل، وبين حاجتها الملحة في الانفتاح على مجتمع الإقامة. وعموما فقد قامت الدول المغاربية بمجموعة من الإصلاحات الداخلية، في مجال قانون الأسرة، من أجل التخفيف من هذا الشرخ الكبير بين النموذجين.

كانت تونس من أولى الدول المبادرة بإدخال تعديلات على قانون الأحوال الشخصية بشكل جعله يتضمن مقتضيات تضمن نوعا من المساواة بين الجنسين فألغت التعدد، والتطليق الانفرادي من قبل الزوج، واعترفت بحرية الزواج. لكن رغم ذلك يبقى بعض من هذه التعديلات نظريا، فقد أثبتت الممارسة أن المجتمع لا يقبل بزواج التونسيات من أجانب غير مسلمين، وتتحدث بعض الوقائع عن تونسيات مقيمات بالخارج تزوجن من أجانب فأرغمن بسبب ذلك على العودة إلى تونس، حيث تم حبسهن في بيوت العائلة، كما انتزعت منهن جوازات السفر حتى لا يلتحقن مرة أخرى بأزواجهن، وقد تتدخل المساعي الديبلوماسية الأوروبية إن كن يتمتعن بجنسية أجنبية لدعمهن على اعتبار أنهن من الرعايا الأوروبيين[27].

سعى المغرب في نفس السياق إلى إحداث مجموعة من الإصلاحات في مجال الأحوال الشخصية، متعلقة

بأمور الزواج والطلاق والولاية والنفقة... وجاءت المدونة الجديدة بمجموعة من المستجدات مقارنة بالمقتضيات الواردة في الأحوال الشخصية السابقة، كإقرار مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في رعاية الأسرة، وفي سن الـزواج، وإقـرار مبدأ الطلاق الِاتفاقي، كما تم تقييد إمكانية التعدد بشروط شرعية صارمة تجعل منه شبه مستحيل... [28].

لقد طرح القانون الجديد للأسرة بوضوح ولأول مـرة مسألة الحقوق الأسرية للمغاربة المقيمين بالخارج (مادة 14-15) ويحتوي على مادة تسعى لحل بعض المشاكل التي كـان يطرحها في الخارج تطبيق القانون القديم للأحوال الشخصية (المدونة). بالرغم من ذلك فإنه حتى وإن كان النص الجديد أكثر جرأة عن سابقه وبدا متأثرا بالفلسفة الكونية لحقوق الإنسان، فقد تم الِابقاء على بعض المواد النابعة من المفاهيم الشرعية والثقافية لـلأسرة في الإسـلام. كما أن أثر هاته الإصلاحات على نسبة مهمة من النساء تبقى سطحية لأن الأمر يتعلق بعقليات وذهنيات أكثر منه بقوانين [29].

إن الِانـكـبـاب عـلى التثاقف التشريعي الـذي يحتم على المهاجرة التأقلم والانـدمـاج باعتماد قوانين وتشريعات وعـادات دول الاستقبال لأنها الأفضل، تتناسى الحق في الِاختلاف وتحرم المهاجرة من تتبع قوانين بلادها والتمسك بهويتها وثقافتها مع ضرورة التعايش في وطن الِاستقبال دون استيلاب أو مغالاة.

بالإضافة إلى المشاكل القانونية، تعيش المهاجرات نفس وضعية المهاجر الـذي يتعرض للحيف والِاقـصـاء، ويتعرضن أكثر من غيرهن للِاستغلال في الظل، مما يفاقم من هشاشة وضعيتهن

الهوامش

23 - محمد مصلح، تفاعلات الهجرة من الناحية الاجتماعية، ضمن سلسلة الندوات، هجرة المغاربة إلى الخارج، لجنة القيم الروحية والفكرية التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2000، صص. 138-137-136-135.

انظر أيضا : خالد برجاوي، امتياز الذكورة في القانون الدولي الخاص المغاربي، المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد، عدد خاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، صص. 10-9-8-7-6

24 - جميلة أوحيدة، المرأة المغربية المهاجرة والحلول الرسمية الحالية الهولندية، المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد، عدد خاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، ص ص. 24-23.

25 -Carlier (Jean Yves) : «Autonomie de la volonté et statut personnel, Etude de DIP», Thèse de doctorat d'Etat, LOUVAIN-La NEUVE, oct, 1991, p. 456.

انظر أيضا : جميلة أوحيدة، ن.م، ص. 36.

26 - جميلة أوحيدة، ن.م، ص. 36.

27 - خديجة المضمض، هجرة النساء، الهجرة القسرية : النوع والنزوح، نشرة دورية، م.س.ذ، ص. 18.

. انظر المادة 4، المادة 19، المادة 78، من مدونة الأسرة وفق آخر التعديلات، سلسلة المعرفة القانونية للجميع، الدار البيضاء، دار الإنماء الثقافي، ط1، 2010، ص ص. 16-20-36.

. موفد المجلة المغربية، مدونة الأسرة تعالج قضايا الجالية المغربية المهاجرة بحكمة العقل...وحكمة القانون، المغربية : المهاجرات المغربيات يقتحمن الحداثة والعولمة، العدد 122، الرباط، 2010، ص. 37-33. انظر أيضا ، مدونة الأسرة، م.س.ذ.، ص. 19.

- تم إصدار أول مدونة تتعلق بأحكام الفقه الإسلامي المتعلقة بقانون الأحوال الشخصية في سنة 1957 مباشرة بعد الإستقلال، وقد عرف القانون عدة تعديلات كان آخرها تعديلات 1993، بعد خطاب غشت 1992 الذي أعلن بموجبه الملك الحسن الثاني أن المدونة ستصبح من اختصاص الملك. وسيثير مشروع خطة إدماج المرأة في التنمية التي ساهم فيها البنك الدولي، حفيظة مجموعة من الهيئات الدينية كرابطة علماء المغرب، جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية... فأصدرت بيانات تنديدية ضد بنود مشروع الخطة، وتمخض عن ذلك تأسيس الهيئة الوطنية لحماية الأسرة المغربية في 7 نونبر 1999. وسيتوج هذا الخلاف بمسيرتين وطنيتين متعارضتين، مسيرة الدارالبيضاء التي نظمها معارضو الخطة، وأخرى بالرباط نظمتها الهيئات المساندة للمشروع. وسينتهي الجدل بتشكيل لجنة ملكية استشارية لتعديل قانون الأحوال الشخصية في 27 أبريل 2001، وإصدار قانون رقم 70-03 في 3 فبراير 2004 بمقتضاه صدر قانون الأسرة (المدونة).

كعاملات.

- المهاجرات في سوق العمل بين الهشاشة ومحاولة الاندماج

لم ينظر للمرأة المغربية في بداية هجرتها من باب المصالح الاقتصادية الكبرى المشتركة بين بلدان الانطلاق وبلدان الوصول، وكعامل للتنمية، حيث عاشت المرأة المهاجرة -الآتية من بلد ثقافته مختلفة، ويعاني من وضع اقتصادي هش- على الهامش بسبب بلدها وجنسها، وستشجع الاتفاقية اللاحقة في أواسط التسعينيات، على إثر إعلان برشلونة، الدول المتعاقدة على الاعتراف بالدور الأساسي للمرأة في التنمية، مما يقر بضرورة تمكين المرأة المهاجرة من حقوقها كاملة في المسكن والعمل [30].

يعتبر العمل أحد المؤشرات الهامة المعبرة على مدى قدرة المهاجرة على الاندماج في سوق الشغل، فالحصول على الوظيفة والمساهمة في إدارة الشؤون العامة كلها توحي بالاندماج في بلدان الاستقبال، غير أن وضعية النساء المهاجرات العاملات تختلف حسب ظروف هجرة كل امرأة، فكما تختلف وضعية المرأة المهاجرة في إطار التجمع العائلي عن وضعية المهاجرة اقتصاديا، كذلك تختلف وضعية المهاجرة بصفة قانونية عن تلك الخاصة بالمهاجرة غير الشرعية.

اتسمت مشاركة النساء اللواتي التحقن بأزواجهن بدول المهجر خلال السبعينيات في سوق العمل بالضعف، بحكم الأمية التي كان يعاني منها أغلبهن وجهلهن للغة بلد الاستقبال لقد عمل بعضهن كخادمات في البيوت، وفي أحسن الحالات اشتغلن بمهمة التنظيف في إدارات أو فنادق... تعرض بعضهن للحيف نتيجة التمييز الحاصل بينهن وبين النساء الأصليات، كما خولت لهن وظيفة الإنجاب مداخيل إضافية، شكلت دعما لأزواجهن ولأسرهن بموطنهن الأصلي [31].

عانت المهاجرات الرائدات من عدم الاستقرار فيما يخص العمل، وشكلن مجموعات مقصية ومهمشة، وبتوسع شرائح المهاجرات وتباين مستواهن الثقافي وفئاتهن العمرية، تعددت وظائفهن بين وظائف دونية وغير مرتبة، وأخرى متوسطة، وبعض الوظائف ضمن الأسلاك العليا... ويمكن اعتبار هاته المرحلة، بداية التفاعل بين المجتمعات المصدرة والمستقبلة حيث أصبحت المرأة سواء الحضرية أو القروية تشكل قوة عاملة يمكن الاعتماد عليها، وقد انعكس ذلك على عائدات الهجرة بالإيجاب على موطنهن الأصلي، إذ استثمرت المهاجرات في العقار والخدمات وشراء الحلي والمجوهرات... وكثيرا ما كن يحملن معهن عند العودة إلى بلدهن الأصلي خلال العطل الموسمية، إلى جانب الهدايا، بعض البضائع المعروضة للبيع، وبفضلهن تمر منتجات متنوعة، حيث لا تتردد بعض النساء في إقامة شبكة اقتصادية غير رسمية.

مثل دخول النساء المهاجرات إلى عالم الشغل عاملا مهما في التحول الاجتماعي ووضع المرأة، كما أضحت اليد العاملة النسائية تشكل القاعدة الصلبة في اقتصاديات بلدان الاستقبال، إلا أنهن يعانين من التهميش والتمييز، فالأجور التي تتقاضها بعض النساء المهاجرات لا زالت هزيلة ولا ترقى إلى المستوى المعمول به ببلد الاستقبال، وعلى سبيل المثال، يماثل أجرهن 26% من الأجر الذي تحصل عليه العاملة البلجيكية، و78% من أجر العاملات الفرنسيات، وهو أقل بنسبة 76% من أجر الإسبانيات، وتعمل المرأة المهاجرة 46 ساعة في الأسبوع، بينما لا تعمل المرأة الإسبانية إلا 28 ساعة في نفس المدة. يعد هذا التمييز خرقا للمعاهدات الدولية وحقوق الإنسان، وقد تحدثت كثيرات منهن عن المشاكل التي لحقت بهن كعاملات نتيجة امتناعهن عن الاستجابة للتحرشات الجنسية من طرف رؤسائهن، وتعرض العديد منهن لأعمال انتقامية ... [32]

تعمل النساء المهاجرات بصفة غير قانونية في قطاعات الخدمة، ويمثل العنف والاعتداء والتمييز أهم المشاكل لهذا النوع من المهاجرات، ويتصف وضعهن بعدم الاستقرار، أغلب الوظائف التي يعملن فيها ترفضها الأروبيات ويعتبرنها غير ملائمة لمؤهلاتهن. كما تحس المهاجرة بغربة كاملة في العمل، أو في العلاقات الاجتماعية الخارجية، حيث لا تخضع وظائف العمل في البيوت لنفس التشريع القانوني الذي تخضع

له الوظائف الأخرى، نظرا لخصوصية العلاقة بين المشغل والعاملة، وتواجه النساء المهاجرات بصفة غير قانونية العديد من العقبات في سبيل أية محاولة لتنظيم وضعهن.

نخلص إلى أن اندماج المهاجرات يتطلب سياسة شاملة تستهدف المهاجر والأصلي، تسمح من جهة بترسيخ قوانين وثقافة دولة الِاستقبال لدى المهاجرة، وتميل من جهة أخرى إلى قبول السكان الأصليين للمهاجر وثقافته، كما يفترض الِاندماج إعادة التنشئة الاجتماعية لكل من المهاجر والأصلي من أجل التعاون وقبول الآخر مع اختلافه وتفرده. إلا أن الصعوبات التي تعيشها المهاجرة لا تنسينا المظاهر الإيجابية للهجرة النسوية المغربية بالخارج، المتمثلة في عدد مهم من النساء المغربيات اللواتي اِستطعن إسماع أصواتهن بالخارج، وحققن منجزات نوعية على المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية، وتمكن من إعطاء نماذج منخرطة وفاعلة في المجتمعات المستضيفة، أمثال رشيدة داتي [33]، التي تولت مناصب مهمة بفرنسا، التي أصبحت عضوة بصفوف حزب الإتحاد من أجل حركة شعبية بزعامة نيكولا ساركوزي، والناطقة باسم ساركوزي خلال معركته الانتخابية الرئاسية في 14 يناير 2007، ثم وزيرة في حكومته. برز أيضا اسم الشابة المغربية الأمازيغية المزدادة بقرية بني شكر الفقيرة (تبعد عن مركز الناظور بـ 28 كيلو متر) ، إلى جانب المرشح الرئيس الاشتراكي فرانسوا هولند، نجاة بلقاسم فالو. لتصبح أحد الوجوه البارزة في حكومة هولاند كناطقة رسمية باسم الحكومة الفرنسية ووزيرة لحقوق المرأة، إضافة إلى نماذج أخرى برز صيتها في مجموعة من البلدان الغربية في المجال العلمي والجمعوي أمثال سعاد السباعي في إيطاليا [34]، ومريم شديد عالمة الفلك[35]، المنحدرة من أسرة متوسطة بأحد الأحياء الشعبية بدرب السلطان، التي اختيرت ضمن أحسن علماء الفلك من أجل القيام ببعض المهمات العلمية الخاصة من طرف المرصد الفلكي الفرنسي، وغيرهن من النماذج التي تأثرت في المدارس بالثقافة الغربية، وممن يحملن شواهد علمية، استطعن أن يندمجن مهنيا وسياسيا واقتصاديا، وتبقى نسبتهن منخفضة مقارنة مع غالبية المهاجرات، وأحيانا يكون هذا الاندماج على حساب الهوية الثقافية والدينية للمهاجرة. ■

الهوامش

30 - فاطمة مسدالي، المرأة المغربية المهاجرة ومسألة الإندماج، ضمن الشيخوخة المستطابة في الخارج، المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2008، ص. 30-29.

31 - فاطمة مسدالي، واقع المرأة القروية بدول المهجر، البادية المغربية، م.س. صص. 89-88.

- قدرت نسبة جالية النساء المغربيات اللواتي يشتغلن فعليا في فرنسا ب 28.4% في أواخر 1974، أي أكثر من 9700 امرأة عاملة، وهو ما يعادل 4.6% من مجمل النساء العاملات من كل الجنسيات. وإذا كانت الأغلبية الساحقة من المهاجرين المغاربة الذكور تعمل في القطاع الثاني (تصنيع الحديد، البناء،...) فإن النساء العاملات يتجمعن في القطاع الثالث بنسبة 61.8%، حيث يعملن ضمن موظفي الخدمة (خادمات، طاهيات، قيمات على المنزل،...)، وبعضهن موظفات في التجارة أو الإدارة. انظر :

عبد الله البارودي، المغرب : الإمبريالية والهجرة، ترجمة المركز العربي للوثائق والدراسات، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، ط1، 1979، صص. 172-171.

32 - لبنى البكاري، م.س. ص. 84. انظر أيضا : فاطمة مسدالي، واقع المرأة القروية...، م.س. ص. 91.

33 - انظر : رشيدة ذاتي الوجه المغربي الجديد، الذي أعطى انطلاقة قوية لموقع الجيل الجديد من المهاجرات، مجلة المغربية...، م.س.ذ، ص. 8.

34 - انظر : سعاد السباعي : أول مغربية تفوز بمقعد برلماني في إيطاليا، مجلة المغربية...، م.ن، ص. 14.

35 - انظر : مريم شديد أول عالمة فلك عربية تغزو القطب المتجمد الجنوبي، مجلة المغربية...، م.ن، ص. 19-18.

المرأة المغربية في خطاب النسوية الجذرية

حوسى أزارو
باحث في علم الاجتماع

تسائل السوسيولوجية المغربية فاطمة المرنيسي الممارسة الدينية الحياتية للمغاربة من منظور نقدي، يتخذ من النسوية الجذرية مدخلا أساسيا لتحليل مختلف ملامح المرأة المغربية في السياق الثقافي والسياسي المعاصر . معتبرة أن مجمل الممارسات الاجتماعية الدينية ارتدادية، ومسلحة بتدين مغلوط ومؤدلج، تدين يحيل على الغياب المزدوج، يحتكم للذاكرة والتاريخ، وينتصر لتأويلات محددة لعالم الغيب. مما يؤسس لفكر تقليدي يستعيد باستمرار صورة مُمثلنة عن الإسلام لأجل حل معضلات الحاضر(الهزائم العسكرية، التخلف الحضاري،) بالرغم من الصراع المرير الذي وسم «العهد الراشدي» للإسلام ، والنزاع التاريخي بين السُّنين والشيعة، مما تسبب في اجتراح العديد من الأحاديث والنصوص الدينية المنحولة لشرعنة الواقع السياسي الوليد، والذي آل إلى تكريس بعد أسري وقَبلي في مجتمع إسلامي ولد معطوبا على مستوى الفهم والتصريف لقضايا الوحي مم انعكس سلبا على حضور المرأة في المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ .

ترتيبا على ما سبق ذكره، يمكن القول إن التاريخ الإسلامي لا يتبنى أجوبة تحيل على فكرة التطور والتقدم ، تاريخ «يعيد نفسه» من خلال أجوبة ثابتة عن سؤال يستقي أصالته من عالم جديد كل الجدة. ومع ذلك فنحن في عصر انتحال الأجوبة عن الواقع المعاصر، والتي لا يتم تصريفها بمنطق التشدد والتضييق على الناس لتبني نفس التمثلات والتصورات التاريخية عن الواقع. بل بعدم القدرة على إبداع بدائل، وبناء رؤى كفيلة بإدراك الواقع سوسيولوجيا، لذا نجد أنفسنا موزعين بين النص الديني «كواقعة ثقافية» وبين تاريخانية النص «كواقعة سياسية»، غلب عليها التأويل السياسي والإيديولوجي. واعتماد النص الديني لأجل تبرير الخيارات السياسية. الأمر الذي يتجلي في غلبة المنظور الفردي لبناء نظام المعنى وغياب الإطار المؤسساتي المؤطر له، الاحتكام إلى الاجتهادات الفردية ، غلبة النظرة التجزيئية في الفهم ، والقطيعية في الاجتماع،والكليانية في التدين الموروث، والسيف في السياسة.

كل هذه الأمور أفضت إلى بناء إطار معرفي محدد للمرأة، اقتضته رهانات ثقافية ما، تمتح من سيادة المجتمع الأبوي، والسعي الحديث نحو إسباغ المشروعية الدينية عليه. لعل ذلك ما قاد العديد من الفقهاء والمحدثين إلى تأويل النص الديني على غير ما يحتمله، ولي أعناق الآيات لإقرار ما يخالف النظام الكلي للنص. لذلك نعتبر أن الورطة الوجودية للمرأة في المجتمعات العربية الإسلامية ولدت النزعة العلمية لدى السوسيولوجية فاطمة المرنيسي لتفكيك الواقع التاريخي المصطنع عن المجتمع وعن حضور المرأة فيه بما لا يماثل التجربة النبوية ،

1. نزع القداسة عن العالم :

لا يكتفي البحث السوسيولوجي بالتخلي عن الأحكام المسبقة والتصورات

قراءات : المرأة المغربية في خطاب النسوية الجذرية

الجاهزة عن الموضوعات والوقائع بل يتخطى ذلك نحو تطهير التفكير العلمي من كل ملمح مقدس، لذلك فنحن لا نقصد بمفهوم نزع السحر عن العالم المعنى الفيبري له بما هو سيرورة تراجع العقائد الدينية وأفول التصورات السحرية في مقابل تنامي وجاهة الأسس الفكرية المستوحاة من الرؤى العلمية والتفسيرات الواقعية والموضوعية لمختلف الموضوعات المدورسة. وهو الأمر الذي يتصل أيما اتصال بموجبات الحداثة ومطالب العلمنة في المجتمعات الحديثة والمعاصرة. ولعل ذلك ما يتصل بتاريخ المجتمعات الغربية التي رامت التخلص من النظرة المسيحية للعالم واحتجاب سلطة الله منه.

تتقصد الباحثة بالضبط نزع مسحة القداسة عن الحياة الجماعية، ومن المنظور العلمي والمقاربات المعتمدة في الكشف عن أبعادها، كنوع من التعاطي الهادئ والمرن مع التاريخ الإسلامي بغية التعرف على مختلف الأطر الاجتماعية والسياسية، التي أفضت إلى إنتاج تأويلات وتفسيرات للنصوص الدينية، الأدهى من ذلك أنها عملت على ابتداع أحاديث ووضعها على مقاس محددة، درءا للنساء وحفظا لسلط الرجال. ذلك ما يبرر الدعوة إلى إعادة تحديد الطبيعة البشرية عن طريق نزع القداسة عنها، ووضعها في سياق تاريخي محدد، بل الأكثر من ذلك، نزع القداسة عن الواقع ببيان انبثاقه ومصدريته. لأن القيم والمعايير والمؤسسات ومختلف التمثلات الاجتماعية التاريخية للأمة الإسلامية إنما استحكمت بنا إلى حد أن صار لها أثر كبير على اختياراتنا وتصورنا للممكن.

إن أهم مسلك نقتفي أثره حسب المرنيسي يتمثل في رفع حجب المعاصرين المزيفة عن الماضي، لأنها تحجب عنا الحاضر، وفي مضاعفة يقظتنا المعرفية خاصة عندما يواجه الباحث مواضيع من قبيل المقدس والممثلن والمسيس، واعتباره حقيقة أولي ومقولة سياسية لها أثر عميق على الأفراد والجماعات وبالأخص لانعكاساتها على وضع المرأة في المجتمع،

هي دعوة علمية إذن، تبتغي نزع غشاء القداسة بوصفه قناعا سياسيا يبرر شتى أنواع العدوانية ضد المرأة، ويؤسس لنموذج ذكـوري مرجعي استمر عبر التاريخ في إعزاز الوضع السياسي المريح

للذكور في مقابل استهجان واستقباح صورة المرأة ودورها السياسي في الأدب السلطاني عبر التاريخ. كما أنها مطلب منهجي «لنزع قناع القداسة» عن العالم، وتخليصه من كل انزياح نحو الأسطرة للذاكرة وللتاريخ ولاجتهادات السلف، مما قد يفضي إلى تأجيل عملية التفكير في واقعنا وفق مقاييس واقعية وموضوعية. ولعل المسلك الأفضل لذلك هو رفع الحجب ، أي حجب المعاصرين المزيفة للماضي التي تحجب عنا حاضرنا . الأمر الذي لن يتأتى لنا إلا بموضعة الظاهرة الدينية بوصفها شرطا ضروريا لتحقيق الموضوعية، وبناء معرفة علمية سوسيولوجية عن تاريخ المسلمين وواقعهم الحالي بما هو ، عبر التخلص من كل الأفكار الجاهزة والاعتقادات الدينية والإيديولوجية،

2. موضعة الظاهرة الدينية:

تتمثل في موضعة الذات المؤنثة، موضعة الأنثى، تخطي عتبة الجسد لصالح العقل والإقرار بذاتية الأنثى العاقلة والحرة والمسؤولة، هي جرأة منهجية مطلوبة – حسب المرنيسي- لمواجهة كل المتمترسين خلف الحديث النبوي للحد من الحضور العمومي للمرأة وتضيقه في حدود الفضاء الداخلي للمساكن والقصور. إنه موقع علمي ابيستيمولوجي يتخطى عتبة الهندسة الاجتماعية للنظر العملي والمعرفي، ويبنى مسافة نقدية بينه وبين كل من يتوسط المساحة بين القارئ والنص، رجلا كان أو امرأة، لأنه بمثابة نوع من القيد الإيديولوجي الذي يتخذ صورة حجاب وستار وسلطة تصادر إمكانات الذات المعرفية والاستخلافية والعمرانية مثلما تصادر النص الديني وحقانية قضاياه. بهذا المعنى تدعونا المرنيسي لأن نتخطى عتبة حراس الفهم التقليدي للنص وحجّابه بغية الانخراط في فهم مغاير يباشر مجريات الأحداث وسيرورة السيرة النبوية وديناميتها، ويكشف عن آليات تشكل المجتمع الوليد ومختلف الصعوبات والتحديات التي واجهته، إن لم نقل أهم الانزلاقات المعرفية التي قادت العديد من الأئمة والمحدثين إلى النيل من حقوق النساء بناء على تأويلات مخلة أضحت بحاجة إلى إعادة بنائها مقتضياتها من جديد.

تؤكد فاطمة المرنيسي أنها بصفتها إمرأة مسلمة لا شيء يمنعها من القيام ببحث نقدي ، تاريخي ومنهجي حول الحديث وروايته[1]. و بيان حيثيات استعماله لأول مرة، والكشف عن دواعي وأسباب وروده. تقتضي الموضعة إذن، التدقيق والفحص، الذي يوازن الحديث بالنص القرآني وبسيرة النبي كرسول وكإنسان، وبالشروط المجتمعية المستجدة، بما يمكنها من رصد الحيثيات التي جاء الحديث في سياقها، والكشف عن الخيط الناظم لها،

تنطلق المرنيسي من أحقية البحث العلمي النسائي في الشأن الديني، بالرغم من الحجر الذي طال حق المرأة خلال قرون عديدة، وبما أن الدين رسالة ودعوة موجه للعالمين فإن واجب التفكر والتدبر في قضاياه أمر مطلوب في كل من يأنس في نفسه القدرة على البحث واستوت فيه شروط البحث، فلا وجود لمانع عقدي يحد من إقبال المرأة على مراجعة كل التصورات والاجتهادات السابقة من منطلق راهني، للكشف عن صلاحية النص الديني لكل زمان ومكان. لذلك ستعمد المرنيسي إلى استقراء الأحداث والتفاصيل الفردية والجماعية، في حياة المحدثين أو رواة الحديث والمقارنة بين أقوالهم وأسانيدهم، لتكشف عن غفلتهم غير المفهومة لاستنباط الأفكار والقواعد الكلية الناظمة لمختلف الأحداث والمجريات.

3. في علم الاجتماع الإسلامي

من الناحية المنهجية ، تقتضي سوسيولوجيا الإسلام العودة للنصوص الدينية وفحص التمثلات التي تحويها عن المرأة والمجتمع والإنسان، التمييز بين النصوص، القرآني منها والحديثي وكل ما دونه الفقهاء والبحث في كل الشروط التاريخية المصاحبة لها، والتي أثرت بجلاء في فهم النصوص الدينية بما يخالف مقتضيات الشرع . لذا فإن الاشتغال على الذاكرة بالنسبة للمرنيسي ، والعودة إلى الماضي، والخوض فيه يتوجب أن يتم دون «حراس وأدلاء»[2] للمقدس. ليس المطلوب إذن هو الاهتداء «بهدي» الآخرين وفهومهم حول قضية المرأة، أو إحالة الذاكرة الفردية للباحثة على الذاكر ة الجماعية،

أو دعـما إيديولوجيا لذاكرة الفقه التاريخية حول المرأة وتواطئها معه، بل هو « انزلاق نحو أمكنة تنسحب فيها الذاكرة» [3] نحو اللامفكر فيه والمنسي، للتعرف على الـواقـع بما هو ، واقع التجربة النبوية مع النساء، وتفاعلات المجتمع الإسلامي الوليد بمباهج الدعوة الدينية التي نقلت الرابط الاجتماعي من بعده البيولوجي إلى بعده العقدي الروحي، حيث التقوى أضحت أساسا للشرف والعزة بدل القبيلة والعصبية ، يقودها نبي عاشق للمرأة ومحب لها، ولا يستنكف عن التعبير أمام العالمين عن محبتها والاحتكام لها في أمور الحياة وشؤون المجتمع وقضايا الوحي والإيمان ، حيث كانت الأسرة في تصور فاطمة المرنيسي محطا للجدل والجامع مفتوحا للرجال مثلما هو في ملك النساء . قبل أن يتحول الفضاء العمومي والشأن السياسي والعسكري إلى فضاء مغلق ومحل للهيمنة الذكورية، وتتويج للإديولوجيا الثقافية للرجل العربي الذي لا يتواني في الانتصار لقيمه القبلية والرعوية ما قبل الدعوة النبوية على حساب المتغيرات القيمية والمجتمعية الإسلامية ذات الأفق التحرير للعبيد والنساء من نير العوائد والأعــراف القبلية خاصة في مسائل التمليك والإرث وحيازة الذات ومعانقة مباهج الحرية والتحرر في مجتمع يرى تلك الفئات والشرائح وغيرها مجرد متاع يورّث و»أشياء» تَأتى من مدخل الخدمة والمتعة، ومقتنى يتم تداوله عبر البيع.

إلا أن غلبة الموروث الثقافي المنبثق من العوائد السابقة على النص الديني، سيجعل السيدة عائشة بالرغم من رمزيتها وقوتها بين نساء النبي تبدو نشازا في الممارسة السياسية، فهي بمثابة بدعة وانتهاك فاضح للسنة المقدسة [4] ، كما نلفي في واقعة الجمل بوصفها حدثا تاريخيا نموذجا يكشف في تصور المحدثين حجم للكساد الذي يصيب السياسة عندما تصبح المـرأة فاعلة فيها وطرفا أو خصما في موازين القوى المحددة للحياة السياسة في المجتمع، إلى حد أن المؤرخين والفقهاء أصبحوا أميل للاعتقاد أن» النساء والسياسة سيشكلان خليطا سيئا» [5] على امتداد تاريخ المسلمين، يمكن أن نجد لذلك تأويلا محددا هو هذه الهيمنة التاريخية للفقه الجزئي الـذي يتوسل الوقائع والأحداث بوصفها معايير للتفكير تنبني على فهم جزئي للدليل الشرعي مما حال دون التأسيس للفهم الكلي للنص الديني ، والكفيل بأن ينتهل العلم من رؤية معرفية دينية جامعة.

دليل المرنيسي في ذلك هو التواتر الـذي نلفيه لـدى الفقهاء الأوائـل والمحدثين ولدى رواد الفكر الإصلاحي، الذين انشغلوا بتحديد دقيق للوجود المدني والاجتماعي للمرأة التي لم تخلق حسب الأفغاني إلا «لإنتاج العرق وتعليم الأجيال وإدارة المنازل»، حيث سيتم حصر ماهية المرأة في طبيعتها البيولوجية والتربوية الضيقة، قابعة خلف جدران المنازل وظلالها، ومخدع يلوذ إليه الرجال كلما أنسوا فيه ارتياحا من أعباء الحياء، أما غير ذلك من أدوار ووظائف تنم عن فاعلية المرأة في الحياة والمجتمع والتي لا يمكن أن تنتهي إلا لاشتعال نار الفتنة والهلاك في الأنفس والمال والمتاع، حيث ضرب الله للمسلمين مثالا دالا، يتمثل في تجربة عائشة السياسية لبيان ما يصدر عنها من ألم وصراع وفساد واقتتال مثلما حصل بينها وبين خليفة المسلمين علي بن أبي طالب، حيث استشهد آلاف المسليمن من كلا الفريقين،أضحت بسببه موقعة الجمل من أشد البلايا والمحن التي حلت بتاريخ المسلمين،

وفي مثل هذه البلايا والمواجع سيتم

الهوامش

1 - فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي: النبي والنساء، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1993، ص 67.

2 - م . ن. ص 20.

3 - م . ن . ص 21.

4 - م . ن . ص 16.

5 - م . ن . ص 16.

الاحتكام لإدانة المرأة، أي أحد أطراف الصراع دون غيره من الآخرين، بل سيتم حسب المرنيسي رواية حديث على لسان رجل لم يكن أهلا للثقة أو محلا للصدق، لتسويغ مشروعية إبعاد المرأة من الفعل السياسي إن لم نقل «إغتيال» رمزي ومدني لها من ممارسة حقوقها المدنية في «الدولة» الوليدة ،حيث تحول النص الديني في نظر فاطمة المرنيسي إلى سلاح سياسي يوجه ضد المرأة، سواء كان النص معروفا ومثبتا، محكما أو متشابها، متداولا أو مجهولا وموضوعا، الأدهى من ذلك عندما يحتكم المسلمون لنص حديثي لم يكن له ذكر إلا عند حلول موقعة الجمل من قبل شخص ظل دخوله للإسلام متعلقا باغتنام المكاسب الاجتماعية للدعوة لا بغاياتها العقدية والرسالية. شخص كان موضع عقاب الأمير عمر ابن الخطاب لكذبه وقذفه للمحصن، يتعلق الأمر بالحديث الذي رواه أبو بكرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم «لم يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة» ، حديث لم يكن مذكورا في سابق الأحـوال إلا أنه جرى مجرى النار في الهشيم النسائي عبر التاريخ،

يبدو أن اتخاذ تجربة أمهات المؤمنين كموضوع للتحليل السوسيولوجي يسعي لبيان كيف أن المرأة مهما علا دورها الدعوي، ونما شأنها الاجتماعي في المجتمع الإسـلامـي لا يمكن أن تـأتي في المجال السياسي سوى الدمار والحروب. إنه نوع من المفارقات المزيفة، والتقابلات المثيرة المحصنة للممارسة السياسية ولعوالمها وجعلها مجالا مخصوصا بالرجال. بهذا المعنى ،يمكن القول، أن الدين لم يكن بالنسبة للنساء عامل انتقال وتغيير كلي وشمولي بل عامل تكريس للواقع الثقافي التقليدي المعيش مع إضفاء مشرورعية دينية جديدة عليه ،مثلما نلحظ في قدسية الفاعلية السياسية للرجل ودناسة الحضور النسوي في الفضاء العمومي السياسي للمجتمعات الإسلامية. مما أفضى إلى وضع هجين للمرأة في المجتمع المغربي المعاصر حيث تحولت النساء إلى قاعدة انتخابية مشرعنة للممارسة السياسية، أسهم بقوة، حسب المرنيسي، في ضمور حضور المرأة كمشرعة وفاعلة في المؤسسات الدستورية.

4. المرنيسي والنسوية الجذرية:

تنتمي فاطمة المرنيسي لاتجاه نسوي جذري يسعى للتحرر من الإكراهات القسرية التاريخية على المرأة، بوصفها إكـراهـات ذكورية بطريركية كانت على الدوام مؤسسة لأنظمة اجتماعية وحضارية تقوم على التمييز ضد المرأة نتيجة نظرة جنسية مادية عضوية. هكذا تتولد كل أشكال الإجحاف والتعسف والظلم عن طبيعتها البيولوجية لا عن طبيعتها الإنسانية الأخلاقية. حيث تتحول بيولوجية الرجل إلى عنصر قوة وفحولة لها آثـار اجتماعية وسياسية في غاية الأهمية، في حين أن الواقع البيولوجي للمرأة يتحول إلى عنصر سلب للذات ودرأ لفاعليتها في الحياة الجمعية للأمة.

تـروم فاطمة المرنيسي بالأساس تفكيك البنيات الاجتماعية ومولداتها التدينية وممارساتها الثقافية المعززة لدونية المرأة وهدر مقوماتها الإنسانية ، والحد من كل أشكال المفاضلة بين الأفـراد والجماعات بناء على معايير جنسية. محاولة المرنيسي شكل من أشكال البناء الاجتماعي والثقافي لهوية المرأة ، بناء يرفض اختزال مقوم النوع في البيولوجيا والموفولوجيا. لأنه يولد نمطا خاصا من الرهبة الجنسية من جسد المرأة ، حيث يصير محطا للوصم والعار والعيب كلما انكشف وتبدى للعالم، إنه نمط محدد من العنف الـذي يتوسل النصوص المرجعية في الثقافة لإدانة المرأة كلما نزعت نحو الكشف عن «عورتها» وجسدها الذي يكون مدنسا في حالة الظهور ومحلا للتبجيل والمثلة كلما تعرض للإخفاء وتوارى عن عالم الذكور، هكذا يتم التأسيس لجدار الفصل أو العزل الاجتماعي بين عالم الرجال وعالم النساء.

يتخذ مفهوم الحجاب ثلاث أبعاد متداخلة ومتقاطعة حسب المرنيسي، الأول رئوي **visuelle** يعني الحجب عن النظر والإخفاء، الثاني مجالي يشير إلى الفصل المكاني، والثالث أخلاقي يتعالق بالمقدس والمحرم. حيث أن ما يختفي ويتستر هو المحرم، ما يمنح لهذا المفهوم دلالات مستعرضة تشمل مجالات متعددة ومتمايزة، منها:

- حجابة الكعبة : مهمة يقوم بها المؤتمن على مفتاح الكعبة أو القبر المقدس.

• حجاب الأمير : خلفه يتواري صاحب القوة والسلطة عن الناس والمحيط ، حيث كانت عادة الملوك والسلاطين الاختفاء خلف الحجاب عن رعيتهم بما يوجب احترامهم وتوقيرهم.

• حجاب الحقيقة : حالة التشويش التي تمنع الانفتاح والانخراط في الآفاق اللانهائية وانكشافها بسبب غلبة الملذات الحسية أو العقلية، حجاب يستوجب تدميره لأنه يفصلنا عن الله.

يتخذ الحجاب إذن دلالات عميقة في تاريخ المسلمين، بمعانيها المتقابلة إلى حد التناقض، بما ينم عن الدينامية المتجذرة للحجاب في مخيال الأمة ونظامها الحياتي، حيث إن حقيقة الحجاب لا تقبل الاختزال في مجرد قطعة قماش تغطي جسد المرأة في الحياة العامة، بل تمتد لتشمل حاجبي العين اللذين يحميانها من الأذي، وغشاء البكارة كحجاب للعذرية، بالرغم أن حقيقة نزول أية الحجاب بوصفه ستارا إنما جاء لوضع حاجز بين رجلين وليس بين رجل وامرأة، لأجل حماية الحياة الخاصة للزوجين من الغرباء، أي بين الرسول وأنس بن مالك، حيث ضرب الرسول سترا بينه وبين ضيفه. هكذا يكون الحجاب فصل ورد للأذى، وحماية وسِترا،

بعدد هذا التدقيق اللغوي العميق للفظ الحجاب تنتقل المرنيسي لاستكشاف دلالته الاصطلاحية بوصفه لفظا قرآنيا يحيل على الستر والجدار والاعتزال والحماية، ومع ذلك فقد سادت معاني على حساب أخرى، وهيمن مفهوم الغطاء والفصل على حساب مفهوم الستر، في حين أن حياة الرسول لم يكن فيها أي فصل بين الحياة الخاصة والحياة العامة في المسكن والمسجد ، في الأسرة والمجتمع، في الحرب وفي السلم. ومع ذلك أدى تأويل حديث الحجاب وفق فهوم محددة إلى عزل جنسي للنساء، تحول على إثره حجاب السماء إلى غطاء لجسد المرأة وإخفاء له، «ليفصلها عن الرجل، عن النبي وإذن عن الله» [6].

بل إن اقعة اتهام عائشة بالزنى سيفضي إلى إثبات الحجاب والاعلان عن سيادة القيم الذكورية عبر تاريخ المسلمين. هكذا سيتحول الحجاب من آلية لحماية المرأة من التحرش والاعتداء إلى آلية للتهميش والهدر والإلغاء.

على هذا الأساس تدعو فاطمة المرنيسي إلى تخطي عتبة المظلومية التاريخية والحقوقية نحو الكشف عن خفايا المشرورعية الاجتماعية والثقافية ودورها في خط سيرورة الحياة النسوية ونمذجتها وفق مقولات ثقافية وجمعية معززة بدلائل دينية خضعت للتأويل السياسي أو إقامة الكلي على حدث جزئي (مثال الحجاب)، لنقل تفكيرا «حدثيا» اتخذ عبر التاريخ الإسلامي دلالة شمولية، من التأويل الثقافي الديني إلى الممارسة المجتمعية السياسية. (يجب فهم عملية التأويل بوصفها شكلا تأمليا وسيطا بين الذات والعالم الذي يحيط بها، فنحن لا نلج العالم مباشرة بحجة أن كل فرد مصفاة مختلفة تتوفر على منظور خاص) فالمشكلة الحقيقة إذن تتمثل في بيان عرضية الظواهر وليس برسم معالم أصلها المقدس أو تطور مستديم لها. (الأصل العرضي للأخلاق).

إن الاشكال الحقيقي الذي يواجه المسلمين في عالم اليوم يتمثل في قضية الزمان، بوصفه أهم القضايا الحضارية الكبرى ، إذ ترى المرنيسي أن المسلم ممزق حقيقة بين زمنين ، زمن ماضوي استردادي يحيل على الأصل،زمن الأموات بلغة أوغست كونت، بأفق ضيق للحاضر والمستقبل، وزمن مستقبلي يحيل على القوة والحضارة وصناعة التاريخ في المجتمعات الغربية المعاصرة. ذلك ما أفضى إلى تبخيس الحاضر والاغتراب فيه، والبحث عن الملاذ في الماضي، والسعي إلى إيجاد حلول وأجوبة لمشكلات الحاضر في التراث الغابر، كآلية للتعويض الحضاري عما يفتقر المسلمون إليه في حاضرهم، وإلا ركنوا للتبعية والخضوع للمجتمعات الغربية الصناعية والحداثية والاصطفاف ثقافيا على إيقاعها.

الهوامش

6 - م . ن . ص 123

5. الأطـــر الاجتماعية للمعرفية

ترمـي دراســـة فاطمة المرنيسي للحريم السياسي إلى تحليل مختلف الـــشروط الجمعية الناظمة لنمو المعارف الدينية وتطورها . والتفكير في أثـر السياق التاريخي والسياسي والديني في تاريخ الاجتهادات الفقهية والمعارف التي اهتدى إليها العلماء وفق سياقات محددة. وهي بالأخص دراسة تلامس الأسئلة النقدية المطروحة في سوسيولوجيا المعرفة، وتنشغل بالبحث في طبيعة الفهوم الدينية من جهة دلالتها على المقومات الاجتماعية المولدة لها ،وكيفيات نشأتها، وسبل توظيفها، والرهانات المحيطة باختياراتها. إنها ممارسة معرفية نقدية تندرج ضمن معرفة المعرفة ، ومراجعة نقدية لآليات التشكل الاجتماعي لخلفياتها العقدية والثقافية، يمكن أن نلامس ذلك في كثرة الأحاديث وصعوبة الحسم في الصحيح من الخاطئ والموضوع فيها، هذه الأخيرة التي تضخمت بسبب الصراعات التي كانت حول خلافة النبي.

هكذا تقتضي الدراسة التقييم النقدي لبعض الأحاديث الدالة والناظمة لحياة المرأة في المجتمعات الأسلامية، باستحضار مقترب منهجي يساوق شروط المحدثين ويسائلها ، من خلال ما يلي:

- مناسبة ذكر الأحاديث وسياقها التي رواها كل من أبي بكرة وأبي هريرة، مع إخضاعها للقواعد المنهجية عند المحدثين : «قاعدة الدين علم»، لأن معاصرة النبي بالنسبة للمرنيسي ليست دليلا كافيا لمنح الحديث مصدرا، بل يجب استبعاد كل الجهلة والشتبه في صدقيتهم، لتبرير ذلك تستشهد الباحثة بمالك بن أنـس في ضرورة الأخـذ عن العلماء، « إنَّ هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم» ألا يكون من أصحاب الأهواء والبدع والجهلة والكذب، وإذا كان أبي بكرة قد أدين في عهد خلافة عمر بالجلد على شهادة القذف الكاذبة التي أدلى بها ضد شخصية سياسية مرموقة وهو المغيرة بن شعبة، فكيف وهو ليس من الثقاة أن يأخذ عنه العلم ورواية الحديث.

الـعـودة لأراء الأئمـــة والمحدثين والمفسرين في هـذا البـاب أو الأمـر للمقارنة بين آرائهم، (البخاري، ابن حجر، ابن حنبل، الطبري، ابن الأثير، ابن القيم الجوزي، مالك بن أنس....) لتتساءل المرنيسي عن الأسباب التي حدت بالبخاري إلى عدم الأخذ بعين الاعتبار اعتراضات عائشة على الكثير من الروايات، وتصحيحها لما تغافل عنه أبو هريرة لضيق ذاكرته، أو للإخلال بمتن الحديث.

- تحديد طبيعة الصراع السياسي والاجتماعي المؤطر لـه. والخلفيات الثقافية المعززة له (رواسب الجاهلية ، الأثر اليهودي.)

- تشريح الأصـول الاجتماعية والثقافية لـلـرواة، وبيان طبائعهم النفسية وميولاتهم وسعة ذاكرتهم وقوتها وأثـر ذلـك كله على روايـة الحديث وصدقيته.

- قـراءة نقدية للحديث في ضوء السيرة النبوية، وغرابتها الشديدة إزاء تعامل فاضل، وود مائز عامل به الرسول (ص) النساء سواء كنا أزواجه، أو ازواج المسلمين، أوسبايا خلال الغزوات. ومصدر اقتداء وأسوة في مجال الدين (حديث : «خـذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء»)، حيث أفضت الهندسة النبوية في مجال المعمار إلى تداخل الفضاء الأسري الخاص بالفضاء الديني والسياسي العام، فهي علاقة وصل لا علاقة فصل، الأمر الذي نستشفه من التساؤل العقدي لأم سلمة عن سبب ذكر القرآن للرجال دون النساء)،

- الرؤية المعرفية الكلية للنص الديني: يسمح بفهم شمولي للحديث داخـل نسقه العام، للدعوة الدينية وسياق تفاعلاتها الحضارية والتفاقية ، بما يمكن من درأ تفسير النصوص الدينية أو تأويل جزئياتها بما يناقضها، حيث يتعذر حسب المرنيسي الإقـرار بمضمون نص ديني ومفاده ومقتضياته دون تخطي عتبة المقاربة الجزئية التفصيلة نحو أفق معرفي أرحب للإسلام. لذلك بقي الفقه – حسب المرنيسي- منغمسا في الحالات الجزئية دون أن يتمكن من استخلاص نظرية حول الإنسان، وأسس الإرادة الحرة لدى الفرد بوصفها إرادة ثابتة لا يعتورها التغير أو يصيبها الفساد.

6. الـنـسـاء في وضعية

حريم سياسي :

ظل سـؤال الحريم السياسي من أهم المفاهيم المفتاحية الكفيلة بتفكيك الذهنية الذكورية الناظمة للممارسة السياسية في المجتمعات العربية، وخلخلة المخيال التديني الذي تشكل عبر التاريخ الاسلامي، والقائم على إبعاد المرأة عن حقل السياسة. سواء في توجيه أعمال الدولة أو اتخاذ القرار السياسي، أو التخطيط الاستراتيجي لشؤون الأمة والمجتمع، للدعوة وللدولة،بالرغم من أن المرأة كانت صاحبة إسهامات فاعلة وملوسة خلال التجربة النبوية، حاضرة بوصفها زوجـة النبي وأم المومنين، وصاحبة رأي وموقف، ومصدر تساؤلات نقدية جريئة للدعوة ولسيرورتها، ومزاحمة للرجل في كـل ما له صلة بقضايا المجتمع الوليد.

تنتصر المـرنيـسي للنص الـقـرآني وللسيرة وتعتبرهما أكثر صدقية وتعبيرا عن كينونة المرأة وحقوقها وفاعليتها، لهذا السبب تدعو إلى ضرورة اعتماد النص القرآني كمعيار لمراجعة دلالات بعض الأحـاديـث التي نسبت للنبي وقياس مدى صمودها أمام فاعلية المرأة في السيرة النبوية، وإلا صـارت مجرد أحاديث منتحلة ، لضعف سندها أو لسوء قراءة الشروط المجتمعية للدعوة الدينية المؤطرة لها. وبالأخص ما يتصل بإضفاء المسحة المقدسة على الممارسات السياسية الذكورية، حيث يتحول النص الديني إلى سلاح سياسي بامتياز يعزز سلطة الرجال على حساب النساء بكيفية تخل بالمنظومة الكلية للدين.

لا شك أن التاريخ ،في تصور المرنيسي، صار يحتكره الرجال، بما يعني أن تملكه من قبل طبقة معينة يتيح لنا مشروعية بناء معالمه وصورته ودلالاتـه، صورة إختفت المرأة فيها من الحياة المدنية والعامة، وغابت عن الاختيارات الكبرى للمجتمع والأمة، وغالبا ما انكفأ هؤلاء عند حـدود التمسك بالفروع دون الانفتاح على المقاصد الكلية والحضارية للدعوة الدينية، إلى حد أضحت فيه العوائد التاريخية في الفهم والعمل والتصرف محكا للتدين بدل الاحتكام لعالمية الدين ورؤاه الكونية للإنسان والحياة والقيم،

ومـن بين أهـم المعالم الدالة على حضور المرأة بوصفها حريما سياسيا، نذكر ما يلي:

- حضور قطيعي في المجتمع، يحيلها على وضعية الحريم الذي لا يفتأ يتخطى عتبة الداخل نحو المجال السياسي العام، فهن حريم للفعل السياسي ومجال لتدخله ، ومحط انفعال للاختيارات السياسية والتأويلات العقدية والثقافية للنص الديني، والحريم في اللغة يفيد ما حرّم ولا ينتهك عرضه ومجاله وحدوده، دخلت النساء للحريم أي موضع إقامة النساء في قصر الملوك، والحريم حسب خالدة سعيد « كلمة مشتقة من جذر اكتسب محمولات دينية واجتماعية جعلت منه ملتقى المقدس والممنوع في آن واحد، وكلمة الحريم التي شاعت في مرحلة تاريخية مينة صارت تعني حيز النساء، ثم حيز الخاص المحرم على الغرباء، وفي العهود العثمانية والمملوكية صارت تشير إلى المباح داخليا، المغلق الكتيم على العالم الخارجي، ولا سيما حيّز العام» [7] .

- حضور يخالف الصورة التي تشكلت لـدى المرنيسي عـن النبي الإنسان ،الرجل السعيد،الحبيب، الرجل المهذب ، المتحفظ، الخبير بمعاشرة الناس، الحكيم، حيث يتم تكريس صورة المرأة من العصر الذهبي الذي يرمز للنسوية المسلمة الخالدة، في حين أن ذكرى أم سلمة وعائشة وغيرها يتم تهميشها ولا صدى لها.

- حضور يحيل على الشأم، وعامل فساد وفتنة، الكائن السفيه الذي لا يحق له التصرف في أمواله وأموال غيره، ودليل اختلال صلاة المؤمن وقطعها، ومصدر النجاسة في الجماعة، وموضوع تسوية بالحيوان، ما يجعلها عامل اضطراب الممارسة الدينية الشعائرية المقدسة، وعامل تخريب للمقدس، لذا تتساءل المرنيسي كيف يصدر حديث يحتقر المرأة من نبي عاشق للنساء؟ لأن القبلة التي

الهوامش

7 - خالدة سعيد، في البدء كان المثنى، دار الساقي، الطبعة الأولى ، 2009، ص 75.

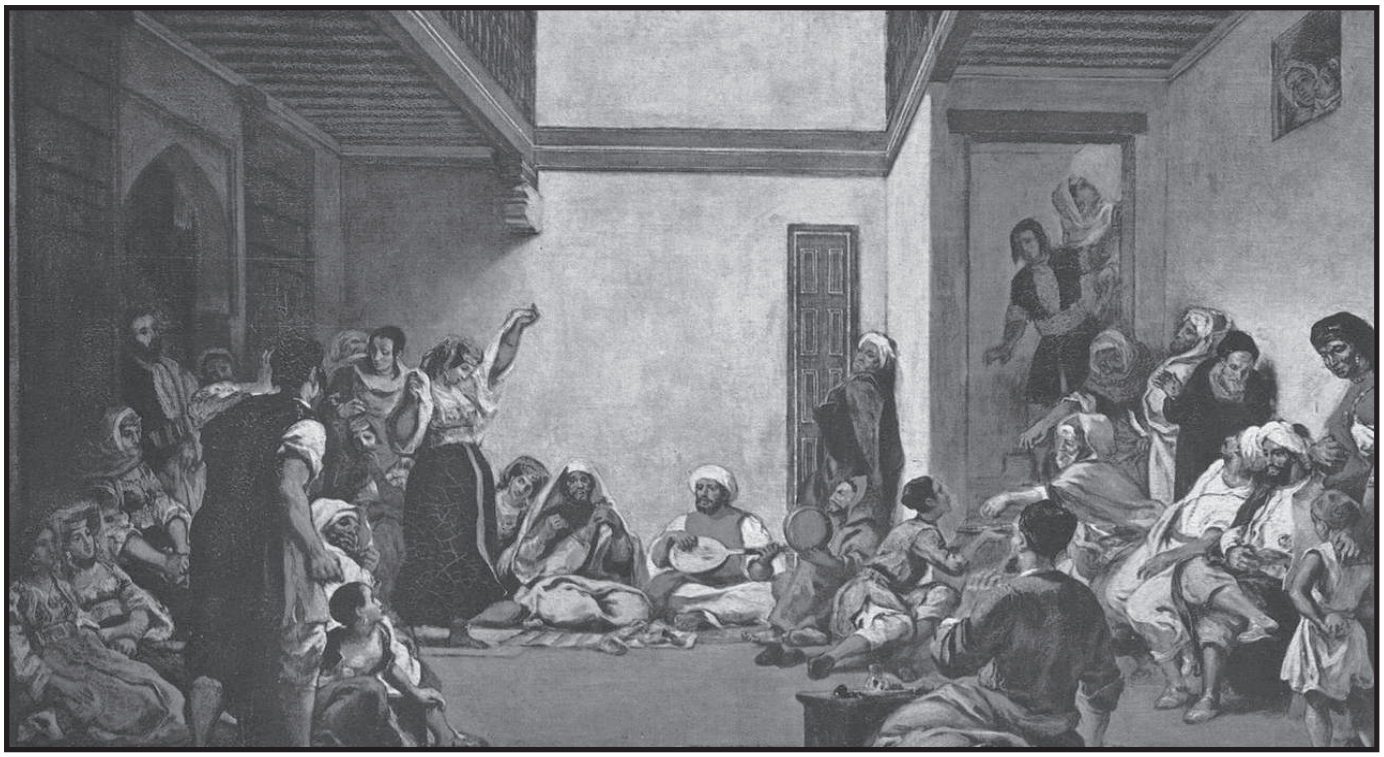

من نبي عاشق للنساء؟ لأن القبلة التي تحول المـرأة بينها وبين المؤمن ليست مجرد وجهة مجالية وحيز مكاني بل هوية دينية، و» إبعاد المـرأة عن القبلة هو إبعادهن عن كل شيء- من البعد المقدس ومن البعد المجتمعي الذي يعبر عن الفضاء بوصفه ميدانا للمركزية الإثنية العربية الاسلامية» [8] .

7. حـــدود الـتـفـكـير السوسيـولوجي في كتاب الحريم السياسي.

- تفكير لم يلق ما يسعفه لجعله نظاما معرفيا أكاديميا لتعميق السؤال وتجذيره في الوسط الثقافي والفكري والعلمي المغربي.
- إرجاع الضعف السياسي للمرأة لما هو ديـني، كما لو أننا أمام سبب كاف لتحليل وضـع المرأة في المجتمع. دون أن نتمكن مع المرنيسي من الحسم فـعليا في العوامل الناظمة للممارسة السياسية المعطوبة أو الضحلة للمرأة المغربية في المجتمع المعاصر، وخـــلال التاريخ.
- بناء المرنيسي لصورة نمطية عن المرأة في المجتمع المغربي، والتغافل عن التعدد والاختلاف الناظم للوجود الاجتماعي والثقافي لها. ■

الهوامش

8 - المرنيسي ، م . ن . ص 90.

كرونواوجيا نشر الصين للمعلومات عن COVID-19 والنهوض بالتعاون الدولي استجابة للأوبئة (الجزء الثاني)

ماهي حقيقة تشكيك الدول الغربية في تعاون الصين مع المجتمع الدولي؟

ترجمة وإعداد: محمد عبد الوهاب العلالي

نـشرت وكـالـة الأنـبـاء الصينية (شينخوا) ببكين يوم 6 أبريل الماضي كرونولوجيا ضمت معطيات عن العمل الذي قامت به القيادات الصينية مع عديد من قادة العالم، منهم رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وغيرهم. كما رصد التقرير*ما قامت به عدد من الهيئات الطبية والأكاديمية الصينية، مثل لجنة الصحة لبلدية بووهان، واللجنة الوطنية للصحة، إلى جانب الإحاطات الإعلامية والندوات الصحفية. ومجالات العمل مع منظمة الصحة العالمية والهيئات الأكاديمية الدولية، ومسؤولين، وخبراء أجانب، منهم وزير الصحة والخدمات الإنسانية الأمريكي أليكس عازارورئيسة المفوضية الأوروبية ورئيس المجلس الأوروبي وخبراء روس و غيرهم.

تطورات الموضوع الراهنة تشي بموقف مشكك للغرب في تعاون الصين مع المجتمع الدولي وحتى في المساعدات المقدمة للعديد من الدول، مع حساسية تجاه نجاح الصين في احتواء الفيروس و بداية الخروج من الأزمة الاقتصادية منذ ابريل الماضي.

تسمح هـذه الكرونولوجيا، من خلال معطيات خام مفيدة بمتابعة الوقائع من لـدن مختلف الإطـراف المتفاعلة واستيعاب الأبعاد السياسية والإديولوجية وراء ذلك.كما تبقى مفتوحة على قـراءة هذه المعطيات ضمن سياقات أرحب .

نـــص وكـــالـــة الانـــبـــاء الصينية

أعتبر وبـاء مرض فـيروس التاجية (COVID-19) الجديد حالة طارئة كبرى للصحة العامة انتشرت الأسرع ، وتسببت في أوسع الإصابات وانتشارها منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية في عام 1949.

تحت القيادة القوية للجنة المركزية للحزب 2éالصيني مع كون الرفيق شي جين بينغ في صميمها ، اتخذت الصين تدابير الوقاية والسيطرة الأكثر شمولا ، والأكثر صرامة وشمولا لمكافحة الوباء. في معركتهم العنيفة ضد الفيروس التاجي ، تجمّع 1.4 مليار صيني معًا في الأوقات الصعبة ودفعوا ثمناً باهظاً وضحوا كثيراً.

لا يعرف الفيروس حـدودًا وطنية، ولا يميز الوباء أي أجناس. ولا يمكن للمجتمع الدولي أن يتغلب على الوباء ويحمي الوطن المشترك للإنسانية إلا بالتضامن والتعاون. التمسك برؤية بناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية ، كانت الصين تنشر المعلومات في الوقت المناسب عن COVID-19 منذ ظهور الوباء بطريقة مفتوحة وشفافة ومسؤولة ، تشارك دون تحفظ مع منظمة الصحة العالمية والمجتمع الدولي تجربتها في الاستجابة الوبائية والعلاج الطبي ، كما قدمت المساعدة لجميع الأطراف قدر استطاعتها. وقد أشاد المجتمع الدولي بكل هذه الجهود واعترف بها على نطاق واسع.

استنادًا إلى تقارير إعلامية ومعلومات من لجنة الصحة الوطنية ومؤسسات البحث العلمي والإدارات الأخـرى ، قامت وكالة أنباء شينخوا بتصنيف الحقائق الرئيسية التي اتخذتها الصين في الجهود العالمية المشتركة لمكافحة الفيروسات لنشر معلومات الوباء في الوقت المناسب، وتبادل الخبرات في مجال الوقاية والسيطرة ودفع التبادلات والـتـعـاون الــدولي بشأن الاستجابة الوبائية.

تـم تـرتـيـب الــجــدول الـزمـنـي كالتالي:

11 فبراير2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ عبر الهاتف مع الرئيس الإندونيسي جوكو ويدودو ، مشيرا إلى أن الصين كانت تحمي حياة وصحة الشعب الصيني وتفي بمسؤولية قضية الصحة العامة العالمية من خلال التمسك برؤية بناء مجتمع مع مستقبل مشترك للبشرية.وأضاف أن الصين ستواصل تعزيز التعاون بشأن الوقاية من الوباء ومكافحته مع إندونيسيا والدول الأخرى بطريقة مفتوحة وشفافة لحماية أمـن الصحة العامة الإقليمي والعالمي.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني ، مؤكدا أن الصين تعمل على حماية حياة وصحة الشعب الصيني بينما تساهم بنشاط في أمـن الصحة العامة العالمي مؤكدا إن الصين ترغب في الحفاظ على اتصالات وثيقة مع قطر، وتقديم تحديثات في الوقت المناسب حول آخر حالة للوباء، وضمان حياة وصحة المواطنين القطريين في الصين من أجل حماية صحة وسلامة شعب البلدين.

- شارك خبراء مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الصين في منتدى بحث وابتكار بتنسيق من منظمة الصحة العالمية، عُقد يومي 11 و 12 فبراير في جنيف، إما شخصيًا أو عبر الإنترنت. اجتذب المنتدى، الذي تشارك في استضافته منظمة الصحة العالمية والتعاون البحثي العالمي للتأهب للأمراض المعدية، أكثر من 400 مشارك، بما في ذلك كبار العلماء من التخصصات ذات الصلة بالفيروسات، وممثلين عن البلدان التي ثبتت فيها حـالات COVID-19 وحالات وكالات الصحة العامة. وأشادت سمية سواميناثان، كبيرة علماء منظمة الصحة العالمية، بالمساهمة التي قدمها الـبـاحـثـون الصينيون الـذيـن حـضروا المنتدى.

- عقدت البعثة المشتركة بين الصين ومنظمة الصحة العالمية الاجتماع الأول لمناقشة ومناقشة الاتفاق المبدئي حول القضايا بما في ذلـك مبدأ تحديد قائمة الأعضاء وأولـويـات الـزيـارات الميدانية وجدول أعمال البعثة.

- عقد خبراء من الصين ومراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الصين مؤتمراً عبر الهاتف لمناقشة ومناقشة وتبادل المعلومات حول الوقاية من الأوبئة ومكافحتها.

- في ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الـدولـة، عقد مؤتمر صحفي بكين حـول إجـــراءات تعزيز الوقاية من الوباء ومكافحته في المناطق الريفية.

- ستخدم باحثون من الأكاديمية الصينية للعلوم الطبية ومركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الصين لأول مرة الفئران المعدلة وراثيا لدراسة إمراضية الفيروس التاجي الجديد ، ونشروا مقالا في منصة bioRxiv. هذا قد يسهل تطوير العلاجات واللقاحات.

12 فبراير2020

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن شي جين بينغ، ترأس للاستماع إلى تقرير المجموعة القيادية المـركـزيـة حـول أعـمال المنع والمراقبة. تفشي COVID-19 ، وتحليل الوضع الوبائي، ودراسـة التدابير لتعزيز أعمال الوقاية والسيطرة.

- انضم متخصصون من اللجنة الوطنية للصحة (NHC) إلى مؤتمر عبر الهاتف بين الصين والاتحاد الأوروبي حـول التبادلات الفنية ذات الصلة بـ COVID-19 ، وعرض أحدث التطورات في الوباء، وتدابير الوقاية والسيطرة ، وحالة التعاون الدولي.

الهوامش

- * http://www.xinhuanet.com/english/2020-04/06/c_138951662.htm2 - نفس المصدر، ص24.

13 فبراير2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع رئيس الـوزراء الماليزي مهاتير محمد بناء ، مشيرا إلى أن الصين اتخذت إجـراءات قوية استجابة للوباء بطريقة لا تتحمل فقط مسؤولية صحة شعبها، ولكنها تساهم أيضا في قضية الصحة العامة العالمية، والتي تم الاعتراف بها بالكامل من قبل منظمة الصحة العالمية وبلدان أخرى في العالم. وأكـدأن الصين ستواصل تعزيز التعاون مع ماليزيا ودول الآسيان الأخرى في الوقاية من الوباء ومكافحته بطريقة صريحة وشفافة لحماية أمن الصحة العامة الإقليمي بشكل مشترك.

- ذكرت وكالة أنباء شينخوا ان لى كه تشيانغ ترأس اجتماع المجموعة القيادية حـول الوقاية من تفشي COVID-19 والسيطرة عليه، واتخاذ الترتيبات لاتخاذ تدابير الوقاية والسيطرة على فئات معينة، وتحسين التشخيص والـعـلاج. والإسراع بتطوير الأدوية للوقاية العلمية وجهود المكافحة.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الـدولـة، عقد مؤتمر صحفي حـول الفئة الجديدة لحالات COVID-19 المشخصة سريـريـا. تم الكشف في المؤتمر الصحفي، أنه تم إنشاء الفئة الجديدة في مقاطعة هوبي لتحديد الحالات المشتبه بها مع نتائج التصوير المقطعي المحوسب ذات الصلة بالالتهاب الرئوي (CT) كحالات مؤكدة لتسهيل العلاج القياسي المبكر وتحسين معدل الاسترداد.وأنالصين تعززجهودها لمعالجة 133232 حالة تم تشخيصها إكلينيكيا في هوبي لتقليل عدد الحالات الشديدة ومعدل الوفيات.

- دعمت منظمة الصحة العالمية اعتماد الفئة الجديدة، معتقدة أنها مفيدة في تزويد المرضى برعاية سريرية أسرع ، في حين أشارت إلى الارتفاع الناتج في الحالات المؤكدة التي لا تعني تغييرًا كبيرًا في مسار الوباء.

- بعثت وزارة الصحة والخدمات البشرية الأمريكية برسالة إلى اللجنة الوطنية للصحة (NHC) في الصين لإبلاغ ترتيبات التعاون الثنائي في مجال الصحة والوقاية من الأوبئة ومكافحتها.

- شـارك معهد قوانغتشو للصحة التنفسية وكلية الطب بجامعة هارفارد في تشكيل فريق بحث COVID-19 ، برئاسة الخبير التنفسي الصيني تشونغنانشان وعميد كلية الطب بجامعة هارفارد. يعمل الفريق في أربعة مجالات رئيسية بما في ذلك الكشف والتشخيص السريع والعلاج السريري وفحص الأدوية وتطوير اللقاحات.

14 فبراير2020

- ذكـرت وكالة انباء شينخوا ان الرئيس شي جين بينغ، ترأس الاجتماع الثاني عشر للجنة المركزية للتعميق. الإصلاح الشامل وألقى خطابا هاما. وشدد شي على أن الحفاظ على حياة الناس وصحتهم هي مهمة رئيسية للحزب في حكم البلاد، وحث على بذل الجهود لكسب المعركة ضد الوباء بإجراءات علمية ودقيقة، وتعزيز مناطق الضعف، وإغلاق الثغرات التي يتعرض لها الوباء الحالي.كماطالب بتحسين آلية الوقاية من الأوبئة ومكافحتها والنظام الوطني لإدارة الطوارئ الصحية العمومية. نُشرت مقتطفات من خطاب شي في الاجتماع من قبل مجلة Qiushi Journal في عددها الخامس لعام 2020.

- دحض مايكل ريان، المدير التنفيذي لبرنامج الطوارئ الصحية لمنظمة الصحة العالمية، التصريحات التي أدلى بها لورنس كودلو، مدير المجلس الاقتصادي الوطني للبيت الأبيض، والتي وصفت استجابة الحكومة الصينية لتفشي الوباء بأنها تفتقر إلى الشفافية. وقال ريان إن التصريحات لا تتوافق مع الحقائق ، حيث تعاونت الحكومة الصينية بنشاط مع منظمة الصحة العالمية وأظهرت مستوى عال من الشفافية.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي يعلن فيه انخفاض حالات الإصابة بـ COVID-19 الصينية الجديدة خارج هوبي لمدة 10 أيام متتالية.

15 فبراير2020

- ألقى عضو مجلس الدولة ووزير الخارجية الصيني وانغ يى خطابا فى مؤتمر ميونيخ الأمن الـ 56 ، عرض فيه الإجراءات الحاسمة للصين لمكافحة وباء COVID-19 والنتائج الملحوظة التى حققتها.

- عقد المكتب الإعلامي بمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا فووهان يطلع فيه على عمل الوقاية من الأوبئة ومكافحتها

والعلاج الطبي فى مقاطعة هوبي. وكان هذا أول مؤتمر من نوعه يعقد في المحافظة من قبل المكتب وسط تفشي الوباء. عقد المكتب ثلاثة مؤتمرات صحفية في بكين ووهان في ذلك اليوم.

- عقد المكتب الإعلامي بمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا فى بكين حول الوقاية من الوباء ومكافحته فيما يتعلق برحلات العودة من ذروة السفر فى عيد الربيع.

- فى ظل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيبكين لتحديث التقدم فى تطوير الأدوية والبحث العلمي المتعلق بـ COVID-19.

كما تم الكشف عنه في المؤتمر الصحفي ، تمت الموافقة على سبعة أنواع من الكشوفات للاستفادة من السوق ، في حين تم إحراز تقدم مرحلي في فحص الأدوية وعلاجها ، وتطوير اللقاحات وبناء نموذج حيواني.

16 فبراير2020

- بدأ فريق الخبراء المشترك بين الصين ومنظمة الصحة العالمية زيارة ميدانية لمدة تسعة أيام في الصين ، من المقرر أن تفقد المدن بما في ذلك بكين ، وتشنغدو ، وقوانغتشو ، وشنتشن ، ووهان. يتكون الفريق من 25 خبيرا من الصين وألمانيا واليابان وجمهورية كوريا (ROK) ونيجيريا وروسيا وسنغافورة والولايات المتحدة ومنظمة الصحة العالمية.و يشمل الخبراء الأجانب كبير مستشاري منظمة الصحة العالمية بروس أيلورد ، وتيم إكمانس ، الباحث بمعهد روبرت كوخ ، وديل فيشر ، الأستاذ في جامعة سنغافورة الوطنية ، وتشيكويإيكويزو ، رئيس مركز نيجيريا لمكافحة الأمراض ، وكليف لين ، وباحث في المعهد الوطني. لأمراض الحساسية والأمراض المعدية في الولايات المتحدة ، جونغ كو لي ، أستاذ مشارك في كلية الطب بجامعة سيول الوطنية ، ناتاليابشينشنايا ، ألكسندر سيمينوف ، هيتوشيتاكاهاشي ، عالمة في المعهد الوطني للأمراض المعدية في اليابان ، ماريا فان كيرخوف ، رئيس من وحدة الأمراض والأمراض الحيوانية المنشأ الناشئة في منظمة الصحة العالمية ، و Weigong Zhou.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيبكين لتحديث وضع الوقاية والسيطرة فالبلاد.وت تم الكشف في المؤتمر الصحفي أنه حتى 15 فبراير ، انخفضت نسبة الحالات الشديدة والحرجة بين جميع حالات COVID-19 المؤكدة بشكل كبير في الصين (بما في ذلك ووهان ومقاطعة هوبي).

17 فبراير2020

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي كه تشيانغ ترأس اجتماع المجموعة القيادية بشأن الاستجابة لتفشي COVID-19 ، وتم اتخاذ الترتيبات لمواصلة علاج مرضى COVID-19 وضمان إمدادات السوق في مقاطعة هوبي ، ولا سيما في مدينة ووهان ، والاستئناف المنظم للعمل والإنتاج مع تعزيز الوقاية من الأوبئة ومكافحتها.

- خلال مشاورة عمل مع مسئولين إستونيينفي تالين ، عاصمة إستونيا ، عرض مسئول كبير من وزارة الخارجية الصينية تقدم الصين فى منع والسيطرة على COVID-19 ، قائلا ان الصين لديها الثقة والقدرة واليقين لكسب المعركة. ضد الوباء.

- فى مؤتمر صحفيبكين قدم المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية جهود الصين فى تبادل المعلومات والتعاون فى مكافحة الوباء مع اليابان.

18 فبراير2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ، مشيرا إلى أن الصين لا تحمي حياة وصحة الشعب الصيني فحسب ، بل تتصرف بطريقة مسؤولة للغاية لأمن الصحة العامة العالمي. وعبرشيأن الصين كانت دائما منفتحة وشفافة في تعاونها مع فرنسا والدول الأخرى للتعامل مع الوباء ، مضيفا أن الصين على استعداد للعمل مع فرنسا لتعزيز التعاون العملي في قطاع الصحة وحماية أمن الصحة العامة الإقليمية والعالمية بشكل مشترك.

- تحدث الرئيس الصيني هاتفيا مع رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون

، مشيرا إلى أنه من خلال التمسك بفكرة بناء مجتمع بمستقبل مشترك للبشرية ، فإن الصين ليست مسؤولة فقط عن سلامة وصحة شعبها ، ولكن ملتزمة أيضا بقضية الحفاظ على الصحة العامة الدولية.وقالشي إن الصين بذلت جهودا ضخمة واحتوت بشكل فعال انتشار الفيروس عالميا ، مضيفا أن الجانب الصيني سيواصل التعاون مع بريطانيا وجميع الدول الأخرى بطريقة منفتحة وشفافة.

- فى ظـل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين أعلن أن الحالات اليومية المـؤكـدة الجديدة على مستوى البلاد انخفضت الى اقل من 2000 للمرة الأولى يوم 17 فبراير ، كما انخفض معدل الوفيات اليومية في جميع أنحاء البلاد إلى أقل من 100 للمرة الأولى.

- سافر فريق الـخـبراء المشترك بين الصين ومنظمة الصحة العالمية إلى مقاطعة قوانغدونغوسيتشوان لإجـراء تحقيق ميداني لمدة ثلاثة أيام حول تفشي COVID-19.

- قدم مسؤول بـوزارة الخارجية الصينية التقدم الـذي حققته الصين في الوقاية من وباء كوفيد 19 والسيطرة عليه عند اجتماعه مع المسؤولين الألبانفى تيرانا عاصمة ألبانيا.

- التقى مسؤول بـوزارة الخارجية الصينية مع جريج جيليجان الرئيس الجديد لغرفة التجارة الأمريكية فى الصين ، قائلا إن تأثير وباء COVID-19 مؤقت ، والاتجاه طويل المدى للتنمية الاقتصادية فى الصين. لم يتغير. وقال المسؤول إن الصين ترحب بالشركات الأمريكية لمواصلة أعمالها في الصين ، وتأمل في تعزيز التعاون مع الغرفة وأعضائها.

- ردت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) الصينية في رسالة إلى وزارة الصحة والخدمات البشرية الأمريكية ، تواصلت فيها بشأن ترتيبات التعاون الثنائي في مجال الصحة ومكافحة الأوبئة.

19 فبراير2020

ذكرت وكالة إنباء شينخوا أنشي جين بينغ الامين العام للجنة المركزية للحزب ترأس اجتماعا للاستماع إلى تقارير حول إعـمال الوقاية من الوباء ومكافحتها ، وتنسيق مكافحة الوباء. التنمية الاقتصادية والاجتماعية. قرر الاجتماع رفع الإجراءات ذات الصلة إلى المكتب السياسي للحزب لمزيد من المراجعة.

- عقدت وزارة الخارجية الصينية المؤتمر الصحفي الثالث حول الوقاية من الأوبئة ومكافحتها على الإنترنت. حضر الإحاطة سفراء ودبلوماسيون من أكثر من 180 بعثة أجنبية في الصين. قامت وزارة الخارجية الصينية بتحديث وضع تفشي COVID-19 في الصين وجهود البلاد في الوقاية من الأوبئة ومكافحتها. قدم مكتب الشؤون الخارجية بالحكومة الشعبية لبلدية بكين أحـدث ترتيبات مكافحة الأوبئة المتعلقة بالعائدين إلى بكين من الخارج وسط تفشي المرض ، والذي تبعه عن كثب البعثات الأجنبية في الصين. أجاب مسؤولون من وزارتي التعليم والخارجية على الأسئلة المتعلقة بالطلاب والموظفين الأجانب في الصين.

20 فبراير2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع رئيس الوزراء الباكستاني عمران خان ، مؤكدا الحقائق التي أثبتت مرة أخرى أن الصين وباكستان صديقتان حقيقيتان وأخوة جيدان يتقاسمان الوئام والـويـل. وقـال شي إن الصين ستعتني بإخوانها وأخواتها الباكستانيين في البلاد مثل مواطنيها.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ عبر الهاتف مع رئيس جمهورية كوريا مون جايين ، مشددا على أن تدابير الوقاية والسيطرة الصينية القوية لا تهدف فقط إلى حماية حياة وصحة الشعب الصيني ، ولكن أيضا المساهمة في قضية الصحة العامة في العالم. وقال شي إن الصين ستواصل تعزيز الاتصالات والتعاون مع جمهورية كوريا والدول الأخرى بطريقة منفتحة وشفافة ، من أجل معالجة الوباء معا وتعزيز صحة ورفاهية الناس في جميع أنحاء العالم.

- رد الرئيس الصيني شي جين بينغ في رسالة إلى بيل جيتس ، الرئيس المشارك لمؤسسة بيل وميليندا غيتس ، معربا عن تقديره لعمل المؤسسة في دعم أعمال الوقاية والسيطرة في الصين ضد وباء COVID-19. ودعا شي إلى الوحدة والتعاون في المجتمع الدولي لمكافحة المرض.

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي

كه تشيانغ ترأس اجتماع المجموعة الرائدة للجنة المركزية للحزب بشأن الاستجابة لتفشي COVID-19 ، واتخاذ الترتيبات بشأن زيـادة تحسين حماية الأطباء في الخطوط الأمامية ، وتسريع التطبيقات الفعالة للأدوية ومواصلة التقدم استئناف العمل والإنتاج بشكل منظم مع تعزيز تدابير الوقاية من الأوبئة ومكافحتها بطريقة علمية.

- حضر عضو مجلس الدولة ووزير الخارجية الصينى وانغ يى اجتماعا خاصا لـوزراء خارجية الصين والاسـيـان ، قدم فيه تقدم الصين فى الوقاية من الوباء ومكافحته.

- عقد المكتب الإعلامى بمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا فى مقاطعة هوبي ، موجزا إعمال الوقاية من الوباء ومكافحتها التي نظمتها مجموعة التوجيه المبعوثة من قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني.

- قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية عندما سئل فى مؤتمر صحفي عما إذا كانت الفيروسات التاجية الجديدة سلاحا بيولوجيا ، : «إن ما نحتاجه فى مواجهة الوباء هو العلم والعقلانية والتعاون. ويجب أن نسعى لتحقيق انتصار العلم على الجهل ، وتبديد الشائعات بالحقيقة ، واستبدال التحيز بالتعاون. نأمل أن يواصل المجتمع الدولي ، بينما يحارب COVID-19 معًا ، محاربة نظريات المؤامرة و «الفيروسات السياسية» الأخرى.

- عقد خبراء طبيون إكلينيكيون من الصين والآسيان مؤتمرا بالفيديو لتبادل الأفكار حول إرشـادات العلاج وتجربة الإنقاذ على مرضى COVID-19.

21 فبراير2020

- أفـادت وكالة أنباء شينخوا أن شي جين بينغ ، ، بشأن الوقاية والسيطرة على COVID-19 والتنسيق بين مكافحة الوباء والاقتصاد والوقاية. التنمية الاجتماعية. دعا الاجتماع إلى تعميق الانفتاح والتعاون الدولي، وتعزيز الاتصال والتنسيق مع شركاء الصين الاقتصاديين والتجاريين، وإعطاء الأولوية لمساعدة الشركات الرائدة التي لها تأثير كبير في سلسلة التوريد العالمية على استئناف الإنتاج والإمـداد للحفاظ على استقرار سلسلة التوريد العالمية. وذكر الاجتماع انه سيتم بذل جهود للاستفادة بشكل جيد من تأمين ائتمان الصادرات وتشجيع شركات التصدير الرئيسية على استئناف التشغيل فيأقرب وقت ممكن. كما سلط الاجتماع الضوء على التعاون الدولي الفعال في مجال الوقاية من الأوبئة ومكافحتها من منظور بناء مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية.

- أصدرت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) النسخة الخامسة من المبادئ التوجيهية بشأن الوقاية والسيطرة على COVID-19.

- فى ظـل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين للإعلان عن العدد اليومي لمـرضى COVID-19 الشفاء والخروج حديثا يوم 20 فبراير فووهان يفوق عدد الحالات المؤكدة الجديدة للمرة الأولى. ، وتجاوز العدد اليومي لمرضى COVID-19 المعالجين والمفردين حديثًا على الصعيد الوطني 2،000 مريض لأول مرة.

22 فبراير2020

- وصل فريق الخبراء المشترك بين الصين ومنظمة الصحة العالمية إلى مقاطعة هوبي لإجـراء تحقيق ميداني لمدة يومين حول تفشي COVID-19.

وزار الخبراء مستشفى تونججى ومركز ووهان الرياضي الذى تم تحويله إلى مستشفى مؤقت ومركز السيطرة على الأمـراض بالمقاطعة للتعرف على الوقاية من الأوبئة ومكافحتها بالإضافة إلى العلاج الطبى. كما تحدثوا مع المسؤولين والخبراء في المحافظة.

23 فبراير2020

- أفـادت وكـالـة أنـبـاء شينخوا أن الرئيس الصيني شي جين بينغ أكد على الجهود الدؤوبة للوقاية من COVID-19 ومكافحتها والتنسيق في دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية.أدلى شي ، ، بهذه التصريحات عندما كان يلقي خطابا هاما في اجتماع في بكين لدفع العمل على تنسيق الوقاية والسيطرة على COVID-19 والاقتصاد والاجتماعي. تطوير.وأشارشيإلىأن الوضع الوبائي مازال قاتما ومعقدا وأنهاالآن لحظة حاسمة لكبح انتشار المرض وطالب لجان الـحـزب والحكومات عـلى كافة المستويات بمواصلة بذل جهود دؤوبة في مختلف أعمال الوقاية والسيطرة واستئناف العمل والانتاج في بطريقة منظمة. وقال شي إنه يجب بذل الجهود لتحويل الضغط إلى قوة دافعة ، وتحويل الأزمات إلى فرص ، واستعادة العمل والنظام الحياتي خطوة بخطوة ، مضيفًا أنه يجب توحيد الإجراءات لتحقيق الاستقرار في العمالة ، والتمويل ، والتجارة الخارجية ، ورأس المال الأجنبي ، والاستثمار المحلي ، و وقال شيإن التوقعات ، وتكثيف تعديلات السياسة لإطلاق العنان الكامل للقدرات الهائلة والقوية للتنمية الصينية والسعي لتحقيق أهداف ومهام التنمية الاقتصادية والاجتماعية هذا العام. و قد تم نشر خطابه في الاجتماع في ذلك اليوم

- بروس أيلوارد ، عالم الأوبئة الذي قاد فريقًا متقدمًا من منظمة الصحة العالمية ، يتحدث خلال مؤتمر صحفي لفريق الخبراء المشترك بين الصين ومنظمة الصحة العالمية في بكين ، عاصمة الصين ، 24 فبراير ، 2020. (شينخوا / شينغجوانجلي)

24 فبراير2020

أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي كه تشيانغ ترأس اجتماعا بشأن الاستجابة لتفشي COVID-19 ، مما ساعد مدينة ووهان على زيادة تعزيز الوقاية من الأوبئة

وعلاجها واتخاذ الترتيبات بشأن المنطقة والفئة- استراتيجيات الوقاية والسيطرة المتمايزة القائمة.

- في ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين أعلن فيه أن العدد اليومي للصين من عدوى COVID-19 الجديدة ظل دون 1000 لمدة خمسة أيام متتالية.

انخفض عـدد الـحـالات المؤكدة الحالية لمدة أسبوع تقريبًا ، في حين أن العدد اليومي لمرضى COVID-19 الذين تم شفاؤهم وتفريقهم حديثًا لا يقل عن عدد الإصابات المؤكدة الجديدة في جميع المناطق على مستوى المقاطعات.

- تحدث مسؤول بوزارة الخارجية الصينية هاتفيا على التوالي مع سفراء الـبرازيـل وشيلي والمكسيك وكولومبيا وبيرو وترينيداد وتوباغو وكوستاريكا لدى الصين ، حيث أطلع البعثات الأجنبية على أعمال الوقاية من الوباء في الصين ومكافحتها.

- عقد فريق الـخـبراء المـشـترك بين الصين ومنظمة الصحة العالمية مؤتمرا صحفيا في بكين قال خلاله أعضاء الفريق إن استجابات الصين للصحة العامة غير المسبوقة لتفشي COVID-19 قد أسفرت عن نتائج ملحوظة في إبطاء انتشار الوباء ومنع انتشار المـرض بين البشر. انتقال الفيروس ، ومنع أو على الأقل تأخير مئات الآلاف من الحالات.

- نشر مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الصين ورقة حول مجلة الجمعية الطبية الأمريكية بعنوان «خصائص ودروس مهمة من تفشي مـرض كـورونـا فيروس 2019 (COVID-19) في الصين» ، لوصف وتحليل الخصائص الوبائية لحالات 72314 من العدوى المبلغ عنها حتى 11 فبراير في البر الرئيسي الصيني.

- نشرت مجلة The Lancet مقالاً شارك في تأليفه المدير العام لمنظمة الصحة العالمية تيدروسأدهانومغيبريسوس وكبيرة علماء منظمة الصحة العالمية سمية سواميناثان. وقال المقال إن الأطباء الصينيين حـددوا بسرعة الفيروس التاجي الجديد خلال موسم الإنفلونزا وتبادلوا معلومات تسلسل الجينوم للفيروس مع نظرائهم الدوليين من خلال شبكة البحث العلمي العالمية ، التي أرست الأساس لمتابعة البحث العلمي. إن جهود الصين الدؤوبة في منع والتحكم في COVID-19 لا تكسب الوقت الثمين للبلدان الأخرى فحسب ، بل «تمهد الطريق» للمجتمع العلمي الدولي للتعامل بشكل مشترك مع الوباء.

25 فبراير2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ عبر الهاتف مع ولي عهد أبو ظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ، مشيرًا إلى أن الحكومة الصينية تصرفت دائمًا بموقف منفتح وشفاف ومسؤول ، والمعلومات المشتركة في الوقت المناسب ، عالجت بنشاط مخاوف مختلف الأطراف ، وعزز التعاون مع المجتمع الدولي.

وقال شي إن الصين ستواصل اتخاذ إجـراءات فعالة لحماية حياة وصحة مواطني الإمارات العربية المتحدة وجميع المواطنين الأجانب الآخرين في الدولة ، وهي على استعداد للعمل مع الإمارات للحفاظ على اتصال وثيق بشأن آخر التطورات. من COVID-19 وتبادل الخبرات في مجال الوقاية من الأوبئة ومكافحتها.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع رئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد بناء على طلبها ، مشيرا إلى أن دعم الدول الأفريقية والشعوب المختلفة لمعركة الصين ضد تفشي COVID-19 يوضح بشكل واضح الصداقة الأخوية لتقاسم الوئام والويل ومساعدة بعضها البعض بين الصين وأفريقيا.

وقال شي إن الدول الأفريقية تواجه أيضا العديد من التحديات في الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، والصين مستعدة لتزويدها بالمزيد من الإمدادات الطبية التي تشتد الحاجة إليها ، بما في ذلك مجموعات الاختبار.

كما أن الصين على استعداد لتسريع تنفيذ مبادرة الرعاية الصحية للمبادرات الرئيسية الثماني التي تم الكشف عنها خلال قمة بكين لمنتدى التعاون الصيني الأفريقي ، وتعزيز بناء مركز السيطرة على الأمراض في أفريقيا ، وتعزيز التعاون بين الصين وأفريقيا في مجال الصحة العامة. وقال شي إن الوقاية من الأمراض ومكافحتها.

- تبادل اللجنة الوطنية للصحة

ترجمة : كرونواوجيا نشر الصين للمعلومات عن COVID-19 والنهوض بالتعاون الدولي استجابة للأوبئة (الجزء الثاني)

(NHC) الصيني المبادئ التوجيهية التقنية المحدثة بشأن استجابة COVID-19مع عدد من البلدان والمنظمات الإقليمية.

- خلال اجتماعه مع لوران بيلي، السفير الفرنسي لدى الصين ، عرض مسؤول بوزارة الخارجية الصينية آخر حالة من الإنجازات البارزة للصين في محاربة COVID-19 ، مؤكدا أنه تحت القيادة القوية للرئيس شي جين بينغ ، فإن الشعب الصيني متحدون ولديهم الثقة الكاملة والقدرة واليقين لكسب المعركة ضد الوباء.

- قال متحدث باسم وزارة الخارجية الصينية فى مؤتمر صحفيأن الصين مستعدة لتبادل المعلومات والخبرات مع اليابان وجمهورية كوريا فى مكافحة تفشي COVID-19 وتقديم الدعم والمساعدة لهم وفقا لاحتياجاتهم.

26 فبراير 2020

ذكرت وكالة انباء شينخوا ان شي جين بينغ ترأس اجتماعا للجنة الدائمة للمكتب السياسي. واطلعت الاجتماع على أعمال الوقاية والسيطرة على وباء COVID-19 ، وتحليل الوضع الحالي ووضع ترتيبات لتدابير الوقاية والسيطرة في المستقبل القريب.

- فى ظل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين حول تفشي COVID-19 فى السجون.

وصرح مسؤول من وزارة العدل للصحافة أنه حتى 25 فبراير / شباط ، أبلغت خمسة سجون في مقاطعات هوبي وتشجيانغوشاندونغ عن 555 حالة مؤكدة لـ COVID-19 و 19 حالة مشتبه بها أخرى ، وأربع حالات مؤكدة حادة ، مضيفًا أنه لم يتم تسجيل أي سجين. مات حتى الآن من الفيروس.

- شارك خبراء من مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الصين في مؤتمر منظمة الصحة العالمية غير الرسمي لاستشارة الخبراء بشأن COVID-19.

- فى مؤتمر صحفي دوري ، أطلع المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية الصحفيين على إصابةكوفيد 19 بين الأجانبفى الصين.

27 فبراير2020

- أجرى الرئيس الصيني شي جين بينغ محادثات مع الرئيس المنغولي خالتماباتولجا في بكين ، مؤكدا أنه من خلال التمسك برؤية مجتمع ذي مستقبل مشترك للبشرية ، تبذل الصين قصارى جهدها ليس فقط لحماية حياة وصحة شعبها ولكن أيضا للمساهمة في أمن الصحة العامة العالمية.

وقال شي إنه من خلال موقف مفتوح وشفاف ومسؤول ، عززت الحكومة الصينية بنشاط التعاون الدولي لمكافحة

تفشي المرض ، وقد أكدت منظمة الصحة العالمية والمجتمع الـدولي جهود الصين بشدة ، وأضاف أن الصين ستواصل العمل مع منغوليا وغيرها من البلدان لمكافحة الوباء وحماية أمن الصحة العامة الإقليمية والعالمية.

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي كه تشيانغ ترأس اجتماع بشأن أعمال الوقاية من وباء COVID-19 ومكافحته ، واتخاذ المزيد من الترتيبات للحد من الوفيات وضمان الإمداد الكافي بالضروريات اليومية ، المطالبة بتدابير أكثر تفصيلا للوقاية والسيطرة للفئات الضعيفة والحث على تعزيز التعاون الدولي.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين جاء فيه انه بناء على إشعار منظمة الصحة العالمية ، تم الإبلاغ عن حالات COVID-19فى بعض الدول الأخرى ، وانتشار الوباء بسرعة كبيرة فى عدد قليل من البلدان. ستولي الصين أهمية متساوية لتدابير الرقابة المشتركة لمنع الحالات المستوردة والمصدرة بشكل فعال ، وتعزيز التعاون مع المنظمات والدول ذات الصلة لاحتواء الوباء بشكل مشترك.

- تم عقد المؤتمر عن بعد الخاص الثاني بين الصين والاتحاد الأوروبي حول COVID-19 لـلـخـبراء الصحيين من الجانبين لإجـراء تبادلات متعمقة حول تدابير الوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، والتشخيص والفحص ، والمبادئ التوجيهية للعلاج.

28 فبراير2020

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع الرئيس الكوبي ميغيل ديازكانيل ، مؤكدا أنه من خلال التمسك برؤية مجتمع له مستقبل مشترك للبشرية وبسلوك من الانفتاح والشفافية والمسؤولية ، فإن الصين لديها معلومات في الوقت المناسب مع منظمة الصحة العالمية والمجتمع الدولي ، استجابت بنشاط لشواغل مختلف الأطراف ، وعززت التعاون الدولي في مكافحة الوباء لمنع انتشاره في جميع أنحاء العالم.

وقال شي إن منظمة الصحة العالمية والمجتمع الدولي أشـادوا بأعمال الوقاية والمكافحة في الصين ، مضيفا أن الصين مستعدة لمواصلة التبادلات والتعاون مع كوبا في مجالات الطب والوقاية من الأوبئة ومكافحتها.

- تحدث الرئيس الصيني شي جين بينغ هاتفيا مع الرئيس الشيلي سيباستيان بينيرا بناء على طلبها ، مشيرا إلى أن الأمة الصينية شهدت العديد من المحن في تاريخها ، لكنها لم تغمرها أبدا.

وقال شي إن تأثير الوباء على الاقتصاد الصيني مؤقت ويمكن التحكم فيه بشكل عـام ، وأن أساسيات النمو الاقتصادي السليم في الصين على المدى الطويل تظل دون تغيير.

وقال شي إنه في الوقت الذي تبذل فيه الصين جهودا حثيثة ومتينة ودقيقة للوقاية من الأوبئة ومكافحتها ، فإنها ستطبق سلسلة من السياسات والإجراءات لاستعادة الإنتاج والحياة بشكل منظم وضمان تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية لهذا العام.

- عقد المكتب الإعلامي بمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا فى مقاطعة هوبى حول التقدم فى الوقاية من الوباء ، وعمل مكافحة المرض والعلاج الطبي فى هوى بتوجيه من فريق التوجيه الذى أرسلته اللجنة المركزية إلى المقاطعة.

- فى ظـل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين حـول الوقاية والسيطرة والعلاج من COVID-19. كما كشفت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) في المؤتمر الصحفي إنخفاض عـدد حالات COVID-19 المؤكدة حديثًا في هوبى خارج ووهان والتي خارج هوبي إلى أرقام من رقم واحد للمرة الأولى في 27 فبراير. لا ينبغي إبطاء الجهود في الوقاية والسيطرة في المجتمعات والعلاج الطبي والجوانب الأخرى لمنع الوباء من الانتعاش.

- شاركت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) الصينية في مؤتمر بالفيديو لمجموعة عمل منطقة الميكونغ الكبرى الفرعية للتعاون الصحي لمناقشة التحديات والاحتياجات التقنية للوقاية من الأوبئة ومكافحتها.

- قامت فرق البحث بقيادة الأكاديميين ZhongNanshan و Li Lanjuan، والـبـاحـثـين مـن مستشفى Wuhan

Jinyintan ، والمستشفى المركزي في Wuhan ، والمستشفى التابع الأول لجامعة Zhejiang ، والجامعة الصينية في هونج كونج ومؤسسات أخرى بالاشتراك بنشر ورقة حول انكلترا جورنال اوف ميديسين ، بعنوان «الخصائص السريرية لمرض فيروس كورونافا 2019 في الصين» ، تحليل بيانات 1099 علاج لمرض COVID-19.

- نشرت فرق البحث من كلية بكين يونيون الطبية ومركز مكافحة الأمراض والوقاية منها في الصين ورقة بعنوان «إمراض السارس - 2 - CoV في الفئران المعدلة وراثيا hACE2» ، والتي تطور نموذجًا حيوانيًا لـ COVID-19 وتساعد على تعزيز تطوير اللقاحات والأدوية.

29 فبراير2020

- وصل خبراء طبيون متطوعون من جمعية الصليب الأحمر الصينية إلى إيران.

- نشرت البعثة المشتركة بين منظمة الصحة العالمية والصين تقريرًا عن رحلتها الدراسية الميدانية بشأن COVID-19 في الصين. وفقًا للتقرير ، في مواجهة فيروس غير معروف سابقًا ، ربما بذلت الصين أكثر الجهود طموحًا ونشاطًا واحتواء للمرض في التاريخ. كما هو لافت للنظر ، وكانت الصرامة التي لا هوادة فيها لتطبيق إستراتيجية أثبتت جدارتها في كل سياق وسياق حيث تم فحصها. لم يكن تحقيق التغطية الاستثنائية للصين والتزامها بإجراءات الاحتواء هذه ممكناً بدون الالتزام العميق للشعب الصيني بالعمل الجماعي في مواجهة هذا التهديد المشترك. وإنعكسذلك على مستوى المجتمع في التضامن الرائع للمقاطعات والمدن لدعم السكان والمجتمعات المحلية الأكثر ضعفاً.

- تحت آلية الوقاية والسيطرة المشتركة لمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين حول علاج COVID-19 وتعافي المرض

1 مارس2020

- فى ظل آلية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين حول الوقاية والمكافحة الفعالين وفقا لقانون حالات COVID-19 المستوردة

الرئيس الصيني شي جين بينغ ، يتعرف على التقدم المحرز في اللقاح ومضاد للجسم خلال زيارته لأكاديمية العلوم الطبية العسكرية في بكين ، عاصمة الصين ، 2 مارس 2020. تفقدشي البحث العلمي عن مرض تاجي جديد (COVID-19) بالإضافة إلى تشخيص وعلاج المرض في زيارته لمعهدين في بكين. (شينخوا / دينغهايتاو)

2 مارس 2020

ذكرت وكالة انباء شينخوا ان الرئيس الصينشى جين بينغ ، قام بجولة تفقدية لعمل البحث العلمي للوقاية من وباء كوفيد 19 والسيطرة عليه فى بكين. وشدد شي على ضرورة اعتبار البحث COVID-19 مهمة رئيسية وملحة ، ودعا إلى تجميع المواهب والموارد في مجالات متعددة تحت القيادة الموحدة والتآزر ، وتسريع وتيرة البحث والتطوير على أساس الالتزام بالعلم وضمان السلامة ، للتغلب على القضايا الرئيسية والصعبة في الوقاية من الوباء ومكافحته في أقرب وقت ممكن لتقديم دعم علمي وتكنولوجي قوي لكسب الحرب ضد الوباء. تم نشر خطاب شي من قبل مجلة Qiushi Journal في عددها السادس لعام 2020.

- ذكرت وكالة انباء شينخوا ان لى كه تشيانغ ترأس اجتماع المجموعة القيادية للجنة المركزية حول عمل استجابة COVID-19 ، ووضع ترتيبات للوقاية والسيطرة للمرحلة القادمة ، لتعزيز رعاية العاملين فى المجتمع فى الاستجابة في الخطوط الأمامية وتنسيق عمل الوقاية من الأوبئة ومكافحتها وزراعة الربيع.

- أجاب متحدث باسم وزارة الخارجية الصينية على أسئلة بشأن حالات مستوردة من روسيا في مؤتمر صحفي.

3 مارس2020

- كشفت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) الصينية عن النسخة السابعة من المبادئ التوجيهية بشأن تشخيص وعلاج COVID-19 ، التي أدخلت تعديلات وتحسينات على طرق النقل والميزات السريرية ومعايير التشخيص ، وأكدت على تكامل الطب الصيني والطب الغربي في علاج المرض .

- استقبلت اللجنة الوطنية الصينية ، هالة زايد ، المبعوث الخاص للرئيس المصري ووزيرة الصحة والسكان المصرية ، زيارة الصين والتقت تشين تشو ، نائب رئيس اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب

الشعب الصيني ورئيس جمعية الصليب الأحمر الصينية.

يلتقي الخبراء الذين يقاتلون ضد مرض التاجي الجديد (COVID-19) في الخط الأمامي بالصحافة عبر مؤتمر صحفي بالفيديو ، يقدمون علاج COVID-19 ، في ووهان ، مقاطعة هوبي بوسط الصين ، 4 مارس 2020. معلومات مجلس الدولة عقد المكتب مؤتمرا صحفيا متزامنا في بكين ووهان ، وربط خبراء الخط الأمامي الصينيين في ووهـان الذين قدموا علاج COVID-19 مع الصحفيين في بكين عبر الفيديو. (شينخوا / شياوييجيو)

4 مارس2020

ذكرت وكالة أنباء شينخوا ان شي جين بينغ ترأس اجتماعا للجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب لتحليل المهام الرئيسية في منع وباء COVID-19 والسيطرة عليه مع تحقيق الاستقرار الاقتصادي. والتنمية الاجتماعية.

- بعث اللجنة الوطنية للصحة (NHC) الصيني رسائل إلى السلطات أو المنظمات الصحية في اليابان وإيران وجمهورية كوريا وإيطاليا وسنغافورة وباكستان للتعبير عن مخاوف بشأن تفشي COVID-19 الحالي في هـذه البلدان وتأمل في تعزيز تبادل المعلومات والتعاون التقني.

- عقدت وزارة الخارجية الصينية والمركز الوطني الصيني بشكل مشترك مؤتمر فيديو متعدد الأطراف حول COVID-19 مع خبراء من ست دول من بينها أذربيجان ومنظمة شنغهاي للتعاون ، لإجراء تبادلات متعمقة في مجالات تشمل تدابير الوقاية والمكافحة ، والتشخيص والفحص ، والمختبر.

- عقد المكتب الإعلامى بمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا متزامنا فى بكين ووهـان ، وربــط خـبراء الخط الأمـامـي الصينيين فووهان الذين قدموا علاج COVID-19 مع الصحفيين فى بكين عبر الفيديو. كان الاجتماع بأكمله باللغة الإنجليزية.

- فى ظـل آلية مشتركة للوقاية

والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفي بكين حول تعزيز الإنتاج وضمان توريد معدات معالجة طبية مهمة للوقاية من الوباء ومكافحته.

- نشر فريق بحثي من معهد Westlake للدراسات المتقدمة مقالًا في مجلة Science بعنوان «الأساس الهيكلي للاعتراف بـ SARS-CoV-2 بواسطة الإنسان الكامل الطول ACE2» ، والذي نجح في تحليله للمرة الأولى بنجاح - هيكل ثلاثي الأبعاد ACE2 ، المستقبل الخلوي للفيروس التاجي الجديد.

- شارك خبراء من الصين CDC في مؤتمر عن بعد استجابة COVID-19 من قبل مجلس مراقبة التأهب العالمي لمنظمة الصحة العالمية.

- عقد تشونغنانشان مؤتمرا بالفيديو مع رئيس جمعية الجهاز التنفسي الأوروبية للتعريف بإنجازات وخبرات الصين في مكافحة الوباء.

5 مارس2020

- أفادت وكالة أنباء شينخوا أن لي كه تشيانغ ترأس اجتماعا بشأن أعمال الاستجابة لـ COVID-19 ، وأمر باتخاذ تدابير وقائية أكثر استهدافًا وفعالية ، وطالب بتنفيذ تدابير قوية للعناية الطبية يقاتل الأفراد على خط المواجهة ضد COVID-19 ، وحث على بذل الجهود لضمان مستوى المعيشة الأدنى بشكل أفضل للأشخاص المحتاجين.

- عقدت وزارة الخارجية الصينية والمركز الوطني الصيني مؤتمرا بالفيديو مع خبراء الصحة من أذربيجان ، وبيلاروسيا ، وجورجيا ، ومولدوفا ، وأرمينيا ، وتركمانستان ، وأمانة منظمة شانغهاي للتعاون لتبادل الخبرات الصينية في مكافحة الوباء.

- عقد المكتب الإعلامي بمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا فى بكين حول التعاون الدولى فى مكافحة تفشي COVID-19.

وصرح مسؤول من اللجنة الوطنية للصحة (NHC) في المؤتمر الصحفي بأن الصين أجرت تبادلات متعددة مع رؤساء المنظمات الدولية والإقليمية مثل منظمة الصحة العالمية والإدارات الصحية في الدول ذات الصلة ، واستقبلت زيارة خاصة لوزير الصحة والسكان المصري ، المبعوث الخاص المصري.

قال المسؤول ان الصين شاركت العالم فى الوقت المناسب مع كامل تسلسل الجينات ، وبادئات مسببات الفيروس التاجى ، والتحقيقات ، وشاركت فى إرشادات التشخيص والعلاج والوثائق الفنية الأخرى مع أكثر من 100 دولة وأكثر من 10 منظمات دولية وإقليمية حول العالم.

كما أجرت الصين تبادلات فنية في الوقت المناسب مع المنظمات الدولية والإقليمية ، مثل منظمة الصحة العالمية ، ورابطة أمم جنوب شرق آسيا ، ومنظمة التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ ، وكذلك اليابان وروسيا وألمانيا والولايات المتحدة وبلدان أخرى من خلال مناقشات الخبراء والمؤتمرات عن بعد لتقاسم الوقاية من الوباء في الصين ومكافحته. وقال المسؤول الخبرة والمبادئ التوجيهية.

قدم مسؤول بوزارة الخارجية الصينية تعاون الصين الدولي في مكافحة تفشي COVID-19 وأجاب على أسئلة الصحفيين.

- فى ظل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيبكين حول وباء COVID-19.

كما كشفت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) في المؤتمر الصحفي ، تم الإبلاغ عن حالتين مستوردتين من عدوى فيروسات تاجية جديدة في البر الرئيسي الصيني في 4 مارس ، ليصل بذلك العدد المتراكم للحالات المستوردة إلى 20.

اعتبارًا من 5 مارس ، بدأت الصين في الإبلاغ يوميًا عن حالات COVID-19 المستوردة حديثًا في اليوم السابق وإجمالي الحالات المستوردة من الخارج.

- نشر فريق بحثي مشترك من الجامعة الجنوبية للعلوم والتكنولوجيا ومستشفى الشعب الثالث في شنتشن مقالًا عن bioRxiv بعنوان «العمارة الفيروسية لـ SARS-CoV-2 مع سبايك ما بعد الانصهار الذي كشفت عنه Cryo-EM». الهيكل العام للفيروس التاجي الجديد.

6 مارس2020

ذكرت وكالة انباء شينخوا ان الرئيس شي جين بينغ ، حضر ندوة حول تحقيق

نصر حاسم في تخفيف حدة الفقر في بكين وألقى كلمة مهمة. وحث شي لجان الحزب والحكومات على جميع المستويات على تعزيز مكافحة الفقر بمزيد من التصميم والكثافة ، والتغلب على تأثير COVID-19 لتحقيق انتصار كامل في القضاء على الفقر وتحقيق القضية العظيمة ذات الأهمية الهائلة لكلا الأمة الصينية والإنسانية. تم نشر خطاب شي بالنص الكامل في نفس اليوم.

- شاركت الصين مع الآسيان ، واليابان ، وجمهورية كوريا ، واليمن ، وإيـران ، والعراق ، والإمـارات العربية المتحدة ، والاتحاد الأوروبي ، ودول ومناطق أخرى من أشرطة الفيديو للمؤتمرات الصحفية لخبراء الصين السريريين.

- عقد المكتب الإعلامي لمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا في مقاطعة هوبي حول التقدم المحرز في الوقاية والسيطرة والعلاج من COVID-19.

قال دينغشيانغيانغ نائب الأمين العام لمجلس الدولة «لقد نشرنا المعلومات الخاصة بالوقاية من الأوبئة ومكافحتها في الوقت المناسب للسماح للمجتمع برؤية الحقيقة».

- في ظـل الية مشتركة للوقاية والسيطرة بمجلس الدولة ، عقد مؤتمر صحفيببكين حـول اخـر اوضـاع البحث العلموالتكنولوجىCOVID-19.

وصرح المتحدث باسم اللجنة الوطنية للصحة (NHC) للصحافة بأنه من بين 17 حالة مؤكدة جديدة لـ COVID-19 تم الإبلاغ عنها في 5 مارس في البر الرئيسي الصيني ، تم استيراد 16 حالة من خارج البر الرئيسي ، محذرًا من أن الصين تواجه خطرًا متزايدًا من حالات COVID-19 المستوردة.

وقال المتحدث إن الصين ستواصل تعميق التعاون الدولي ، وتبادل المعلومات والخبرات في الوقت المناسب مع منظمة الصحة العالمية والـدول ذات الصلة ، ومحاربة الوباء معا.

- أجاب المتحدث باسم وزارة الخارجية الصينية على أسئلة الصحفيين ، مخاطبا ادعاءات بعض وسائل الإعلام بأن الفيروس التاجي الجديد «صنع في الصين».

وفقا للمتحدث الرسمي ، فإن تتبع الفيروس لا يزال جاريا. «على الرغم من اكتشاف أول حالة لـ COVID-19 في الصين ، إلا أنها لا تعني بالضرورة أنها نشأت من الصين. يجب علينا معارضة» فيروس المعلومات «و» الفيروس السياسي «.

7 مارس2020

- أصـدر اللجنة الوطنية للصحة (NHC) النسخة السادسة من المبادئ التوجيهية بشأن الوقاية والسيطرة على COVID-19.

- وصل فريق طبي صيني أرسلته جمعية الصليب الأحمر الصيني إلى العراق ، حاملاً إمدادات الوقاية من «كوفيد 19» بمساعدة الصين.

- شاركت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) الصينية مع تشيلي أحدث نسخة من المبادئ التوجيهية لتشخيص وعلاج COVID-19 والمعلومات التقنية الأخرى ، معربة عن رغبتها في إجـراء التبادلات التقنية عبر الإنترنت. كما أطلعت اللجنة الـدول والمناطق الرئيسية على النسخة الإنجليزية من النسخة السابعة من إرشادات التشخيص والعلاج.

- أعلنت الصين عن تقديم 20 مليون دولار أمـريـكي لمنظمة الصحة العالمية لدعم تعاونها الدولي في مكافحة COVID-19.

- عقد المكتب الاعلامى بمجلس الدولة مؤتمرا صحفيا فى مدينة ووهان قدم فيه اعضاء مجموعة الارشاد التى ارسلتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعالصينى التقدم فى علاج وعلاج COVID-19.

8 مارس2020

- أصـدر اللجنة الوطنية للصحة (NHC) كتيبًا حول الوقاية والسيطرة على COVID-19 لسكان الريف ، والذي يوفر التوجيه والمساعدة لهم لفهم الفيروس التاجي والوقاية منه والسيطرة عليه ، وتحسين وعيهم بالوقاية الذاتية والحماية الشخصية.

- أمـرت اللجنة الوطنية للصحة (NHC) الفرق الطبية التي تساعد الدول الأجنبية على القيام ببناء القدرات في المناطق المحلية ، وعقدت تدريبات عبر الإنترنت حول الوقاية من COVID-19 والسيطرة عليها لهذه الفرق ، إلى جانب التدريبات على الوقاية من الأوبئة ومكافحتها للفرق

الطبية التي تساعد موزمبيق وبوركينا فاسو وسيراليون.

9 مارس2020

ذكرت وكالة أنباء شينخوا ان لى كه تشيانغ ترأس اجتماعا للمجموعة القيادية للجنة المركزية للحزب حول أعمال الاستجابة لـ COVID-19 ، ووضع ترتيبات لتعميق التعاون الدولي في الوقاية من الوباء ومكافحته ، وكبح الانتشار عبر الحدود. الوباء والدفع من أجل تحقيق نتائج كبيرة في الأعمال ذات الصلة.

- عقد تشن تشو ، نائب رئيس اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب الصيني ورئيس جمعية الصليب الأحمر الصينية ، ندوة بالفيديو بين الصين وايطاليا حول الوقاية والسيطرة على كوفيد 19 فى مركز قيادة الطوارئ بالصين. CDC.

- قال المتحدث باسم وزارة الخارجية فى مؤتمر صحفي دوري ببكين انه بينما تتغلب على الصعوبات الخاصة بها ، فان الصين مستعدة لتقديم أقنعة ومواد حماية طبية أخرى للدول ذات الصلة لدعمها فى مكافحة وباء COVID-19. تتعامل مع المعركة وتربحها في النهاية.

-الرئيس الصيني شي جين بينغ ، يزور المرضى الذين يتلقون العلاج ، عبر مكالمات فيديو في مستشفى هووشنشان في ووهان ، مقاطعة هوبي بوسط الصين ، 10 مارس 2020. ذهب شي إلى ووهان لتفقد أعمال المنع والسيطرة في اللحظة الحاسمة لمحاربة COVID-19. (شينخوا / جو بينج). ■

قصص قصيرة جدا

شذرات

نعيمة القضيوي الإدريسي

مواء قطط

قطة تنبش في بقايا زبالة ملقاة على قارعة الطريق....
مرشح يصيح في الجماهير سأنظف المكان ....
عجوز تصيح من بعيد قل: ستقطع مورد رزقنا وكفى...
تصفيق و صياح... ومواء قط ينتزع البقايا من قط آخر..

شهيوات مملحة

تخلط السوائل مع باقي العناصر...
تتماسك الخلطة جيدا....
لكن لا نكهة... !
المرق امتزج بالدم المورق على أرصفة الشوارع
وضخ السم في العروق...

أشواط إضافية

فاضت الكأس حد الثمالة
ثاروا، هاجوا...
اقتلعوه عنوة من كرسيه
هللوا فرحا، أجلسوا غيره
اختلفوا فيه،ظنوا الخلاص
لكن شبه لهم....

الظل

تربع على لغة الصمت
اختنقت الكلمة في الحلق
انتفض ذات حر عاصف ليقول:
«حمدا لله هدأت العاصفة

رقصة المجداف

كان يركب زورقا...
يجدف تارة إلى اليمين
وتارة إلى الشمال
تغير اتجاه الريح ، انقلب الزورق
اختلط عليه الشمال باليمين

طرقات

طرق بابه سائل،
نهره.
طرق بابه سياسي،
أجاره
طرقت بابه الشرطة،اعتقلته

مع سبق الإصرار

سأل القاضي ثلاثة متهمين:ما تهمتكم؟
الأول:
تهمتي ذكرى ميلادي 20 يونيو
الثاني:
تهمتي من مواليد 20 فبراير
الثالث:
تهمتي أني سجلتهم بمحضر 20 يوليوز
تبث القاضي عينيه على العشرينات وجمعها
ونظر في اليومية، فأجل النظر في القضية إلى20 يناير

مارطون

سنوات قليلة، تغير فيها مزاجه
ولغته، تفسخ جلده
ترك اللامبالاة تعيش بدلا منه في جسده
استفاق على دماء تنساب هدرا
هرول لعله يلحق آخر ركب

عزازيل

كل ما كان يفعله إلا ويعصب عين السماء
كي لا تُرى الحقيقة....
قرر أن يذكره التاريخ، لكن لم يفلح في شيء
لذا باسم الدين:
أسدل لحيته،ولبس جلبابا قصيرا
وحلق مع طيور الظلام

صفقة

مرر يده على لحيته وعدل عِـقاله
صافحه جليسُه بعد أن فهم الإشارة
فتخضب المكان بالسواد البراق..

منشورات مدى

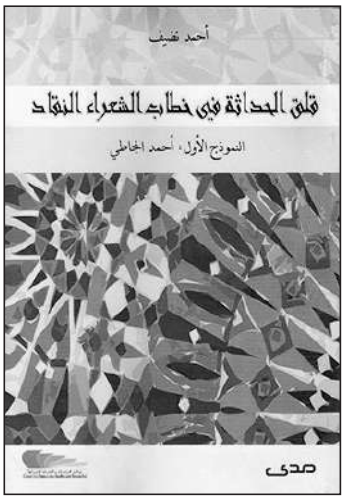
أحمد طليب
قلق الحداثة في خطاب الشعراء النقاد
النموذج الأول: أحمد الخاطي
مدى

نبيل فازيو
مفهوم السياسة عند حنا آرنت
"بين العنف والديمقراطية"
2

المنتدى المغاربي
نخب مغاربية:
الخلفيات، المسارات والتأثير
-أعمال المنتدى المغاربي الثاني-
إعداد:
د. المختار بنعبدلاوي
مدى 3

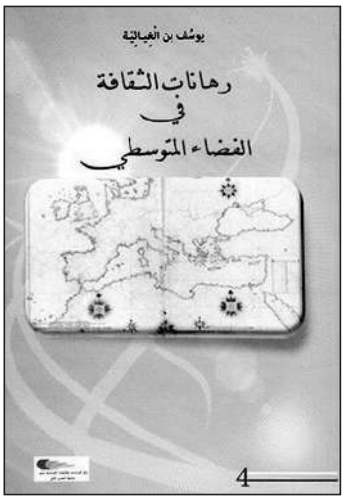
يوسف بن العيايشة
رهانات الثقافة
في
الفضاء المتوسطي
4

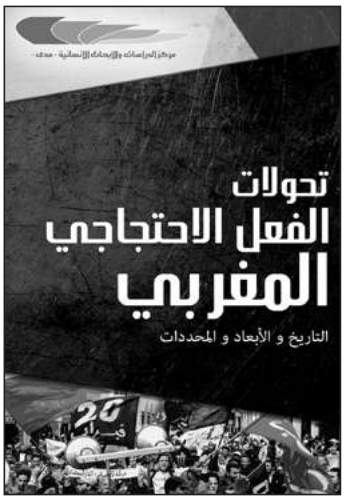
تحولات
الفعل الاحتجاجي
المغربي
التاريخ و الأبعاد و المحددات

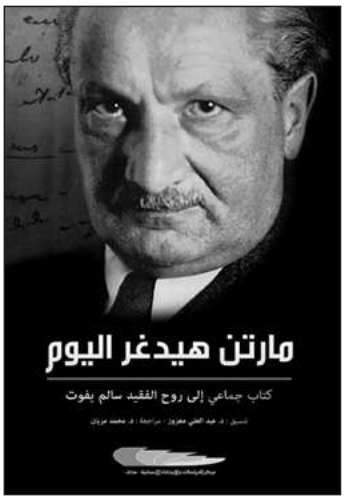
مارتن هيدغر اليوم
كتاب جماعي إلى روح الفقيد سالم يفوت

التدبير العمومي الجديد
شركات الدولة بين قيم الخدمة العمومية وقيم المقاولة
د. حسن احجيج

المغرب العربي
دينامية المجتمع المدني وصعود المكون الإسلامي
أعمال المنتدى المغاربي 5 - 6
إعداد: د. المختار بنعبدلاوي

د. محمد عابد الجابري
الفلسفة العربية في مرآة النقد

أخر أعداد مجلة رهانات

العدد 48-49

العدد 50-51

العدد 52

العدد 53